سلسلة مؤلفات الشيخ صالح البليهي (١)

الهدى والبيان في أسماء القرآن

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن إبراهيم البليهي

رحمه الله تعالى

اعتنى به

عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

الجزء الأول

دار القبس للنشر والتوزيع

الهُدى والبيان

في أسماءِ القُرآن

١

ح مدار القبس للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البليهي، عبدالعزيز حمود

الهدى والبيان في أسماء القرآن. / عبدالعزيز حمود البليهي – الرياض، ١٤٣٩هـ

٢ مج

ردمك ٢-٢-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

٩-٣-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

١- القرآن - مباحث عامة أ- العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٣٩/٢٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٣٩/٢٢٣٩

ردمك: ٢-٢-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨(مجموعة)

٩-٣-٩٠٩٩٢-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه و نسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكّن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

صف وتصميم وإخراج

مدار القبس للنشر والتوزيع

الرياض ـ المملكة العربية السعودية

شارع الأمير سطام بن عبدالعزيز

ت: ٢٦٨١٠٤٥ – ف: ٤٣٥١٣٩٥

جوال: ٠٠٩٦٦٥٥٢٢٩٣٩٣٨

darulqabas@yahoo.com

سلسلة مؤلفات الشيخ صالح البليهي (١)

الهدى والبيان

في أسماء القرآن

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

صالح بن إبراهيم البليهي

رحمه الله تعالى

اعتنى به

عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

الجزء الأول

دار القبس للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمةُ الطَّبعةِ الأُولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن العلم أشرف المطالب، وأسمى المقاصد، به يَعرفُ العبدُ ربَّهُ، ويهتدي إلى صراطه المستقيم، وهو ميراث الأنبياء، وميزان الفضل عند العُقلاء، وقد حَفِظ الله لهذه الأمة دِينَها بأئمةٍ أعلام، اجتمع لهم صحيح الأثر وحُسن النظر[1]، منهم الشيخ العلامة صالح بن إبراهيم البليهي رَحِمَهُ اللهُ، الذي عرفه أهل العلم وطلبته بالتفنن والاتساع، وسعة الاطلاع، وقوة الإقناع، فله آثار علمية أفاد منها عدد من طلاب العلم والباحثين في مواد علمية شرعية متنوعة، وهذا هو الكتاب الأول من سلسلة مؤلفات الشيخ صالح البليهي، وهو كتاب (**الهدى والبيان في أسماء القرآن**)، وقد أشار الشيخ إلى سبب تأليفه بقوله رَحِمَهُ اللهُ: «والهدف والمقصود بهذا الكتاب هو الترغيب والحث على الإيمان بالقرآن، والعمل بالقرآن، ولا بد من التمسك به».

وقال رَحِمَهُ اللهُ في موضع آخر: «وقد اشتقت ـ والحمد لربي، والمنة

---

(١) زاد المستقنع في اختصار المقنع، تحقيق: د. عبد المحسن بن محمد القاسم (ص٥) باختصار.

له تعالى ـ أن أكون من المتعلقين بدوحات القرآن السامقة، وأن أكون من جملة الواقفين تحت ظلال القرآن، تحت ظلاله الظليل الوارف، فأُشارك علماء الإسلام والمسلمين في الكتابة والبحث فيما هو في محيط القرآن، ولذا سميت هذا الكتاب «**الهدى والبيان في أسماء القرآن**»، ورغبت في الكتابة في هذا الموضوع لأني لم أرَ مَن كَتب كتابة خاصة في أسماء القرآن» ا.هـ.

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي المتوفى سنة ١٤١٠هـ رحمه الله تعالى، ألف كتاباً حافلاً في جزأين سماه: «**الهدى والبيان في أسماء القرآن**» ا.هـ.

وسعياً لنشر علم الشيخ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد اتصلت بأحد أبنائه؛ وهو فضيلة الشيخ منصور، فدفع إليَّ مخطوطاً كاملاً بخط حسن وواضح (وهو عبارة عن ٤٦٤ ورقة متوسطة الحجم)، وبعض النُّسخ الخاصة بعناية والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، معلق عليها بإضافات وزيادات مهمة، فاعتنيت بطباعتها، وإخراجها، وتصحيحها حتى تمت ـ ولله الحمد ـ على هذا الشكل الذي أرجو أن يكون مُرضياً لأهل العلم وطلابه، قال ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم (ص ١٨٦، ١٩١): «ولا يكتب إلَّا الفوائد المهمَّة المتعلقة بذلك الكتاب، مثل تنبيه على إشكال أو احتراز أو رمز أو خطأ ونحو ذلك، ولا يسوِّده بنقل المسائل والفروع الغريبة، ولا يُكثِر الحواشي كثرةً تُظلِم الكتابَ أو تُضِيع مواضعها على طالبها».

رحم الله الشيخ صالحاً، وغفر له، ونفع بعلمه، وأصلح ذريته، وجعلنا وإياهم هداة مهتدين.

والشكر أولاً و آخراً لله ربي المنعم المتفضل عليَّ بنعمٍ كثيرة، كما

أشكر كل من له عليَّ واجب الشكر وهم كُثر، وأخص بذلك أبناء الشيخ، والشيخ الفاضل بندر بن مشبب بن فهد القحطاني، والشيخ الفاضل عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الرحمن البليهي، أسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء، إنه سميع مجيب.

وأدعو جميع أهل العلم وطلابه حيثما كانوا إلى مدِّ يد النصيحة بإبداء الملاحظات على ما قد يقع من أخطاء فيما طُبع ويُطبع من شروح الشيخ، فالمرء كثير بإخوانه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:
عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي
القصيم - بريدة
٥/ ١١/ ١٤٣٨هـ
a.h.albalhe@gmail.com

ترجمة الشيخ العَلَّامة
صالح بن إبراهيم البليهي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اسمه ونسبه:

هو أبو علي، صالح بن إبراهيم بن محمد بن مانع بن محمد بن عبد الله البليهي، يرجع نسبه إلى الوداعين من قبيلة الدواسر المشهورة.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ في محافظة «الشماسية» إحدى محافظات منطقة القصيم سنة ١٣٣١هـ.

نشأ في أحضان والديه نشأة صالحة في بيئة محافظة، وفي مجتمع حريص على العلم والمعرفة، وقد كان الناس حريصين فيه على طلب العلم وعلى التحصيل، مع مزاولة التجارة والزراعة، وعدم إغفال ما تحتاج إليه النفس من أمور الدنيا.

وبعد مضي سبع سنوات انتقل والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأسرته، من محافظة الشماسية إلى مدينة بريدة عام ١٣٣٨هـ، فقرأ القرآن بمدرسة أهلية ـ الكتاتيب ـ في قرية الصباخ، وختم القرآن وضبطه في سنة واحدة، ثم عمل مع والده في التجارة من عام ١٣٤٦هـ إلى ١٣٥٠هـ، ثم عمل بعد ذلك مع والده في الزراعة.

وفي عام ١٣٥٣هـ أقبل على طلب العلم على عدد من علماء بلده رحمهم الله.

أخلاقه:

كان رَحِمَهُ اللَّهُ على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، هيِّنًا ليِّنًا في غير ضعف، متميز التفكير، نافذ البصيرة، سليم المعتقد، حسن الاتباع، مُهابًا سَمْحًا كريمًا حليمًا محبوبًا، لا يعاتب ولا يؤاخذ، يتودد إلى البعيد والقريب، فيه عزة العلماء وإباء الأتقياء، كان بالمعروف معروفًا، وبالإحسان مذكورًا، جم الفضائل، كثير المحاسن، كان ورعًا، زاهدًا، متواضعًا، باذلًا للعلم ناشرًا له، بل صرف كل أوقاته للتعليم والدعوة إلى الله جل وعلا، يُقدِّر الناس ويكرمهم مهما كانت منازلهم، غايةً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع حكمة ولطف وبُعد نظر، حريصًا على جمع الكلمة ونبذ الخلاف، اتصف بصفات حسنة وسجايا كريمة، لقد كان مثالًا يُحتذى في أدبه وعلمه وأخلاقه.

شيوخه:

تلقى الشيخ العلم على عدد من العلماء، فانتفع بعلمهم كثيرًا وتأثر بهم:

منهم: والده الشيخ الفاضل إبراهيم بن محمد البليهي، والشيخ العلامة عمر بن محمد بن سليم، والشيخ الفاضل إبراهيم بن عبد الله البطي، والشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد، والشيخ القاضي محمد بن عبد الرحمن البليهي، والشيخ الزاهد محمد بن صالح المطوع، والشيخ العلامة محمد بن صالح المقبل، والشيخ الفاضل صالح بن أحمد الخريصي، والشيخ الفاضل عبد العزيز بن إبراهيم العبادي، والشيخ الفاضل سليمان بن عبد الله المشعلي، والشيخ العابد عبد الله الرشيد الفرج، والشيخ الفاضل علي بن عبد الرحمن الغضية، والشيخ الفرائضي إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن رحمهم الله تعالى.

أعماله ووظائفه:

عُرض على الشيخ منصب القضاء مرارًا فامتنع من ذلك طلبًا للسلامة.

- في تاريخ ١/ ١٠/ ١٣٦٨هـ - ٢٤/ ١٢/ ١٣٧٢هـ، عمل في وظيفة أمين لمكتبة بريدة العلمية.

- في ١/ ١/ ١٣٧٣هـ - ١/ ٧/ ١٣٩٧هـ، عمل مدرسًا في المعهد العلمي ببريدة، وكان له تعاون يسير مع كلية الشريعة وأصول الدين التابعة لفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم عند أول افتتاحها عام ١٣٩٦هـ.

- في عام ١٣٨٤هـ عُين الشيخ إمامًا لمسجد الوزان بحي الخبيب بمدينة بريدة، وقد أم في هذا المسجد من تأسيسه عام ١٣٨٤هـ حتى وفاته سنة ١٤١٠هـ.

ومن الأعمال الخيرية التي قام بها وشارك في تأسيسها: إنشاء الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالقصيم، وكذلك إنشاء جمعية البر الخيرية ببريدة، وأيضًا إنشاء مكتبة لطلاب العلم باسم (مكتبة ابن القيم الخيرية ببريدة)، وغير ذلك.

مؤلفاته:

١ - كتاب عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين.

٢ - أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة.

٣ - كتاب الهدى والبيان في أسماء القرآن.

٤ - كتاب يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تُخدعي.

٥ - (رسالة صغيرة) بعنوان «مرض فتاك».

٦ ـ كتاب السلسبيل في معرفة الدليل «حاشية على زاد المستقنع».

٧ ـ كتاب الإرشاد في توضيح مسائل الزاد.

وغيرها، وقد قرئت على الشيخ عشرات الكتب في مختلف الفنون، وقد سُجل بعضها، وما لم يسجل أكثر، نسأل الله تعالى الإعانة والتسديد لإخراج هذا التراث العلميِّ القيِّم.

نشاطه في الدعوة وثناء العلماء عليه:

قضى الشيخ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ حياته في طلب العلم وتعليمه، وخدمة العلم والدين، مجاهدًا في سبيل الدعوة إلى الله جل وعلا، فقد كان مدرسًا في المعهد العلمي ببريدة، وأيضًا له دروس في الجامعة (فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم)، ودروس في مسجد الحيِّ ـ مسجد الوزان ـ وكان له دروس في الحرم المكي في أثناء وجوده في مكة المكرمة في شهر رمضان ـ غالبًا ـ ومواسم الحج، وله مشاركات متعددة في نشر العلم والدعوة إلى الله؛ بإلقاء المحاضرات في المساجد والمدارس وغيرها، وله مشاركات في بعض البرامج الإذاعية والمؤتمرات الإسلامية، وغير ذلك.

والشيخ صالح رَحِمَهُ ٱللَّهُ له مكانة علمية بين أهل العلم، لذا أثنى عدد من العلماء عليه وعلى بعض مؤلفاته؛ منهم: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد، وفضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله بن عودة، وفضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله السبيل رحمهم الله، وفضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن محمد الغنيمان، وفضيلة الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان، ومعالي الشيخ محمد بن ناصر العبودي، وفضيلة الشيخ

العلامة عبد القادر شيبة الحمد، وفضيلة الشيخ العلامة عبد الكريم بن عبد الله الخضير حفظهم الله.

طلّابه:

من الصعب جدًّا حصر الطلاب الذي تلقُّوا العلم على فضيلة الشيخ صالح رَحِمَهُ اللَّهُ، وقعدوا منه مقعد الدرس والتحصيل، ولكن ما لا يدرك كلُّه لا يتركه جلُّه.

منهم: الشيخ العلامة صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ العلامة عبد الله بن محمد الغنيمان، والشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبد الله العجلان، والشيخ الفاضل عبد العزيز بن صالح العقل، والشيخ العلامة عبد الله بن صالح الفوزان، والشيخ المحدث سليمان بن ناصر العلوان، والشيخ المحدث عبد الله بن محمد الدويش، والشيخ الدكتور سلمان بن فهد العودة، والشيخ الفاضل عبد الله بن إبراهيم القرعاوي، والشيخ الدكتور عبد الرحمن بن سليمان الشمسان، والشيخ الدكتور عبد الكريم بن محمد اللاحم، والشيخ الدكتور صالح بن محمد الونيان، والشيخ الدكتور ناصر بن سليمان العمر، والشيخ الدكتور إبراهيم بن عبد الله اللاحم، والشيخ الدكتور محمد بن صالح المديفر، والشيخ الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى، والشيخ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، والشيخ الدكتور علي بن إبراهيم اليحيى، والشيخ الدكتور علي بن محمد العجلان، والشيخ الفاضل محمد بن سليمان المحيسني، والشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السدحان، والشيخ الفاضل حمد بن محمد الزيدان، والشيخ الفاضل محمد بن محمد المهدي (اليمن)، رحم الله الأموات منهم، وبارك في الأحياء.

مرضه ووفاته:

أصيب رَحِمَهُ اللَّهُ بمرض القلب قبل وفاته بثمانية عشر عامًا، وأجريت له عملية في بريطانيا، عاد بعدها ومارس أعماله من تدريس ووعظ ودعوة، ولم يعقه ذلك عن الدعوة إلى الله حتى آخر أيامه، حيث زاد المرض عليه فأدخل المستشفى ثم خرج منه وتوفي في بيته صابرًا محتسبًا في يوم الجمعة ٣/ ٥/ ١٤١٠هـ، وصلّيَ عليه بجامع بريدة الكبير، في جمع كبير لم تشهد بريدة له مثيلًا، وقد حملت الجنازة من الجامع حتى مقبرة الموطأ مشيًا على الأقدام، وكانت ليلة ممطرة وباردة، وانتظر الجميع حتى دفن، رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد رثاه كثير من الأدباء والشعراء، نسأل الله العلي القدير أن يتغمده برحمته، ويسكنه فسيح جناته، وينفع بعلمه الإسلام والمسلمين، إنه سميع قريب مجيب[(١)].

وكتبه:
عبد العزيز بن حمود بن عبد الرحمن البليهي
القصيم - بريدة
٥/ ١١/ ١٤٣٨هـ
a.h.albalhe@gmail.com

---

(١) للاستزادة ينظر: (الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي وجهوده العلمية والدعوية) للدكتور الفاضل محمد الثويني، و(الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي وجهوده في تقرير التوحيد) للدكتور الفاضل عبد الله الرميان، و(وفي الليلة الظلماء يفقد البدر) للدكتور الفاضل أحمد الحصين، و(علماء نجد خلال ثمانية قرون) للشيخ العلامة عبد الله البسام، (ص٤٣٠ ـ ٤٣٤) (ج٢)، و(السلسبيل في معرفة الدليل، تقريظ الشيخ عبد الله بن سليمان بن حميد) ط: مكتبة المعارف، و(مقابلة مع الشيخ في مجلة الدعوة السعودية)، العدد ١٠٨٨ بتاريخ ٢٢/ ٨/ ١٤٠٧هـ، و(لقاء إذاعي مع الشيخ بعنوان «هؤلاء علموني»)، وغير ذلك.

صور من المخطوط

الهدى والبيان
في
أسماء القرآن

لفضيلة الشيخ
صالح البراهيم البليهي

المدرس في معهد بريدة
العلمي

من مطبوعات
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
نفع الله بها الإسلام والمسلمين
شوال ١٣٩٦ هـ

الجزء الأول

الشرطة بالقلم الحمر هي إشارة للمطبعة يكون أول السطر
لأن كل جملة ينبغي أن يكون مبدؤها أول سطر
لأن مثل هذا يكون فيه زيادة إيضاح وبيان.
قال ذلك وكتبه صالح بن ابراهيم البليهي

صورة غلاف الجزء الأول من المخطوط

(الحمد لله)

(هدف ومقصود)

قد عرف وتقرر بأن لكل كتاب هدفاً ومقصوداً. والهدف والمقصود بهذا الكتاب، هو الترغيب والحث على الإيمان بالقرآن والعمل به في كل شئ عقيدة وعبادة وأحكاماً ونظاماً وأخلاقاً وسلوكاً لابد من العمل بالقرآن. ولابد من التمسك به قال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: (فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) وقال تعالى (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) وقال تعالى (وقد آتيناك من لدنا ذكراً. من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) وقال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) والآيات في هذا الموضوع كثيرة وياتي إن شاء الله بعضها. فلابد من العمل بالقرآن مع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الذي به خير الدنيا وسعادة الآخرة.

وفقنا الله المسلمين رعاة ورعية وحكاماً ومحكومين للعمل بدين الإسلام. والله من وراء القصد. والهداية بيد الله. وإياه وفيه منه تعالى.

صورة أول ورقة من المخطوط

الجزء الثانى
من كتاب الهدى والبيان
فى
أسماء القرآن
١٢٩٦ هـ
بقلم الفقير الى الله صالح بن ابراهيم البليهى

صورة غلاف الجزء الثاني من المخطوط

اللهم إني أعوذ بك من الحور بعد الكور: ومن الضلال بعد الهدى.
اللهم وفقني وجميع المسلمين: للإخلاص في النية والقول والعمل:
وهذا آخر ما يسر الله ومنتهى ما قصدنا إيراده. وما أردت:
الا نفعاً. وانتفاعاً وما قصدت الا خيراً. والكمال لله جل شأنه
والعيب والقصور والنقص لكل مخلوق. والصفح والتجاوز والعفو
من أخلاق الكرام والعكس بالعكس. وقد قيل.
وان تجد عيباً فسد الخللا ∴ فجل من لا عيب فيه وعلى.
وإن شاء الله يتلوا هذا الكتاب. كتاب آخر اسمه الحجة والهدى
والبيان في آيات القرآن يسر الله ذلك بمنه وكرمه.
وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
١٢٩٦
١٢/٢٠
عدلنا عن هذه التسمية الى تسمية أخرى
وهي (عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين)
والحمد لله تم تبييضه وطبعه الطبعة الأولى عام ١٤٠٢هـ
والطبعة الثانية وفيها بعض الزيادات عام ١٤٠٤هـ
وهو مكون من مجلدين كل واحد عدد صفحاته أكثر من ٥٠٠ صفحة
قال ذلك وكتبه الفقير الى الله صالح بن ابراهيم البليهي

صالح

صورة من آخر الكتاب من المخطوط

الحمد لله رب العالمين
هذا هو آخر الجزء الثاني من كتابنا
الهدى والبيان في أسماء القرآن
صالح بن ابراهيم البليهي

صورة آخر ورقة من الجزء الثاني من المخطوط

الحمد لله
هدف ومقصود

قد عُرف وتقرر بأنَّ لكل كتابٍ هدفاً ومقصوداً، والهدفُ والمقصود بهذا الكتاب: هو الترغيبُ والحثُّ على الإيمان بالقرآن والعمل به، في كل شيء؛ عقيدةً، وعبادةً، وأحكاماً، ونظاماً، وأخلاقاً، وسلوكاً، لا بدَّ من العمل بالقرآن، ولا بدَّ من التمسك به.

قال تعالى ـ مخاطباً نبيَّه ﷺ ـ: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾﴾ [طه: ٩٩، ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، والآيات في هذا الموضوع كثيرة، ويأتي إن شاء الله بعضها، فلا بدَّ من العمل بالقرآن مع سُنَّة الرسول ﷺ.

وهذا هو الذي به خير الدنيا والآخرة.

وفَّق الله المسلمين؛ رعاةً، ورعيةً، وحُكَّاماً، ومحكومين للعمل بدين الإسلام.

والله من وراء القصد، والهداية بيد الله، والتوفيق منه تعالى، والعمل بدين الإسلام هو الذي به الفخر والعز والنصر، والسيادة والقيادة، والخير والسعادة في الدنيا والآخرة، والمهدي مَن هداه الله، والموفَّق مَن وفقه الله، وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى الله نتوكل، وبه نستعين

أَوْلَى ما يُحمد الله تعالى به، ما حمد به نفسه في كتابه العزيز: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ ـ ٤]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف: ١ ـ ٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [النحل: ٧٥]، ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾ [النمل: ٩٣].

والحمد لله الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء وهدًى ورحمة وبشرى للمسلمين.

والحمد لله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: ٤٣].

والحمد لله الذي أرسل محمداً بالحق، بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً

كثيراً، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].

وصلى الله وسلم على خاتم النبيِّين، وسيد المرسلين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فإنه لما طغت الجاهلية بشرورها، وجنَّ جنونها، وقامت فيها أعاصير الفتن، وتلاطمت فيها أمواج الكفر والفسوق، وعبد المخلوق مخلوقاً مثله، وارتكبت الجرائم، وانتهكت المحارم، وصار العالم في ظلامٍ دامس، وفي حيرة وارتباك لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً؛ كفرٍ وفسوق وظلم وعداء؛ لبعدهم عن رسالات السماء، لبعدهم عن النور والهدى.

حينئذٍ: رحم الله ولطف، رحم أرحم الراحمين، فبعث الله محمداً وأرسله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين، أرسله الله تعالى؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل والكفر والفسوق إلى نور الإيمان والإسلام.

أرسله الله إلى الثقلين: الجن والإنس، بشيراً ونذيراً، أرسله الله إلى الخلق أجمعين، إلى البشرية كلها في كل زمان وفي كل مكان، وحكمةُ الله تقتضي ذلك، تقتضي أن تكون رسالة الرسول عامة؛ لأنه آخر المرسلين وخاتم النبيِّين، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

أرسل الله محمداً ﷺ بهذا القرآن لهداية البشرية أجمع، لهداية من قبل الهداية وتطلبها وترسم خطى المهتدين، جاء عليه السلام بأعظم كتاب سماوي؛ لإقامة الحجة وقطع المعذرة، قال جلَّ وعلا: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢].

ويأتي إن شاء الله عدد الآيات التي هي صريحة في عموم رسالة الرسول ﷺ.

نعم؛ جاء الرسول عليه من ربه السلام بالهدى والنور والشفاء، جاء بكتاب ما عرفت البشرية له نظيراً، جاء بالقرآن المجيد والذكر الحكيم، والنور المبين والصراط المستقيم، فهو حجة الله على الكافرين والمنافقين، والظالمين، والفاسقين، والمجرمين، والمشركين، والمارقين، والناكثين، والدجالين، والمشعوذين، والسحرة والمتكهنين، والزنادقة، والملحدين، ومن الزنادقة والملاحدة: الماسونية اليهودية، والشيوعية، وأهل وحدة الوجود، والقاديانية، والبابية، والبهائية، والنصيرية، والإسماعيلية، والبراهمة والهندوس، والبوذية، وغيرهم كثير، وذكرنا هذه المذاهب في: عقيدة المسلمين والرد على الملحدين، والحمد لله ربِّ العالمين[1].

والقرآن أيضاً حجة على من ابتدع في دين الله ما ليس منه؛ كالرافضة والجهمية والمعتزلة والقدرية والجبرية والمرجئة والأشاعرة

---

(١) كتبه الشيخ رحمه الله بأسلوب واضح ذكر فيه كثير من المذاهب والفرق المخالفة، وفنّد شبهها بالبرهان والدليل، طبع الكتاب عدة طبعات منها: الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ، وطبع الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ، ط. المطابع الأهلية للأوفست، الرياض.

والخوارج والصوفية ومنهم التيجانية، وغير هؤلاء، وصدق الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس: ٤٤].

ويأتي إن شاء الله ذكر الآيات التي فيها الرد على المبتدعة وطوائف الضلال.

وحيث أن القرآن وصفه الله وسماه رحمةً ونوراً وهدى وشفاء، فهو حينئذٍ ربيع قلوب العارفين، وأنس المؤمنين، وبهجة الموحدين، وبستان المتقين، ومفخرة المسلمين؛ لأنه مصدر تشريعهم ودستور أحكامهم والينبوع العذب الصافي لأحكامهم وآدابهم وأخلاقهم، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

هذا القرآن العظيم هو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق مع كثرة الرد، ولا غرابة؛ لأنه كلام ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد الأولين والآخرين، أحسن الكتب السماوية أحكاماً وأعدلها نظاماً، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

أوضح الله في كتابه العزيز الأدلة، ونوّع فيه البراهين، وضرب الله فيه الأمثال، وقص الله فيه الأقاصيص التاريخية وأبداها، وأعادها للتذكرة والادكار وللعبرة والاعتبار، وأقام الله فيه الحجة وأوضح المحجة، لعل وعسى، لعل تنقشع غياهب الظلام عن الذين هم في حيرة وارتباك وفي ظلام دامس، فيروا الحق حقّاً فيتبعوه ويروا الباطل باطلاً فيجتنبوه، وعسى أن تلين القلوب المتحجرة التي غلب عليها الأشر والبطر

والغطرسة، لعلها وعساها تستضيء بنور القرآن، وتهتدي بهدي القرآن، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

حقّاً والحق يقال، هذا القرآن الذي لا كان ولا يكون مثله، هو: سفينة النجاة، ومشعل الهداية ونبراس الطريق، وحصن الأمن والسلامة، وبحر الحكم ومنبع الأحكام، ومعدن كل فضيلة، وآياته مصادر التشريع.

فهو بحق الموكب العظيم الذي يحمل البشرية ويقودها إلى ما فيه خيرها وفخرها وسعادتها، سعادتها الدنيوية، وسعادتها الأخروية: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وهذا القرآن الذي لا كان ولا يكون مثله، في بديع نظمه وجزالة لفظه، ولا في فصاحته وبلاغته وحلاوته وطلاوته، ولا في حكمه وأحكامه، ولا في جمال تركيبه وحسن أسلوبه، أسلوبه الجذاب الحكيم، لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١، ٢].

وحتى الوليد بن المغيرة مع كفره وعناده، وصف القرآن بوصف جميل رائع، في يوم من أيام دعوة الرسول ﷺ: جاء الوليد إلى الرسول، فقرأ عليه القرآن، فلما سمع ذلك رقَّ له، واشتاق ولان قياده وذهب عنه شيء من نخوة الجاهلية وغرورها، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له، وأنك كاره له.

قال الوليد: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني، لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئاً

من هذا، ووالله إن له حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فلما فكر، قال: هذا سحرٌ يؤثر، فأنزل الله سورة المدثر(١).

وهناك جرت مناقشة وحوار بين رسول دعوة الإسلام، وبين عتبة بن ربيعة حيث كان عتبة فصيحاً بليغاً انتدبته قريش ليجري مناظرة مع الرسول ﷺ، وقد تكلم عتبة وأفصح في مقاله واستمع له الرسول، فلما أفرغ ما في جعبته، قال له عليه من ربه السلام: «**فرغت**»، قال: نعم، قال الرسول ﷺ:

«**بسم الله الرحمٰن الرحيم** ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ١ ـ ٤]». . حتى بلغ ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت: ١٣].

فقال عتبة: حسبك حسبك!

فرجع عتبة إلى كفار قريش، متبلبل الفكر، متخدر الأعصاب، متأثراً بما سمع من آيات القرآن الكريم، فقال: يا قوم، أطيعوني في هذا اليوم، واعصوني بعده، فوالله لقد سمعت من هذا الرجل كلاماً ما سمعت أذني قط مثله وما دريت ما أرد عليه(٢).

نعم؛ لقد شهد كل من الوليد وعتبة بالحق، والحق أبلج والحق

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٨٧٢)، والبيهقي في الشعب (١٣٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح السيرة (ص١٥٩).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠٤)، وقد حسَّنه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٥٩).

واضح، ولكنه الغرور والجهل والطبائع الجافة، وما أشبه الليلة بالبارحة، ها هي الجاهلية الجهلا، جاهلية أبي جهل وعتبة والوليد ومن على شاكلتهم تتمشى مع طبقات الأمم، وتتسرب إلى المجتمعات البشرية من كل حدبٍ وصوب فتحول بينها وبين هداها، وبين ما به سعادتها، بل تذيقها الويلات المتتابعة وتتركها في المستنقعات الآسنة الوبيئة مرتكسة في نهر قلوط.

فالعالم اليوم في جاهلية أعظم من جاهلية أبي جهل وذويه، وحتى الذين ينتسبون للإسلام أكثرهم لا يؤمنون بهذا القرآن ولا يعظمون هذا القرآن، ولا يعملون به، ولا يحكمون بقوانينه ونظامه، مع استقامة الطريق وبيان الحجة وظهور المحجة: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥﴾ [القمر: ٥].

وصدق الله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١]، ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ۝١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣].

۞ ۞ ۞

طريقة التحدي

القرآن الكريم هو آية الله العظمى ومعجزته الكبرى، لقد تحدى البلغاء والفصحاء، ومصاقع الخطباء، تحدى الذين يملكون زمام الفصاحة، ويجيدون نبراتها، تحداهم الله جَلَّ شأنه بأن يأتوا بمثل القرآن، تحدى الله العرب أهل اللسان والبيان.

وتحدى الله كل مخلوق في كل زمان وفي كل مكان، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [القصص: ٤٩]، ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤]، فلما خرست ألسنتهم ولم ينطقوا ولا ببعض كلمة.

تحداهم الله بأن يأتوا بعشر سور مثله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣].

فلما حادوا عن الجواب ولم ينطقوا ولا ببنت كلمة، تنزلاً مع الخصوم الألداء، تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله ولو قصيرة، وحتى ولو تساندوا وتبادلوا الآراء وبذلوا كل مجهود، وكل ما يقدرون عليه، قال جَلَّ شأنه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ

﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

فتقاعسوا وخرست ألسنتم وتبلبلت أفكارهم، وأقروا بالعجز عن صياغة مثله، وأنى لهم ذلك وهيهات حتى يخلقوا سبع أرضين وسبع سماوات.

ولما أفحمهم القرآن وخدر أعصابهم، بفصاحته وبلاغته وجزالة لفظه وما اشتمل عليه من المعاني والأسرار، والحكم والأحكام، طأطأوا رؤوسهم، وخرجوا من صالة المناظرة يجرون ثياب الذل والهزيمة، صاغرين حيارى مهزومين ومدحورين.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨]، ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

وهذا أقطع حجة وأعظم برهان وأبين بيان، بأن هذا القرآن الخالد الكريم، كلام ربِّ العالمين، فليس هو من كلام محمد، ولا من تفكير محمد، ولا من عبقرية محمد، كما قاله بعض المستشرقين الذين يدسُّون على الإسلام، وليس القرآن من كلام البشر، ولا من مقدور البشر، ولا مشابهة بينه وبين كلام البشر، بل هو تنزيل من حكيم حميد: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [النجم: ٤، ٥].

نعم؛ لقد تحدى الله قريشاً والعرب كلها والخلق أجمعين، بأن يأتوا بمثل أسلوب القرآن الرائع الجذاب، أسلوبه الفذ العجيب، أسلوبه الذي يعلو ولا يعلى، أسلوبه الساحر السحر الحلال، أسلوبه الذي يشوق ويروق للقارئين والسامعين.

تحداهم الرب العظيم، بأن يعبروا بمثل تعبيره تعبيراً مترابطاً، تعبيراً متماسك الحلقات متسق ومتفق، آخذ بعضه بأعناق بعض، فالآيات والكلمات والحروف من كل سورة في أعلى درجات الانسجام كسبيكة ذهب، أو كنسيج واحد من حيث ارتباط بعضه ببعض، ليس في ذلك تباين ولا تناف ولا تنافر ولا حشو ولا نقصان، ولا عيب ولا خلل، ولا اختلاف، كما يكون في كلام البشر.

فهو في نغماته الشائقة، وفصاحته وبلاغته، وحسن تركيبه، وسحر بيانه، وفي إيقاعه وانسيابه أجمل من عقود اللآلئ والمرجان، وأعذب من شراب السلسبيل.

فما أحسن وقع القرآن المجيد، وبل نداه على القلوب التي ما تحجرت ولا غلب عليها الأشر والبطر والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد.

هو والله نهرُ حياة متدفق على قلوب القابلين له والمؤمنين به، يغذيها بالإيمان والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفن والفساد، ويحملها على كل خير وفضيلة.

ومهما بالغ الواصفون لكتاب الله وتفننوا في وصف ما اشتمل عليه، هو ورب هذا الكون، فوق ذلك وأعظم من ذلك؛ لأنه كلام الله العظيم، الذي هو من هيبته وعظمته وروعته، لو أنزل على جبل شامخ القمة صلب التكوين لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، فمن أين للمخلوق الناقص المتصف بالجهل والعيب والقصور، أن يأتي بمثل سورة من القرآن ولو قصيرة.

فعلى سبيل العموم القرآن معجز في أسلوبه، وفي حكمه وأحكامه، وفي وعده ووعيده، وترغيبه وترهيبه، وأخباره بما كان وما يكون،

وأقاصيصه العجيبة، وأمثاله الرائعة، وغير ذلك مما اشتمل عليه.

وإعجاز القرآن والتحدي به سيبقى ميدانه مفتوحاً فسيحاً، وأعلامه ترفرف، وصوته مدويّاً حتى يأذن الله بطي بساط هذا الكون، ويرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ومن مقاصد الإعجاز بالقرآن، وأهدافه السامية: البيان والإيضاح والتحقيق بأن هذا القرآن من عند الله حقّاً لا شك في ذلك ولا مراء.

فحينئذٍ يجب الإيمان بالقرآن، ويجب العمل بالقرآن عقيدةً وأحكاماً ونظاماً.

وفي ذلك ورب العزة فخر الدنيا وعزها وسعادة الآخرة، نعم، يجب العمل بالقرآن؛ لأنه تعالى ما أنزله إلا ليعمل به، أنزله تعالى ليكون منهاجاً لكل أمة ودستوراً لكل مجتمع؛ لاشتماله على مصالح الدين والدنيا.

نعم؛ جاء القرآن الكريم بالصلاح والإصلاح، صلاح الراعي والرعية، صلاح الزعيم والمزعوم، صلاح الرئيس والمرؤوس، صلاح الفرد والمجتمع، صلاح الشعوب والأمم في كل زمان ومكان.

فلا تصلح الأمم والشعوب، ولا تكون في رغد وراحة وهناء وطمأنينة، وأمن وعز وشرف وسعادة، مهما عملت ومهما قالت، ومهما كانت، إلا إذا آمنت بالله الكريم، واستضاءت بهذا النبراس العظيم، وإن لم تفعل فالعاقبة وخيمة والعذاب أليم.

ويا أسفاه! كثير من الشعوب التي تزعم الإسلام وتدعيه أبعدوا القرآن وعزلوه عن الدولة والحكم والنظام، وجعلوه مجرد ألفاظ ونغمات وتراتيل تلحن في زوايا المساجد والمدارس والمآتم والاحتفالات الرسمية، وفي حجر الإذاعات، والأندية والمجتمعات.

ثم إن ساعد الحظ يكون شيء من الطرب والخشوع، ومنهم من يقرأه للتبرك بتلاوته، وليس شيء وراء ذلك من تدبر القرآن وفهمه والعمل بأحكامه.

فيجب الإيمان بالقرآن، ومن لم يؤمن بالقرآن فهو من الطغاة الكافرين.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، ومن لم يعمل بالقرآن فقد هجره.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠].

ومن لم يحكم بالقرآن فهو كافر وظالم وفاسق، ومجرم أثيم:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٧].

ومن حكم بغير ما أنزل الله فهو حاكم بحكم الجاهلية:

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن حكم بغير كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ فهو حاكم بغير الحق وما بعد الحق إلا الضلال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: ١٠٥].

ويأتي إن شاء الله في مبحث مستقل عدد الآيات القرآنية التي هي صريحة في وجوب الحكم بكتاب الله، وعددها على سبيل التقريب خمس وخمسون آية.

والبشرية كلها؛ وخاصة الأمة الإسلامية، كلما تنكبت المنهج

القويم والصراط المستقيم، وهو ما جاء به الرسول كتاباً وحكمة، ستجد العناء والشقاء والذل والقلق والحيرة والاضطراب، والواقع شاهد بذلك جزاءً وفاقاً، وما ربك بظلام للعبيد.

۞ ۞ ۞

منقذ البشرية

لا يشك عاقل ولا يرتاب مسلم، بأن منقذ البشرية هو القرآن وسُنَّة الرسول ﷺ.

هما اللذان ينقذانها، من غِوايتها وضلالها وكفرِها وفسوقها وجورها وانحرافها وشقائها ومنكراتها وبدعها وخلاعتها ومجونها، وتدهورها أخلاقيّاً واقتصاديّاً وسياسيّاً، ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١]، ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٣٠].

ليس للبشرية الضالة مغيث ولا منقذ، من شرورها وطغيانها، وحروبها العالمية؛ الحروب الطاحنة، الحروب المهلكة للحرث والنسل.

لا منقذ ولا مغيث إلا كتاب الله الخالد المجيد، الذي نزل لإقامة العدل في الأرض ومنع الفساد: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

لا خير للبشرية ولا طمأنينة ولا سعادة، إلا بالإيمان بالقرآن والعمل به، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

القرآن الكريم أنزله الرب العظيم العالم بمصالح عباده؛ ليكون نظاماً ودستوراً ومنهاجاً وتشريعاً لكل أمة، ولكل مجتمع بشري.

ولذا؛ وصف الله القرآن وسماه شفاءً وموعظة ورحمة وهدى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧]، ففي آية واحدة سماه الله بأربعة أسماء، ويأتي ذلك إن شاء الله قريباً في مباحث أسماء القرآن.

وهذه الآية الكريمة مشعرة بعموم رسالة الرسول ﷺ، ويأتي إن شاء الله في مبحث مستقل عدد الآيات التي هي صريحة في عموم رسالة الرسول لكل مخلوق من الإنس والجن.

نعم؛ لا مراوغة ولا شك ولا تضليل ولا تعليل، بأن القرآن هو منقذ البشرية، من الهوة المظلمة، ومنقذها من تعاستها ومن شرورها المستطيرة: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١].

فحيث أن القرآن الكريم جاء بإسعاد البشرية في دنياها وأخراها، جاء بإخراجها من الظلمات إلى النور؛ من ظلمات الكفر والفسوق إلى نور الإيمان والخشية والتقى لله تعالى، من ظلمات الظلم والجهل والغرور إلى نور العدل والاعتدال والاستقامة لله تعالى.

فعليه؛ يجب الإيمان بالقرآن والعمل بالقرآن، عقيدةً وعبادةً ونظاماً وأحكاماً، وأدباً وسلوكاً وأخلاقاً، وفي ذلك والله فخر الدنيا وعزها وسعادة الآخرة، جاء القرآن الكريم بكل خير، ونهى عن كل شر.

جاء بإيجاب عبادة الخالق وإبطال عبادة المخلوق، فكل من أطاع مخلوقاً في معصية الله فقد عبده، ومصيبة عظمى أكثر حكام البلاد الإسلامية يحكمون بغير ما أنزل الله.

وقد جاء القرآن الكريم بإبطال جميع الأحكام الطاغوتية التي ما أنزل الله بها من سلطان، فالحكم بالقوانين المخالفة لأحكام شريعة الإسلام جور وفساد وظلم للعباد.

وجاء القرآن بأحسن نظام وأعدل أحكام، جاء بحل مشاكل المجتمع في كل زمان وفي كل مكان؛ لاشتماله على متطلبات الحياة كلها.

نعم؛ لا شك ولا مراء في أن القرآن قد اشتمل على العلوم النافعة بأجمعها؛ علوم التوحيد، والعقائد، والعبادات، والأحكام، والمعاملات، والأخلاق، والسلوك، والشؤون الاجتماعية والاقتصادية، والعلاقات بين الرجل وزوجه، وبين الرجل وأسرته، وبينه وبين مجتمعه، والعلاقات الدولية والحكومية، وغير ذلك مما يحتاجه كل مجتمع بشري.

ومع ذلك أحكام القرآن ونظام القرآن في غاية العدل والحكمة، وفي غاية من السماحة واليسر والتسهيل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وبالجملة؛ فالقرآن الكريم وحكمة الرسول عليه من ربه السلام، فيهما حل لكل مشكلة فردية واجتماعية في كل زمان، والقصور والتفريط ليس من تشريعات الله ورسوله، بل إن وُجد ذلك فهو من عقول المخلوقين وفهومهم، وعدم اجتهادهم وتطبيقهم لما جاء عن الله ورسوله، الخلل جاء من زاوية عدم التعرف لأحكام الإسلام.

فالدواء لا يركِّبه ولا يضعه إلا الطبيب، والسلاح لا يضرب به إلا من يحسن ذلك، وصدق الله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]، ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١]، وقال ﷺ: «**تركتكم على المحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**»[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، ابن ماجه (٤٣)، وصحَّحه الألباني.

مشاكل الحياة

مشاكل الحياة لا تحصى، ولكن بحمد الله في كتاب الله وسُنَّة رسوله حل لكل مشكلة فردية أو اجتماعية، وصدق الله:

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢]، ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾ [الإنسان: ١]، وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]، ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾﴾ [النمل: ١].

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزمر: ٢٧، ٢٨]، ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ١ ـ ٤].

والله جَلَّ شأنه وصف القرآن وسمَّاه بينة وبياناً وبينات، في ست وعشرين آية، ويأتي ذلك إن شاء الله قريباً.

وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أُمَّتَكَ مُخْتَلِفَةٌ بَعْدَكَ، فَقُلْتُ له: فَأَيْنَ الْمَخْرَجُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: فقال: في كِتَابُ اللهِ؛ به يَقْصِمُ اللهُ كُلَّ جَبَّارٍ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ نَجَا، وَمَنْ تَرَكَهُ هَلَكَ مرتين، قَوْلٌ فَصْلٌ وَلَيْسَ بِالْهَزْلِ، لا تَخلقُهُ الأَلْسُنُ، وَلا**

تَفْنَى عَجَائِبُهُ، فِيهِ نَبَأُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وفصل ما بينكم، وَخَبَرُ مَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ»[(١)]. رواه الإمام أحمد.

وروى الترمذي بإسناده عن الحارث الأعور، قال: مَرَرْتُ فِي المَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ، فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، أَلَا تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ، قَالَ: أَوَ قَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ**». فَقُلْتُ: فمَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ؛ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾** [الجن: ١، ٢]، **مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ، ثم قال الترمذي بعد سياقه: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا من حديث حمزة الزيات، وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ، وَفِي الحَارِثِ مَقَالٌ»[(٢)]. اهـ.

وقال ابن كثير في كتابه «فضائل القرآن»: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته، على أنه وإن كان

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٤)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.
(٢) أخرجه أحمد (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، وضعَّفه الألباني.

ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة، والحديث مشهور من رواية الحارث، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ[(١)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، فأخبره أنها ستكون فتن، قال: «**فما المخرج منها يا جبريل، قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، ونبأ ما هو كائن بعدكم، وفيه الحُكم بينكم، وهو حبلُ الله المتين، وهو النورُ المبين، وهو الصراطُ المستقيم، وهو الشفاء النافع، عِصْمة لمن تمسّك بهِ، ونجاة لمن اتَّبعه، لا يَعْوجُّ فَيُقَوَّم، ولا يزيغ فَيُسْتَعْتَبَ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لا تلتبس به الأهواء، ولا تشْبع منه العلماء، هو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعتْه أنْ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾** [الجن: ١، ٢]، **من وَلِيَه من جبَّار فحكم بغير ما فيه قَصَمه الله، وَمَن ابتَغَى الهُدى في غيره أضلَّه الله، مَن قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومَن اتَّبعه هُدِي إلى صراط مستقيم**». أخرجه رزين، هكذا ساقه ابن الأثير في كتابه «جامع الأصول»[(٢)].

فلا بدَّ من العمل بالقرآن، أخرج مسلم في «صحيحه»، من حديث النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يَقُولُ: «**يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ،**

---

(١) فضائل القرآن (ص٤٥).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٦٢٣٢)، رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «فضائل القرآن» وقال: هذا غريب من هذا الوجه.

تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[١].

ولا عز ولا فخر إلا بالعمل بالقرآن، أخرج الدارمي في «سننه» من حديث عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[٢].

ومن عمل بالقرآن فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، أخرج البيهقي والحاكم في المستدرك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد خلَّفتُ فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما أبداً؛ كتاب الله وسُنَّتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض**»[٣].

وأخرج الإمام أحمد والطبراني في «الكبير» من حديث زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**»[٤]، ورمز له السيوطي بالصحة.

وروى الحاكم وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ خطب الناس في حجة الوداع فقال: «**يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً؛ كتاب الله وسُنَّتي**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٥).
(٢) أخرجه مسلم (٨٢٧).
(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٣٣٧)، والدارقطني في سننه (٤٦٠٦)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣١٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٣٧).
(٤) أخرجه أحمد (٢١٥٧٨)، والطبراني في الكبير (٤٩٢١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥٧)، وقال الأرنؤوط: صحيح بشواهده دون قوله: «**فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**» وهذا إسناد ضعيف.
(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣١٨)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٣٣٦)، وصحَّحه الألباني في صَحِيح التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٤٠).

فيجب الإيمان بالقرآن، ويجب العمل بأحكام القرآن، ومن لم يعمل بالقرآن وبسُنَّة مَنْ أنزل عليه القرآن، فهو أضل من حمار أهله، بل هو كافر بالله العظيم.

والأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في ميزات القرآن وفضائله قريب من مائة حديث.

ورويداً أيها القارئ، ومهلاً مهلاً أيها المستمع، لا تستطل هذه المقدمة؛ **لأمور**:

أولاً: هي أقل القليل مما يستحقه القرآن، **وثانياً**: لم أقصد تطويلها ولكن الكلام يجر بعضه بعضاً، **وثالثاً**: على سبيل العموم من المقدمة يعرف ما بعدها، والله ولي التوفيق.

۞ ۞ ۞

لا تجزئة ولا تقسيم

نعم؛ لا تجزئة ولا تقسيم، ولا تبعيض، ولا إعراض ولا صدود، ولا مراوغة ولا تضليل، فيجب الإيمان بالقرآن كله، ويجب الاستمساك بالقرآن كله، يقول تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

ويجب العمل بالقرآن كله؛ عقيدةً، وعبادةً، وأحكاماً، وأخلاقاً.

والمصيبة عظمى، والأسف شديد، والكسر لا ينجبر، إلا بالعودة من جديد إلى تعاليم القرآن الكريم في كل قليل وكثير، وكبير وصغير، والتوفيق بيد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فهناك وهنا عشرات الآلاف، ومئات الآلاف، من المنتسبين للإسلام والمعدودين من أهله، من لا يعرفون من الإسلام إلا مجرد الشهادتين، مع الجهل بمعناها، ولا صلاة ولا صوم ولا زكاة، ومنهم من يصلي ولا يصوم، ومنهم من يصوم ولا يصلي، ومنهم من يحكم بغير ما أنزل الله في كل شيء.

ومنهم من يحكم بما أنزل الله في مسائل معدودة الأصابع؛ كالإرث والطلاق، وبقية الحكم والنظام استمدادها من القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومنهم من مناهجه الدراسية لا يوجد فيها إلا أقل القليل من كلام الله، وكلام رسوله عليه من ربه السلام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونِعْم الوكيل.

فيقال للجميع: يا عباد الله، خذوا القرآن، خذوه كله بعزم وحزم وقوة وتصديق وإيمان، أو اتركوه كله، (خذوه كله، ولكم النصر والعز والشرف والفخار والراحة والأمن في الدنيا، والسعادة في الآخرة).

أو اتركوه كله ولكم الخزي والذل والشرور والفتن والعناء والقلق والتعاسة وخيبة الأمل في الدنيا، والشقاوة في الآخرة، وعياذاً بالله من ذلك، عياذاً.

قال جَلَّ شأنه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»[1]. متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وقال ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[2]. رواه مسلم، والبخاري، ولفظه له من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

اللَّهُمَّ بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا، اهدِ ضال المسلمين، ورد

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

شاردهم، اللَّهُمَّ وفق الجميع؛ رعاة ورعية، وزعماء ومزعومين للعمل بكتابك وسُنَّة نبيِّك محمد ﷺ.

ولا خير والله للبشرية أجمع ـ وبالأخص المسلمين ـ إلا بالعمل بما جاء عن الله ورسوله؛ كتاباً وسُنَّة، عقيدةً وعبادة وأحكاماً، والله الهادي إلى سواء السبيل.

۞ ۞ ۞

زور وباطل

يا للمصيبة ويا للعقوق ويا للأسف، والأمر لله والمشتكى إليه، يوجد أناس من أبناء جلدتنا ومن المنتسبين للإسلام، يقولون ولا يستحون، وقديماً قيل: إذا لم تستح فاصنع ما شئت، يقول البعض من بني أبينا.

يقول الحمقى والمبرسمون: القرآن ونظامه والإسلام وأحكامه، غير مناسب ولا صالح لأهل هذا الزمن، هذا زمن التقدم والتمدن.

فنقول: لا، يا قوم لا، وألف لا، بل إذا سلكنا طريق الاعتدال في القول، نقول الحقيقة والواقع، هذا زمن التدهور، والخلاعة والمجون، والهمجية العمياء والجاهلية الجهلاء، هذه جاهلية القرن العشرين، طغيانها وشرورها أعظم من جاهلية أبي جهل ومن على شاكلته، والمستقبل غيب علمه عند الله.

نعم؛ كثير من زنادقة هذا الزمن وملاحدته، الذين ما عرفوا شريعة الإسلام، ولا درسوا شيئاً من علومها، ولا تغذوا بلبانها، ولا استضاءوا بنورها، ولا اهتدوا بهداها، ولا ذاقوا حلاوة الإيمان بها.

ولا وقفوا يوماً من الزمن على ميادين الإسلام الفسيحة، وأرجائه الواسعة، ولا شربوا من أنهارها المتدفقة، أنهار شريعتنا الغراء، التي لا ينضب معينها، يقولون غروراً منهم وجهلاً والجهل يفعل بأهله كل قبيح، يقولون بلا حسيب ولا رقيب، يقولون ما معناه: الشريعة الإسلامية

أحكامها لا تفي بمتطلبات الحياة، ولا تقوم بحاجات بني البشر، فمن تغير مزاجهم وفساد عقولهم يرون القوانين الوضعية التي هي من صنع المخلوق للمخلوق، ومن عمل المخلوق للمخلوق، أصلح وأحسن من حكم الله ورسوله.

ولا شك أن هذا القول كفر وإلحاد، وزور وباطل، ولا وزن له ولا قيمة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

فالدين الإسلامي الذي قاعدته ومصدره القرآن والسُّنَّة كامل، وفيه حل لكل مشكلة من مشاكل الحياة البشرية في كل زمان ومكان: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣].

فالقوانين المخالفة لشريعة الله، هي عين الظلم والفساد، وهي من شرائع البشر، ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى: ٢١]، فالله جَلَّ شأنه الذي شرع الشرائع وسَنَّ الأحكام، عالم بما كان وعالم بما يكون في مستقبل الزمان، وزنادقة الوقت يقولون ـ من زيغ قلوبهم ـ: هذا زمن الذرة والازدهار، لا بد من أحكام تناسبه.

فيقال لهم ـ بلسان المقال ـ: اخسؤوا يا ذباب الوقت، ويا خفافيش البصائر، أحكام القرآن والسُّنَّة صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان.

والحامل لهم على هذه المقالة الشنعاء، هو فساد عقولهم وزيغ قلوبهم.

وليس ببعيد أن يكون السبب في ذلك هو دراستهم المناهج التي ليست بإسلامية عياذاً بالله من فساد التصور ومن زيغ القلوب: ﴿رَبَّنَا لَا

تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨]، ولو بحثوا عن الفقه المستمد من كتاب الله، ومن سُنَّة الرسول ﷺ، ومن أقوال الصحابة رضي الله عنهم، ومن اجتهاد علماء الإسلام لعرفوا وتحققوا بأن دين الإسلام وشريعة الإسلام فيها حل لكل مشاكل الحياة بأحسن نظام وأعدل أحكام، في دين الإسلام وتشريعاته ما يغطي حاجات المجتمعات البشرية وزيادة، تشريعات الإسلام كنوز ما نقب عنها.

❁ ❁ ❁

شكر وتقدير

شكر وتقدير وثناء عاطر، لكل شعب، ولكل حكومة عملت وتعمل بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

وشكر من الله عظيم وثناء جزيل، لكل فرد آمن بالله وأسلم وجهه لله، وعمل بما جاء عن الله ودعا إلى ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

ويا حبذا حكومة مسلمة وشعب مسلم، يا حبذا زعامة مسلمة وقيادة مسلمة، فالمسلمون اليوم هم والله في أمس حاجة وأعظم ضرورة إلى شيئين: عقيدة سليمة وإسلام صحيح، وقيادة مسلمة، وهذا لا يتحقق ولا يوجد، ولا يكون إلا بالعمل بالقرآن وبسُنَّة النبي محمد ﷺ.

ولا بالله وتالله يكون للمسلمين عز ونصر ومجد وفخار إلا بذلك، إلا بالعمل بما جاء به الرسول ﷺ، قولاً وعملاً وفي كل شيء، ونأخذ من واقعنا مثالاً.

فيا مسلمين ويا عباد الله، بماذا عز وانتصر الرسول ﷺ؟ بماذا انتصر القائد العظيم في ميادين حروبه، ونصر بالرعب في قلوب أعدائه مسيرة شهر؟ انتصر عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على اليهود، وغير اليهود، انتصر الرسول على العرب وعلى كل من تكبَّر وطغى، وازور عن طريق الهدى.

انتصر انتصاراً عزيزاً؛ من أجل العمل بالقرآن، فغزوات الرسول الكثيرة وسراياه المتعددة، النصر حليفها، وسبب ذلك: الإيمان بالقرآن والعمل به، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: ١ ـ ٣]، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢٣﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

فالله جَلَّ شأنه ما قال: وكان حقّاً علينا نصر العرب، وحتى ولا قال: وكان حقّاً علينا نصر المسلمين، بل ذكر تعالى صفة أعلى وهي الإيمان.

فلا بدَّ من الإيمان، ولا بدَّ من العمل بالقرآن لمن أراد العز والنصر والفخر في الدنيا والسعادة في الآخرة، ويا ترى بماذا عز وانتصر خلفاء الرسول ﷺ وصحابته الفضلاء؟ بماذا كسروا كسرى، وقصروا قيصر؟ بماذا فتحوا البلاد وقلوب العباد بأسرع وقت وأقرب فرصة؟

حتى شملت الفتوحات الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين، الجزيرة العربية، وبلاد مصر، والشام، والعراق، وفارس، والترك، والعجم، وكثيراً من بلاد إفريقيا.

فتوالت الفتوحات صباحاً ومساءً، وشعَّ نور الإسلام في آفاق المعمورة؛ وذلك من أجل القرآن، والعمل بالقرآن، وبماذا وعلى حساب أي شيءٍ، قامت للإسلام دولة قوية الأركان، ومرهوبة الجانب، ومع ذلك هي غرة في جبين الدهر؟

وصار العرب أساتذة العالم، بعدما كانوا رعاةً حفاةً، وقامت دولتهم دولة صالحة، ومصلحة، دولة لها الزعامة والسيادة والقيادة، كل ذلك من أجل العمل بالقرآن، مع العلم أن العرب قبل الإسلام، وقبل هذا الدين الجديد، في ظلام دامس وفي حيرة وارتباك، ولا وزن لهم ولا قيمة، عالة على غيرهم في كل شيء، فبماذا كانوا ملوك العالم وقادة الشعوب؟

وبماذا كان صحابة الرسول ﷺ أخلاقهم فاضلة وأعمالهم زكية وصفاتهم نبيلة؟ وبماذا انعقدت بينهم أواصر المحبة والإخاء؟ كل ما تقدم سببه: تطبيق الأنظمة السماوية، والأحكام الإلٰهية، وهو العمل بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه عليه من ربه السلام.

وبماذا كان صحابة الرسول مضرب المثل في العلم، والعبادة، والزهد، والورع، والخشية والتقى لله تعالى؟

ولأي شيء مدحهم الله وأثنى عليهم ونوَّه بذكرهم في القرآن والتوراة والإنجيل؟ كل ذلك على حساب القرآن، والعمل بالقرآن، وربك يخلق ما يشاء ويختار، والجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد.

وكذا أيضاً من أجل العمل بتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام، الذي مصدره وقاعدته هو القرآن الكريم، وسُنَّة الرسول ﷺ، حصل الشرف والمجد والعز والنصر للدولة الأموية خاصة وللمسلمين عامة، واستنارت الدنيا بنور الإيمان وعزة الإسلام وتتابع النصر وتوالت الفتوحات الإسلامية ورفرفت أعلام الهدى في أرجاء المعمورة.

فتوسعت الفتوحات في إقليم فارس وكرمان وخراسان وسجستان والسند والهند، وغير ذلك من بلاد الله تعالى.

والخلق الكثير والجم الغفير اعتنقوا هذا الدين الجديد لما فيه من المحاسن والمزايا، ولما لأهله من أخلاق فاضلة وصفات حسنة، ولما فيه من العدالة والإنصاف، ولأنه دين الحق الذي لا يقبل الله سواه.

نعم؛ توسعت الفتوحات الإسلامية في الدولة الأموية شرقاً وغرباً، فاستولت الجيوش الإسلامية التي عنوانها الإسلام، ودستورها القرآن على جميع المقاطعات والمدن في شمالي أفريقيا، وبإعانة الله وتوفيقه، فتح المسلمون طنجة في أقصى بلاد المغرب.

وحينئذٍ سنحت الفرصة لفتح بلاد الأندلس، وفعلاً اجتازت الجيوش الإسلامية البحر الأبيض المتوسط، إلى الشاطئ الأوروبي، الله أكبر! ما أكبرها من نفوس! وما أعلاها من همم!

فأوغل المسلمون في إقليم الأندلس، وليس لهم همّ ولا مقصود ولا غرض إلا النصر أو الشهادة، يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهر، فحقق الله لهم ما أرادوا، فنصرهم الله وثبّت أقدامهم، ففتحوا قرطبة وغرناطة وطليطلة، وذلك بقيادة طارق بن زياد، ثم لحق به موسى بن نصير.

ثم واصل القائدان العظيمان الزحف، فيسَّر الله لهما فتح بقية الإقليم إلى حدود بلاد فرنسا، وحاول موسى بن نصير فتح فرنسا، ومنعه من ذلك الخليفة الوليد بن عبد الملك، خوفاً على المسلمين.

وبسبب هذه الفتوحات دخل الناس في دين الله أفواجاً، واستنارت قلوبهم بالإيمان، ودانوا بدين الإسلام، وهذا هو المقصود الأعظم من الجهاد في سبيل الله، وحصل في تيك الربوع ازدهار ومدنية إسلامية لا نظير لها، وزخرت البلاد بالعلماء والأدباء والعباد والزهاد.

وبسبب قرب المسلمين والاحتكاك بهم، واقتناء شيء من كتبهم

ومعارفهم، استنارت بلاد أوروبا بعلوم المسلمين وبمدنية الإسلام، بعدما كانت مظلمة والجهل مخيم عليها.

وهذا من أهم الأسباب في نهضة أوروبا الدنيوية الحديثة، ولذا يقول المنصفون منهم: نحن مدينون للمسلمين ولهم علينا معروف وإحسان.

أما من خصوص العقيدة والديانة والأخلاق فلم تزل أوروبا مظلمة، بل هي بازدياد من الكفر والزندقة والإلحاد، وإشاعة المعاصي، عياذاً بالله من ذلك.

وكذا أيضاً سجَّل التاريخ المجد والمفاخر والعز والنصر والفتوحات الإسلامية للدولة العباسية، ولها السيادة والقيادة، حتى ركنوا إلى شيء من الترف والميوعة، وحتى غيَّروا شيئاً من أحكام دينهم، فحصل عليهم ما هو معروف، ﴿ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

وكذا الدولة الأيوبية في حروبها مع الفرنج وغيرهم، حصل لها انتصارات عظيمة هي عز وفخر لجميع المسلمين.

وكذا الدولة العثمانية خصوصاً في عنفوان شبابها، معروف ما لها من جهاد وفتوحات إسلامية قبل نكستها وتنكبها طريق الهدى والرشاد.

فيا عباد الله ويا مسلمين، بالله ربكم، ما سبب فخر المسلمين وعزهم ونصرهم في ميادين الحروب؟ وما سبب عيشهم الرغد وأمنهم وطمأنينتهم؟ وما السبب في انتظام أحوالهم وجميل صفاتهم وزكاء أخلاقهم؟

وما سبب شرفهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة؟ هو ـ وعزة ربي ـ إيمانهم القوي وإسلامهم الصحيح، وهو العمل بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه؛ عقيدة وعبادةً وأحكاماً وأخلاقاً، ونظاماً.

وصدق الله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤١].

ولا سيادة ولا قيادة صحيحة للمسلمين إلا بطاعة الله ورسوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

نعم؛ نقولها مراراً وتكراراً: ليس للمسلمين عز، ولا نصر، ولا راحة، ولا أمن، ولا طمأنينة، ولا استقرار، ولا سيادة ولا قيادة، ولا زعامة صحيحة، إلا بالعمل بالقرآن، وسُنَّة ولد عدنان، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله.

والواقع قديماً وحديثاً شاهد بما نقول، فالحكومة السعودية حيث كانت عاملة بدين الحق، متمسكة بشريعة الإسلام، مطبقة لنظامه وأحكامه، أعزها الله وأيدها ونصرها على جميع أعدائها، وحفظها الله من كيد الكائدين ومكر الماكرين، والجزاء من جنس العمل، احفظ الله يحفظك.

نعم؛ رجال آل سعود ـ والحمد لله من توفيق الله لهم ـ واقفون مع الحق جنباً لجنب، مناصرون لأهله، من حين دعوة المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلى وقتنا الحاضر[1]، ولذا حصل للدولة السعودية المجد والفخر والعز والنصر في الدنيا، والثواب العظيم والأجر الجزيل، نرجوه لها من الله تعالى، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

---

(١) ولا تزال حكومة المملكة العربية السعودية ـ بحمد الله ـ على هذا الطريق الرشيد، حمى الله بلادنا وبلاد المسلمين من كل شر وفتنة وبلاء

فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ودعوة أحفاده وأولاده وجميع مشائخ الدولة السعودية، مع مناصرة آل سعود، دعوة إلى الحق والعمل بالحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال، دعوة هدفها والمقصود منها الصلاح والإصلاح.

دعوة إلى العمل بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ، وقد عم نفع هذه الدعوة كثيراً من العباد والبلاد، والفضل من الله، والمنة لله جَلَّ شأنه.

ثم لحكومتنا الرشيدة؛ حكومة آل سعود، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وجعلنا الله وإياهم وجميع المسلمين دائماً وأبداً عاملين بكتاب الله وسُنَّة محمد ﷺ، وداعين إلى ذلك، والله الموفق لا إلٰه غيره ولا رب سواه.

۞ ۞ ۞

قوة معنوية

نعم؛ قوة معنوية، لا قوة سلاح وعتاد، ولا قوة دولة وتدريب، قوة صامدة وغالبة، قوة حطمت قوى التمرد والطغيان فيما مضى، وستحطم قوى العالمية الطاغية اليوم وبعد اليوم إذا وجدت.

قوة هي القوة حقّاً، قوة غالبة لم تصمد لها أي قوة من قوى البشر، قوة لا نظير لها، قوة لا يشبهها قوة، قوة من فقدها فقد الثقة بنفسه فلا معنوية له، وفقد الثقة بمجتمعه وأبناء جنسه.

قوة أوجدت الزهد والورع والإنابة والتقى والخشية لله تعالى في قلوب المؤمنين، قوة تهذب الأخلاق، وتحفز الهمم، وتبارك العمر، وتزكي النفس، وتقوي القلب، وتغذي الروح، وتثير الحماسة، وتلهب الشجاعة في قلوب المسلمين.

قوة هي التي جعلت الصحابة والتابعين لهم بإحسان، رهباناً في ليلهم، أُسُوداً في مواطن الحروب في نهارهم، قوة عقدت أواصر المحبة والإخاء بين المؤمنين، وجعلتهم يقاتلون في سبيل الله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص.

هذه القوة التي كل ما تقدم بعض من نتائجها وثمراتها هي العقيدة الصحيحة؛ العقيدة الإسلامية والإيمان العميق الذي نبعه من صميم القلب، قوة قاعدتها واستمدادها والمغذي لها، هو القرآن المجيد وسُنَّة النبي الكريم: هذا هو أصلها، وفرعها هو العمل بدين الإسلام كله؛ عقيدة وأحكاماً وأخلاقاً.

قوة كسرت كسرى وقصرت قيصر، واستولت على ممالكهما الواسعة العظيمة، قوة لا قوة للمسلمين إلا بها، ولا عز ولا نصر لهم إلا إذا تحلوا بها في كل مكان وزمان، قوة ويا أسفاه أضاعها المسلمون فضاعوا قوة معنوية عظيمة.

قوة لها محاربون ولها أعداء، وقد وجدوا وبذلوا كل مجهود للقضاء عليها أو على الأقل إضعافها من قلوب المسلمين، نصبوا الحبائل والشباك، بل شنوها حرباً ضروساً شعواء من أجل زحزحة العقيدة الإسلامية عن قلوب المؤمنين والمؤمنات.

فيا مسلمين ويا شباب الإسلام، اثبتوا اثبتوا والله معكم، ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: ٢٥]، فأعداء العقيدة الإسلامية كل كفار عنيد، وكل شيطان مريد؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أن المسلمين إذا حققوا عقيدتهم وتحلوا بحلاها وارتدوا برداها، سوف يقضوا عليهم في الوقت الحاضر كما قضوا عليهم فيما مضى، وعد الله حق وقوله صدق: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

والتي كشرت أنيابها عداوة بلا هوادة، عداوة للعقيدة من جميع جوانبها؛ هي الشيوعية المتمردة، والماسونية الممقوتة، فهما في الكفة سواء في محاربة الأديان، والقضاء عليها نهائيّاً، وكذا جمعيات التبشير للمسيحية عدو لدود للإسلام والمسلمين، فكل هذه النحل وهذه المذاهب الخبيثة معاول هدامة لعقائد المسلمين، وأعمالهم، وأخلاقهم، وكرامتهم، وهي تعمل بجد ونشاط.

فانتبهوا يا قوم واستيقظوا يا نيام، استيقظوا يا شباب الإسلام، انتفضوا انتفاضة الأُسُود الزائرة والعقبان الكاسرة، وهدوا معاقل الكافرين والله مع المتقين، الله معكم يحفظكم وينصركم: ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ

أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥]، ولا بد من القوة المعنوية، وهي قوة العقيدة الإسلامية، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وهو تعالى حسبنا ونعم الوكيل، ولا بد من قوة السلاح والعتاد: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ولا بد أيضاً من التساعد، والتساند، والتكاتف بين المسلمين، وإن تباعدت الديار، هذه يا عباد الله هي قواعد النصر لمن أراد النصر على اليهود، وغيرهم من أعداء الإسلام والمسلمين.

يجب يا معاشر المسلمين أن لا نغالط أنفسنا، يجب أن نعرف ونتحقق بأننا لا نحافظ على الممالك الإسلامية، ولا ننتصر على أعداء الإسلام إلا إذا عملنا بدين الإسلام كله، وفق الله المسلمين رعاة ورعية لما فيه عزهم ونصرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

حفظ وعناية

حيث أن القرآن الكريم ـ كما هو معروف ـ هو القاعدة المتينة، والمرجع الأول، والأصل الأصيل للعقائد والعبادات والمعاملات، والأحكام والنظام والأخلاق.

وهو مصدر كل خير وفضيلة، أنزله الله تعالى ليكون تشريعاً عامّاً وشاملاً لكل أمة ولكل جيل من الأجيال، حتى قيام الساعة، فاقتضت مشيئة الله النافذة وحكمته الحكيمة أن يكون القرآن محفوظاً، محفوظاً من التغيير والتبديل، ومحفوظاً من الزيادة والنقصان، ومحفوظاً من التحريف والتصحيف، ومحفوظاً من حسد الحاسدين، وكيد الكائدين، وعبث العابثين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

مرت على القرآن الأعصار والأحقاب المتتابعة ١٣٩٥ سنة[١]، ولم يُزد فيه ولم ينقص منه ولا حرف واحد، مع كثرة الأحقاد والأعداء للقرآن وأهل القرآن.

ومِنْ حِفظه تعالى للقرآن عناية علماء المسلمين به عناية عظيمة فوق كل عناية، عناية ما جرى لها نظيراً في الأمم التي تقادم عهدها.

فأهل التوراة والإنجيل والزبور، ممن نزلت عليهم الكتب السماوية وغيرهم، ما حصل منهم عناية لكتب الله ولا عشر عشير ما حصل للقرآن

---

(١) الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

من هذه الأمة المحمدية، بل ليت كتب الله سلمت من طغيانهم وإلحادهم كما جرى لأهل التوراة والإنجيل، فإنهم غيَّروا وبدلوا وحرفوا لأغراضهم وأهوائهم.

أما هذه الأمة، أمة الإسلام، فهي خير أمة أخرجت للناس، فعند هذه الأمة والحمد لله احترام وتعظيم ومحبة لكتاب الله، فكثير من علماء المسلمين صحابة وتابعين من عنايتهم وتعظيمهم لكتاب الله كرَّسوا جهودهم لفهم معاني كلام الله تعالى.

ثم تلاهم من بعدهم تابع التابعين، فمن بعدهم إلى وقتنا الحاضر، فخدموا كتاب الله، فبيَّنوا ووضحوا بعض ما اشتمل عليه من علوم وفنون، وأوعبوا في هذا وأجادوا وأفادوا، ولم يدخروا وسعاً، فاستنارت بيوت المسلمين بالكتب المصنفة حول القرآن، وزخرت المكاتب الإسلامية بمئات التفاسير لكلام الله تعالى، وحتى أفراداً من المستشرقين كتبوا كتابة لا بأس بها في محيط القرآن.

وخدمة للقرآن وعناية من الله وحفظاً لكتابه، تنوعت كتابة علماء المسلمين على حسب أذواقهم ومواجيدهم وميولهم وفهومهم، وعلومهم وإدراكهم ومعارفهم وأحاسيسهم وشعورهم ومحبتهم وواقعهم.

واختلفت كتابة العلماء:

فمنهم: من أطنب وأسهب في تفسيره، ومنهم من اختصر، ومنهم ما بيَّن ذلك.

ومنهم: من كتب في أسباب النزول؛ كالسيوطي في كتابه: لباب النقول في أسباب النزول.

ومنهم: من أشار إلى عدِّ السور النازلة في مكة والسور النازلة في المدينة، وكذا إحصاء سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، كالزركشي في

كتابه: «البرهان في علوم القرآن»، وهو أربعة مجلدات، وهذا الكتاب عظيم، وفيه مباحث مفيدة، والسيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن» أكثر اعتماده على كتاب «البرهان»، وكتاب السيوطي جزآن في مجلد.

ومن الكتب المصنفة في هذا المعنى:

«مناهل العرفان في علوم القرآن»، يقع في مجلدين، بقلم الأستاذ محمد الزرقاني.

ومنها: «التبيان في علوم القرآن»، للأستاذ محمد الصابوني، مجلد.

ومنها: «مباحث في علوم القرآن»، بقلم الدكتور صبحي الصالح، مجلد.

ومنهم: من كتب في آداب حملة القرآن؛ كالنووي في كتابه: «البيان في آداب حملة القرآن»، هذه الكتابة تقع في جزء لطيف.

ومنهم: من كتب في فضائل القرآن، وهو جزء متوسط لابن كثير.

ومنهم: من كتب في قصص القرآن، ومن الذين طرقوا هذا الموضوع عبد الكريم الخطيب في كتابه: «القصص القرآني في منطوقه ومفهومه»، والكتاب مجلد واحد.

وبعض العلماء كتبوا في أحكام القرآن.

ومنهم: ابن العربي المالكي في كتابه: «أحكام القرآن»، وهذا الكتاب يقع في أربعة مجلدات[1].

---

(١) منهج ابن العربي في كتابه «أحكام القرآن»، (رسالة ماجستير)، إعداد الشيخ صالح بن عبد الرحمٰن البليهي رحمه الله، المتوفى سنة ١٤٢٦هـ، اعتنيت بخدمتها وكتبت ترجمة لمؤلفها، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ، دار قرطبة.

وبعض العلماء كتبوا في آيات الأحكام.

ومنهم: صديق حسن خان، وكتابه مجلد واحد، وذكر فيه قريباً من مائتين آية، وبعض العلماء يرى أن آيات الأحكام على سبيل التقريب خمسمائة آية.

وكثير من العلماء كتبوا في إعجاز القرآن.

منهم: أبو بكر الباقلاني، وهذا الكتاب مطبوع في «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، ومن الذين كتبوا في إعجاز القرآن وبلاغته: مصطفى صادق الرافعي، الكتابة في مجلد واحد مطبوع.

ومن الكتب المصنفة في محيط القرآن:

«الجمان في تشبيهات القرآن»، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين البغدادي.

ومنها: «معجم غريب القرآن»، لجلال الدين السيوطي.

ومنها: «ما دلَّ عليه القرآن مما يعضد الهيئة القويمة البرهان»، لمحمود شكري الألوسي.

ومنها: «تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه»، لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي.

ومنها: «الفوائد في مشكل القرآن»، للعز بن عبد السلام.

ومنها: «النسخ في الشريعة الإسلامية»، وبحث هذا الكتاب هو إنكار أن يكون في القرآن شيء منسوخ، عبد المتعال محمد الجبر.

ومنها: «التصوير الفني في القرآن»، سيد قطب.

ومنها: «تفسير آيات الأحكام»، محمد علي السايس.

ومنها: «مشاهد القيامة في القرآن»، سيد قطب.

ومنها: «معجم غريب القرآن مرتب على حروف الهجاء»، مستخرجاً من «صحيح البخاري»، محمد فؤاد عبد الباقي.

ومنها: «رفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»، محمد الشنقيطي.

ومنها: «تنزيه القرآن عن المطاعن»، عبد الجبار بن أحمد.

ومنها: «مع القرآن الكريم»، هذا الكتاب يبحث في بعض علوم القرآن وفنونه، محمود الحصري.

ومنها: «دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن»، الحاج صالح ناظم.

ومنها: «القرآن ينبوع العلوم والعرفان»، علي فكري.

ومنها: «معجم آيات القرآن»، حسن نصار.

ومنها: «أحكام القرآن»، للجصاص.

ومنها: «روائع البيان تفسير آيات الأحكام»، في مجلدين، محمد علي الصابوني.

ومنها: «إرشاد الراغبين في الكشف عن آي القرآن المبين»، محمد منير الدمشقي.

ومنها: «تفصيل آيات القرآن الحكيم»، وضعه بالفرنسية، جول لابوم، ويليه المستدرك، وهو فهرس مواد القرآن الذي وضعه إدوار مونتيه لترجمة الفرنسية للكتاب الكريم، نقلها إلى اللغة العربية، محمد فؤاد عبد الباقي.

ومنها: «نجوم الفرقان في أطراف القرآن»، لمؤلفه: فلوجل الألماني، من المستشرقين.

ومنها: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»، محمد فؤاد عبد الباقي.

ومنها: «مجاز القرآن»، المؤلف: معمر بن المثنى التميمي.

ومنها: «تحت راية القرآن، بين القديم والحديث»، للرافعي.

ومنها: «مبادئ أساسية لفهم القرآن»، نسخة لطيفة، لأبي الأعلى المودودي.

ومنها: «نظرات في القرآن»، محمد الغزالي.

ومنها: «إتحاف البررة بالمتون العشرة في القرآن والرسم والآي والتجويد»، جمع وترتيب: محمد الصباغ.

ومنها: «أسباب النزول»، للواحدي.

ومنها: «الناسخ والمنسوخ»، لأبي جعفر النحاس.

ومنها: «التبيان في أقسام القرآن»، ابن قيم الجوزية.

ومنها: «البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان»، محمد سعدي ياسين.

ومنها: «المصطلحات الأربع في القرآن»، أبو الأعلى المودودي.

ومنها: «الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام عثمان بن عفان»، محمد حبيب الشنقيطي.

ومنها: «النظم الفني في القرآن»، عبد المتعال الصعيدي.

ومنها: «معجزة القرآن في جنة الرضوان»، محمود شلبي.

ومنها: «المتشابه من القرآن تفسير الآيات الغامضة»، محمد علي حسن الحلي.

ومنها: «مشكلات القرآن ومشكلات الأحاديث»، بأقلام نوابغ العلماء.

ومنها: «رسالة في معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن»، لأبي عبد الله بن حزم.

ومنها: «ألفية أبي زرعة العراقي في تفسير غريب ألفاظ القرآن».

ومنها: «رسالة تتضمن ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل العربية»، لأبي القاسم بن سَلَّام.

ومنها: «الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، وعلم البيان»، ابن قيم الجوزية.

ومنها: «درة التنزيل وغرة التأويل، في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله تعالى»، محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي.

ومنهم: من كتب في بيان أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، وهي تنوف على ألف ومائتين سؤال، وهو أبو بكر الرازي.

ومن العلماء: من كتب في وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، وهو أبو البقاء العكبري.

ومنها: «مثار الاهتداء في بيان الوقف والابتداء»، محمد بن عبد الكريم الأشموني.

ومنها: «سراج القاري المبتدي، وتذكار المقري المنتهي»، علي بن عثمان بن محمد، وبهامشه «غياث النفع في القراءات السبع»، علي النووي.

ومنها: «أحكام القرآن»، للإمام الشافعي، جزآن في مجلد.

وجميع هذه الكتب والحمد لله مطبوعة، والذي ما طُبع، أو طُبع ولم نعرفه أكثر مما ذكرنا.

ومنها: «معجم القرآن»، وهو قاموس مفردات القرآن وغريبه، عبد الرؤوف المصري.

ومنها: «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، وعددها سبعون قاعدة، عبد الرحمٰن بن ناصر بن سعدي.

أيها القارئ الكريم، هذه الكتب التي مرت على ذهنك، وتمركزت في مخيلتك، لا شك ولا مراء بأنها قليل من كثير ما كتبه علماء الإسلام والمسلمين، في حقل القرآن، ومحيط القرآن، خدمة لكتاب الله العزيز، ونصحاً لعباد الله، وتحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩].

أما الكتب التي هي باسم التفاسير لكتاب الله تعالى، فهي شهيرة وكثيرة ليس بالإمكان حصرها ولا تعدادها، ومما لا شك فيه بأن الكتابة في إطار القرآن، وفي علومه وفنونه، وما اشتمل عليه، هو سلوك طريق لا منتهى له، وغوص في بحر لا قعر له، مع العلم أن علماء المسلمين جدُّوا واجتهدوا وأوعبوا، ولقوا في ما كتبوه العناء المعني، وأنهكوا أبدانهم، وأتعبوا أقلامهم، وبذلوا كل مجهود، ولم يدخروا وسعاً، ومن جرب الكتابة في فن من فنون العلم صدقني فيما أقول.

نعم؛ وبالله علماء الأمة الإسلامية بذلوا جهوداً جبارة مشكورة في جميع فنون العلم الذي يعود على الإنسانية بالخير والصلاح والسعادة في دنياها وأُخراها، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وأثابنا الله وإياهم ثواب المصلحين والمحسنين، وعباد الله المؤمنين.

نعم؛ والحمد لله علماء المسلمين كرسوا جهودهم، وأجادوا وأفادوا، وحققوا ونقحوا علوم الشريعة الإسلامية، وخلفوها لنا ثماراً ناضجة شهية.

وبالأخص علوم القرآن وفنونه المستمدة من ينابيعه الصافية، والله الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل.

أهداف نبيلة

يقيناً لا يعتريه شك بأن أول فاهم وعارف لعلوم القرآن وأحكامه، وما أريد به، هو من ربّى جيلاً مثاليّاً، وهو المرشد العظيم، والمعلم الكبير، هو محمد بن عبد الله صلاة الله وسلامه عليه.

وبعده ﷺ في الطليعة الأولى في فهم القرآن، ومعرفة أحكامه ومعانيه، هم علماء الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

ثم بعدهم علماء الأمة الإسلامية من التابعين، وتابع التابعين إلى وقتنا الحاضر، كتبوا وكتبوا ولم يدخروا وسعاً كلًّا بقدر ما يستطيع، على حسب علومهم، وفهومهم ومعارفهم، طيَّب الله ثراهم، كتبوا أثابهم الله في محيط القرآن وداخل هالته، كتابة واسعة النطاق.

ومهما كان ومهما يكن، هناك مواضيع في القرآن الكريم ما كُتب فيها بعد إلى وقتنا الحاضر وإلى ما بعده؛ لأنه الكتاب الخالد العظيم الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تحصى حكمه وأحكامه، ولا ينضب معينه، على مر الليالي وكر الدهور وتعاقب الأزمان.

وخير ما سرحت فيه الأفكار، وكرست فيه الجهود، وأتعبت فيه الأبدان، وأنفقت في سبيله الأموال، علماً وتعليماً وفهماً وتفهيماً، ودراسة وتفسيراً، واستنباطاً، هو كتاب الله الذي أنزله على رسوله ليكون نظاماً ودستوراً ومنهجاً لكل أمة ولكل جيل من الأجيال، هو الكتاب الذي جاء لإسعاد البشرية في دنياها وأُخراها، هو بستان العارفين،

ومفخرة المسلمين والمؤمنين وقاعدة عزهم ومجدهم، هو مصدر الأحكام والنظام.

وقد اشتقت والحمد لربي والمنة له تعالى، أن أكون من المتعقلين بدوحات القرآن السامقة، وأن أكون من جملة الواقفين تحت ظلال القرآن، تحت ظلاله الظليل الوارف، فأشارك علماء الإسلام والمسلمين، في الكتابة والبحث فيما هو في محيط القرآن، ولذا سميت هذا الكتاب: «**الهدى والبيان في أسماء القرآن**».

ورغبت في الكتابة في هذا الموضوع؛ لأني لم أر من كتب كتابة خاصة في أسماء القرآن.

وبعد الاشتياق للنزول في هذا الميدان الفسيح الواسع، عزمت وتوكلت على الله، ومن الله أستمد العون والإعانة، وأسأله جَلَّ شأنه التوفيق والتسديد، وإن لم أكن من فرسان هذا الميدان، ولكن تشبهاً بالقوم وإن لم أكن مثلهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم، وقد أجاد من قال:

فَتَشَبّهوا إن لَم تَكُونوا مِثلَهُم ... إِنَّ التَّشَبّه بِالكِرامِ فَلاحُ[1]

وأمنيتي ومقصودي وهدفي وعملي، هو عدُّ الآيات القرآنية، وإحصاؤها في جميع المواضيع التي يتطرق إليها بحثي، وهي كثيرة جدّاً، مع الكلام عليها بما تيسر، يسر الله ذلك بمنِّه وكرمه، وفعلاً والحمد لله خطوتُ خطوات واسعة مباركة في حدائق القرآن الغناء، وقطعت بعض الطريق، وعسى الله أن يأذن ويعين على الكمال والتمام، وأسأله تعالى حسن النية والقصد، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

ومن المحتمل أن يكون الكتاب أجزاء متعددة، وذلك منوط

---

(١) معجم الأدباء (٦/٢٨٠٨).

بإعانة الله وتوفيقه، وقد فرغت والمنة لله من تبييض الجزء الأول، وهو خاص بأسماء القرآن، وعدد الآيات التي ذكر الله فيها أسماء القرآن، وأوصافه اللائقة به، هي أربعمائة وثلاث وخمسون (٤٥٣) آية، وجميعها نسوقها على حسب ترتيب سور القرآن الكريم، من أول سورة الفاتحة حتى سورة البيِّنة، ونتكلم عليها إن شاء الله بما تيسر.

أما عدد أسماء القرآن التي نذكرها إن شاء الله قريباً، فهي ستة وأربعون (٤٦) اسماً، نذكرها بعون الله في آخر هذه المقدمة، مع العلم أن الزركشي في كتابه: «البرهان في علوم القرآن»، نقل عن القاضي أبي المعالي عزيزي بن عبد الملك، قال: اعلم أن الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسماً[١]، وكذا نقل السيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»، وسرد الزركشي أسماء القرآن المذكورة، واستدل لكل اسم بآية من القرآن، وتبعه على ذلك السيوطي[٢].

قال محرره: وعمداً تركت من الأسماء عشرة؛ لاعتقادي أنها أوصاف للقرآن وليست بأسماء، علماً بأن أبا الحسن التجيبي المشهور بالحرالي، عدَّ من أسماء القرآن نيفاً وتسعين اسماً[٣]، وفي اعتقادي أن ذلك لا يخلو من مبالغة والعلم عند الله تعالى، فمحتمل أن بعض ما ذكره الحرالي أوصافٌ للقرآن، وليست بأسماء، وكذلك ما ذكرناه من أسماء القرآن يحتمل أن بعضها أوصاف للقرآن وليست بأسماء، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، لا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه.

❁ ❁ ❁

(١) البرهان في علوم القرآن (ص١٦).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧٨).
(٣) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٣).

طريقتي في هذا الكتاب

أما طريقتي في هذا الكتاب من أوله إلى آخره، في جميع المواضيع التي أتطرق إليها في البحث، فهو ـ بإعانة الله ـ إحصاء الآيات وعدِّها، مع الكلام عليها بما يناسب الموضوع.

وإذا كانت الآيات القرآنية التي وردت في الموضوع أكثر من سبع آيات، فنكتفي بسياق سبع آيات؛ لأنه ليس بالإمكان ذكر جميع الآيات، مع العلم أن آية واحدة فيها كفاية ومقنع في إقامة الحجة وبيان المحجة، وفيها الشفاء وفيها الهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومما لا شك فيه بأن العاقل اللبيب، إذا عرف الدليل الأوكد، استبان له الطريق الأرشد، ولا مغالطة بأن الاطلاع على كثرة الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، مما يزيد الإيمان إيماناً والبصيرة تبياناً.

نعم؛ نكتفي بذكر سبع آيات تبركاً بذكر السبع، وتيمناً بذلك؛ لأن السبعة، والسبعة عشر، والسبع والعشرين، والسبعين لها أصول في الشريعة الإسلامية، كما هو معروف.

وتقدمت الإشارة بأن **الجزء الأول، خاص بأوصاف القرآن وأسمائه اللائقة به**.

أما **الجزء الثاني فهو خاص بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا**، اللائقة به تعالى، وبيان المعتقد السليم؛ معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، وعناوين هذا الجزء تقارب تسعين عنواناً.

وإن شاء الله نذكر في هذا الجزء بعض المذاهب الخبيثة الهدامة، كاشتراكية الشيوعية مع بيان عدد الآيات التي فيها الرد على الاشتراكية.

وبإعانة الله وتوفيقه، نذكر عدد الآيات الموجبة للحكم بما أنزل الله، ونذكر في هذا الجزء إن شاء الله مما يفتح الله به غير ما تقدم.

(تنبيه) ما أشرنا إليه هنا كتبنا فيه والحمد لله كتاباً سميناه (عقيدة المسلمين، والرد على الملحدين والمبتدعين) مكوَّن من جزأين عدد صفحاتهما (٦٨٠)، وعقيدة المسلمين التي أشرنا إليها طبعت سنة ١٤٠١هـ، وفي هذا العام إن شاء الله يعاد طبعها مع طبع هذا الكتاب ١٤٠٣هـ[١].

وأسأل الله جَلَّ شأنه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، التوفيق والتسديد والإعانة، على الكمال والتمام، إنه ربي وليُّ ذلك والمان به والقادر عليه، وأسأله تعالى أن يجعل ما أقوله وأعمله وأكتبه، خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً لعباد الله المؤمنين والمسلمين، ومن أسباب الفوز بجنات النعيم.

وما أردت إلا نفعاً وانتفاعاً، وما قصدت إلا صلاحاً وإصلاحاً، والتوفيق بيد الله والهداية من الله، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمد، وعلى

---

(١) كتبه المؤلف رحمه الله بأسلوب واضح ذكر فيه كثير من المذاهب والفرق المخالفة، وفنّد شبهها بالبرهان والدليل، طبع الكتاب عدة طبعات منها: الطبعة الأولى عام ١٤٠١هـ، وطبع الطبعة الثانية عام ١٤٠٩هـ، ط. المطابع الأهلية للأوفست، الرياض.

آله وأصحابه أجمعين، وقريباً إن شاء الله نشرع في المقصود، فحيث أنه تعالى أنزل القرآن الكريم لهداية البشرية، لهداية الخلق أجمعين، أنزله تعالى لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أنزله تعالى لإقامة العدل في الأرض ومنع الفساد.

أنزله جَلَّ شأنه ليكون منهاجاً ودستوراً ونظاماً، وتشريعاً للإنسانية كلها في كل زمان ومكان، أنزله الرب العظيم لبيان توحيده وإفراده بالعبودية، أنزله تعالى لإسعاد البشرية في دنياها وأُخراها، وأنزله تعالى لبيان المحجة، وإقامة الحجة على كل من بلغه القرآن، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

لِمَا تقدم ولغيره من المقاصد الجليلة، والأهداف السامية، سماه الله بأسماء، ووصفه بأوصاف تليق بجلالة القرآن وعظمته.

وبتوفيق الله وإعانته، ذكرنا من أسماء القرآن ستة وأربعين اسماً، سقناها مرتبة على حسب ورودها في القرآن كثرة وقلة، سقناها مفصلة مع البيان والإيضاح لمقاصد القرآن وأهدافه.

وبعد الانتهاء من هذا الحقل، سقنا جميع الآيات التي ذكر الله فيها أوصاف القرآن وأسماءه، مع الكلام عليها بما مَنَّ الله به، وعددها كما تقدم (٤٥٣) أربعمائة وثلاث وخمسون آية.

وهنا نذكر أسماء القرآن مجملةً بدون شرح، مرتبة على حسب الكثرة والقلة:

١ ـ فالله جَلَّ شأنه سمى القرآن منزلاً وتنزيلاً في اثنين وأربعين ومائة (١٤٢) آية.

٢ ـ وسماه آيات في مائة وثلاثين موضعاً.

٣ ـ وسماه كتاباً في سبع وسبعين آية.

٤ ـ وسماه قرآناً في ثلاث وسبعين آية.

٥ ـ وسماه الله حقّاً في إحدى وستين آية.

٦ ـ وسماه تذكرة وذكرى في خمسٍ وخمسين آية.

٧ ـ وسماه هدى في سبع وأربعين آية.

٨ ـ وسماه وحياً في خمس وأربعين آية.

٩ ـ وسماه صراطاً مستقيماً في ثلاث وثلاثين آية.

١٠ ـ وسماه الله تبياناً ومبيناً وبينات في ثلاثين آية.

١١ ـ وسماه صدقاً ومصدقاً وتصديقاً في اثنتين وعشرين آية.

١٢ ـ وسماه فصلاً ومفصلاً في ثمان عشرة آية.

١٣ ـ وسماه حديثاً في خمس عشرة آية.

١٤ ـ وسماه رحمة في خمس عشرة آية.

١٥ ـ وسماه قولاً وقيلاً في خمس عشرة آية.

١٦ ـ وسماه نوراً في اثنتي عشرة آية.

١٧ ـ وسماه الله كلماً وكلمات وكلاماً في اثنتي عشرة آية.

١٨ ـ وسماه عربيّاً في إحدى عشرة آية.

١٩ ـ وسماه نذيراً في إحدى عشرة آية.

٢٠ ـ وسماه سوراً في تسع آيات.

٢١ ـ وسماه علماً في تسع آيات.

٢٢ ـ وسماه مبشراً وبشرى وبشيراً في تسع آيات.

٢٣ ـ وسماه الله حكيماً ومحكماً في ثمان آيات.

٢٤ ـ وسماه ديناً قيماً في سبع آيات.

٢٥ ـ وسماه قصصاً في سبع آيات.

٢٦ ـ وسماه الله موعظةً في خمس آيات.

٢٧ ـ وسماه مباركاً في أربع آيات.

٢٨ ـ وسماه الله فرقاناً في أربع آيات.

٢٩ ـ وسماه بصائر في ثلاث آيات.

٣٠ ـ وسماه الله تعالى شفاءً في ثلاث آيات.

٣١ ـ وسماه بلاغاً في ثلاث آيات.

٣٢ ـ وسمى الله القرآن منادياً للإيمان في آية واحدة.

٣٣ ـ وسماه مثاني في آيتين من القرآن العزيز.

٣٤ ـ وسماه الله نبأً عظيماً في آيتين من آي الذكر الحكيم.

٣٥ ـ وسماه مجيداً في آيتين من كلام الله تعالى.

٣٦ ـ وسماه روحاً في آيتين من القرآن الكريم.

٣٧ ـ وسماه برهاناً في آية واحدة.

٣٨ ـ وسماه قولاً ثقيلاً في آية واحدة.

٣٩ ـ وسماه الله جَلَّ شأنه قولاً فصلاً في آية واحدة.

٤٠ ـ وسماه حكمة بالغة في آية واحدة.

٤١ ـ وسماه حكماً عربيّاً في آية واحدة.

٤٢ ـ وسماه حبل الله في آية واحدة.

٤٣ ـ وسماه زبوراً في آية واحدة.

٤٤ ـ وسماه بياناً في آية واحدة.

٤٥ ـ وسماه منادياً وإيماناً في آية واحدة.

٤٦ ـ وسماه الله أحسن الحديث، وأحسن القصص في آيتين من القرآن الكريم.

فهذه ستة وأربعون اسماً من أسماء القرآن الكريم، هي التي بعون الله قصدنا بيانها وإيضاحها وشرحها، وإحصاء الآيات الواردة في كل اسم منها.

ولو قال قائل: إن بعض هذه الأسماء أوصاف للقرآن وليست بأسماء، فنقول والعلم عند الله: هذا محتمل ولا مشاحة في هذا، فالقرآن الكريم، بأي اسم أو وصف ذكر لا يخرجه ذلك عن كونه كلام ربِّ العالمين، المنزل على خاتم الأنبياء، المتعبد بتلاوته، المعمول بأحكامه، المحفوظ من كل نقصٍ وزيادة وعيب، هو كلام الله تعالى، هو كلام الله حقيقة، هو كلام الله حروفه ومعانيه.

وقد أشرنا سابقاً: بأن الزركشي وهو من فحول العلماء في كتابه: «البرهان في علوم القرآن»، عدَّ من أسماء القرآن خمسة وخمسين اسماً، ولكنه مر عليها مر الكرام، فاستوعبها مع الكلام عليها في أربع ورقات ونصف ورقة، مع العلم أن كتاب الزركشي أربعة مجلدات، كل مجلد لا يقل عن خمسمائة صفحة.

وأيضاً السيوطي في كتابه: «الإتقان في علوم القرآن»، ذكر من أسماء القرآن خمسة وخمسين اسماً نقلاً عن أبي المعالي عزيزي ابن عبد الملك المعروف بشيذلة، والسيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مر على أسماء القرآن مر الكرام، فذكرها مع الكلام عليها، والاستدلال لها في أقل من ورقتين.

وكذا نقل الزركشي أسماء القرآن عن أبي المعالي المعروف بشيذلة، خمسة وخمسين اسماً، مع العلم أن أبا الحسن علي بن أحمد

التجيبي الحرالي، وفاته سنة ٦٤٧هـ، وله ترجمة في شذرات الذهب[١]، ذكر من أسماء القرآن نيفاً وتسعين اسماً، وفيما أعتقد أن بعض هذا العدد أوصاف للقرآن وليست بأسماء والعلم عند الله تعالى، وهذا أكثر عدد رأيته ذكر لأسماء القرآن، أما من خصوص عشرة الأسماء التي لم نذكرها فهي ما يلي:

قال الزركشي في أثناء سياقه لأسماء القرآن:

وسماه الله عجباً فقال: ﴿قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢].

وسماه تذكرة فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ﴾ [الحاقة: ٤٨].

وَسَمَّاهُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فَقَالَ: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وسماه متشابهاً فقال: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

وسماه عدلاً فقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥].

وسماه أمراً فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الطلاق: ٥].

وسماه عزيزاً فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١﴾ [فصلت: ٤١].

وَسَمَّاهُ أَرْبَعَةَ أَسَامِي فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ [عبس: ١٣، ١٤]. هذا سياق الزركشي بحروفه[٢].

قال محرره: ومن المعلوم والمتحقق يقيناً أن أسماء القرآن وأوصاف القرآن: هي من علوم القرآن ومعارفه وفنونه، ومن الأدلة على عظمة القرآن وعلو مكانته، ومن المعلوم أيضاً أن علماء الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً قد اعتنوا بكتاب الله العزيز فوق كل عناية.

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧/ ٣٣٠).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٦).

وخلقٌ كثير وجمٌّ غفير بذلوا جهوداً جبارة، كلها في سبيل خدمة هذا الكتاب العزيز، فكتبوا رحمهم الله وكتبوا، وأجادوا وأفادوا ولم يدخروا وسعاً، وأفنوا أعمارهم كل ذلك في سبيل الحفاظ على هذا التراث العظيم، والكنز الثمين، كتبوا غفر الله لهم وأسكنهم فسيح جناته في محيط القرآن، وداخل هالته، كل منهم ينفق مما عنده، وكلٌّ على حسب علمه وفهمه وإدراكه، ورغبته وميوله، وأحاسيسه وعواطفه، وسابقاً أشرنا إلى قليل من كثير مما كتبه علماؤنا الأفاضل، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ومع هذه الأعمال المتواصلة والجهود المبذولة، مع ذلك كله لم أر من كتب كتابة خاصة في أسماء القرآن، وقد راجعت كشف الظنون في أسماء الكتب والفنون، مع الذيل عليه، وراجعت أيضاً «الفهرست» لابن النديم فلم أجد من علماء الأمة الإسلامية، من كتب كتابة خاصة في أسماء القرآن، إلا أن ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمَّا ذكر بعض مصنفات ابن قيم الجوزية، عدَّ منها شرح أسماء الكتاب العزيز مجلداً ضخماً، وهذا الذي أشار إليه ابن رجب يحتمل أنه معدوم، ويحتمل أنه موجود في بعض المكاتب.

وأيضاً يفهم من سياق الزركشي في كتابه «البرهان» أن هناك كتاباً خاصّاً بأسماء القرآن، فإنه قال ما لفظه: أسماء القرآن، وقد صنَّف في ذلك الحرالي جزءاً وأنهى أساميه إلى نيف وتسعين. **قلت**: وليس ببعيد بأنه قد وجد كتب، خاصة في أسماء القرآن، ولكنها ما طبعت ولا برزت للوجود، أو طبعت ولا وصلت إلينا ولا سمعنا عنها خبراً، **وحيث أني لم أر من كتب في أسماء القرآن كتابة خاصة، حفزني ذلك أن أكتب كتاباً خاصّاً بأسماء القرآن.**

وحيث أن هذه المقدمة بإعانة الله وتوفيقه قاربت على الانتهاء، فحينئذٍ رأيت أنه من تمام الفائدة أن أسوق عشرين حديثاً من الأحاديث التي أبان وأشاد ونوَّه الرسول ﷺ بها عن شيء من فضائل القرآن، ووجوب فهمه ومعرفته والعمل به.

وخلقٌ كثير وجمٌّ غفير، من رجال هذه الأمة الإسلامية، وهم ما بين عالم وحكيم، وخطيب وأديب، وشاعر ماهر، وفصيح، وبليغ، تسابقوا في وصف فضائل القرآن المجيد، وما اشتمل عليه من حكم وأحكام وأسرار، وفصاحة وبلاغة، وجمال تركيب، وحسن أسلوب، وما فيه من المحاسن والمزايا.

ولكننا لا نجد أجمل ولا أبلغ ولا أسمى ولا أبهى من وصف صاحب الرسالة محمد بن عبد الله، عليه من الله الصلاة والسلام.

فعلينا أن نستمع، وبتوفيق الله ننتفع.

١ ـ عن عبد الله ـ يعني: ابن مسعود رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**إن هذا القرآن مأدبة الله، فاقبلوا مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فيستعتب، ولا يعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوة كل حرف عشر حسنات، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ: أَلِفٌ حرف، وَلَامٌ حرفٌ، وَمِيم حرفٌ**»[(١)].

قال المنذري، في كتابه «الترغيب والترهيب»: رواه الحاكم من رواية صالح بن عمر، عن إبراهيم الهجري، عن أبي الأحوص عنه،

(١) أخرجه الحاكم (٢٠٤٠)، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٢٤).

وقال: تفرد به صالح بن عمر عنه، وهو صحيح[(١)].

٢ ـ وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، فأخبره أنها ستكون فتن، قال: «**فما المخرج منها يا جبريل، قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، ونبأ ما هو كائن بعدكم، وفيه الحُكم بينكم، وهو حبلُ الله المتين، وهو النورُ المبين، وهو الصراطُ المستقيم، وهو الشفاء النافع، عِصْمة لمن تمسّك بهِ، ونجاة لمن اتَّبعه، لا يَعْوجُّ فَيُقَوَّم، ولا يزيغ فَيُسْتَعْتَبَ، ولا يَخْلَقُ على كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لا تلتبس به الأهواء، ولا تشْبع منه العلماء، هو الذي لم تنته الجنّ إذ سمعتْه أنْ قالوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١، ٢]، **من وَلِيَه من جبَّار فحكم بغير ما فيه قَصَمه الله، وَمَن ابتَغَى الهُدى في غيره أضلَّه الله، مَن قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومَن اتَّبعه هُدِي إلى صراط مستقيم**». قال المنذري في «جامع الأصول»: رواه رزين[(٢)].

٣ ـ وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ**». فَقُلْتُ: مَا المَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ**

---

(١) الترغيب والترهيب (٢٢٠٨).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٦٢٣٢).

الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ، حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، **مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». رواه الترمذي ولا يخلو إسناد هذا الحديث من مقال، ولكن له شواهد، ومعناه صحيح[(١)].

٤ ـ ومن فضائل القرآن: حديث النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ، يَقُولُ: «**يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدنيا، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ**»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهن بعد، قال: «**كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ، سوداوان بينهما شرق، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**»[(٢)]. رواه مسلم والترمذي، وقال في «النهاية»: الشرق ها هنا الضوء، وهو الشمس والشق أيضاً. اهـ.

٥ ـ وعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَآلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**». قَالَ مُعَاوِيَةُ بن سلام: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ[(٣)]. رواه مسلم وأحمد في المسند.

٦ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**مَا اجْتَمَعَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، وضعَّفه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم (٨٠٥).
(٣) أخرجه مسلم (٨٠٤).

قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»(١). رواه مسلم وأبو داود.

٧ ـ وعن زَيْدِ بْنِ أَرْطَاةَ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّكُمْ لَنْ تَرْجِعُوا إِلَى اللهِ بِأَفْضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنْهُ»**؛ يَعْنِي: القُرْآنَ(٢). رواه الترمذي، والإمام أحمد في «الزهد»، ورواه الحاكم من حديث أبي ذر.

٨ ـ وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»**(٣). رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، ورواه الدارمي في «سننه».

٩ ـ وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الأعمال أَحَبُّ إِلَى اللهِ؟ قَالَ: **«الحَالُّ المُرْتَحِلُ»**. قَالَ: وَمَا الحَالُّ المُرْتَحِلُ؟ قَالَ: **«الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ القُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ»**(٤). رواه الترمذي، والدارمي.

١٠ ـ وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»**(٥). رواه البخاري ومسلم، وأحمد، وأبو داود، والترمذي.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٢)، وضعَّفه الألباني.
(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والدارمي في مسنده (٣٣٥٦)، وضعَّفه الألباني.
(٤) أخرجه الترمذي (٢٩٤٨)، وقال: هذا حديث حسن غريب، والحاكم (٢٠٨٨)، وضعَّفه الألباني.
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

١١ ـ وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق، له أجران**»(١). متفق عليه.

١٢ ـ وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أن الرَسُول ﷺ قال: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ**»(٢). رواه الترمذي، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

١٣ ـ وَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِهِ، أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ضَوْؤه أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا؟**»(٣). رواه أبو داود، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

فمن أراد الفوز والسعادة والنعيم المقيم، فعليه أن يعمل بالقرآن، يروي لنا، فارس الفرسان وزاهد الزهاد:

١٤ ـ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، عن مصدر التشريع بعد الله؛ محمد بن عبد الله عليه من ربه السلام، أنه قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، فاسْتَظْهَره، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ أَدْخَلَهُ اللهُ بِهِ الجَنَّةَ وَشَفَّعَهُ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ قَدْ وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ**»(٤). رواه الترمذي، وابن ماجه.

١٥ ـ وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ**

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٣)، زقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد في مسنده (١٩٤٧)، والدارمي في مسنده (٣٣٠٦)، وضعَّفه الألباني.

(٣) أخرجه أبو داود (١٤٥٣)، وضعَّفه الألباني.

(٤) رواه الترمذي (٢٩٠٥)، وابن ماجه (٢١٦)، وضعَّفه الألباني جدّاً.

فِي دار الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»[١]. رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه وابن حبان، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وصاحب القرآن: هو الذي عمل به، وما من شك بأن الذي يؤمن بالقرآن ويعمل به عظيم وشريف في الدنيا، وسعيد في الآخرة، ومن أدلة ذلك: حديث عمر رضي الله عنه:

١٦ ـ عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ، أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ رضي الله عنه اسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي، قَالَ: ابْنَ أَبْزَى، قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا، قَالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ عز وجل، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[٢]. رواه مسلم، وابن ماجه، وأبو محمد الدارمي في «سننه».

١٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**»، قالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «**أهل القرآن هم أهل الله، وخاصته**»[٣]. رواه النسائي والدارمي وابن ماجه والحاكم، وإسناده صحيح، ورواه الإمام أحمد، ورمز له السيوطي بالصحة.

١٨ ـ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: «**عليك بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ الْأَمْرِ كُلِّهِ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦٧٩٩)، وأبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وحسَّنه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٢٧٩)، والنسائي في الكبرى (٨٠٣١)، وابن ماجه (٢١٥)، والدارمي (٣٣٢٦)، وصحَّحه الألباني.

زِدْنِي، قَالَ: «**عَلَيْكَ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ نُورٌ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَذُخْرٌ لك في السماء**»[١]. رواه ابن حبان في «صحيحه»، ورواه أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدري.

١٩ ـ وعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ هَذَا الْكِتَابَ، فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ أعطاه اللهُ مَالاً، فَتَصَدَّقَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**»[٢]. متفق عليه.

٢٠ ـ وعن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**»[٣]. رواه ابن ماجه في صحيحه.

قال ابن الأثير في «النهاية»: ومَاحِل مُصَدَّق؛ أَيْ: خَصْمٌ مجادَل مصدَّق،

وَقِيلَ: ساعٍ مُصدَّق، مِنْ قَوْلِهِمْ: مَحَلَ بفُلان، إِذَا سَعَى بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ؛ يَعْنِي: أنَّ مَنِ اتَّبَعه وعَمِل بِمَا فِيهِ، فَإِنَّهُ شافِعٌ لَهُ مَقْبول الشَّفاعة، ومصدَّق عَلَيْهِ فِيمَا يُرْفَع مِن مَساوِيه إِذَا تَرك العَملَ بِهِ[٤]. اهـ.

فهذه عشرون حديثاً من أحاديث الرسول ﷺ، التي أوضح بها شيئاً

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٦١)، والطبراني في الكبير (١٦٥١)، وقال الألباني: ضعيف جدّاً. الضعيفة (١٩١٠ و٦٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).

(٣) رواه ابن حبان في كتاب العلم، ذكر البيان بأن القرآن من جعله إمامه بالعمل قاده إلى الجنة ومن جعله وراء ظهره بترك العمل ساقه إلى النار (١٢٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٠١٩).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٢٤).

من عظمة القرآن وفضله، وفضل تلاوته مع التفهم والتدبر، مع العلم أن أحاديث الرسول في فضائل القرآن وفضل أهله العاملين بأحكامه ونظامه كثيرة جدّاً، وأيضاً كثير من علماء الإسلام، والمسلمين أجادوا وأفادوا في بيان شيء من فضائل القرآن، وبيان قدسيته وعظمته، كلٌّ قد أجرى جواده في هذا الميدان، وكد ذهنه كان ذلك منهم ـ طيب الله ثراهم ـ نظماً ونثراً، وقد عَنَّ لي أن أذكر أبياتاً شعرية مما جادت به قرائح العلماء والحكماء والأدباء من أمة الإسلام، مبتدئاً بشعر حسان بن ثابت فمَن بعده من صحابة الرسول ﷺ، رضي الله عنهم أجمعين، فمن بعدهم من علماء الإسلام والمسلمين، إلى يوم الناس هذا، مقتصراً على الأبيات الشعرية التي فيها مديح للقرآن، وفيها شواهد لأسماء القرآن وأوصافه، والقرآن كما هو معروف، نزل بلغة العرب فهو عماد لغتهم وهو الموسوعة الكبرى لحفظ اللغة العربية، والموسوعة الثانية هي أشعار العرب.

ولهذا كانوا يتساجلون ويتقارضون الشعر، ويتفاخرون به في أسواقهم ومجالسهم، ويعلقون في الكعبة ما استحسنوه منها، وعلماءُ التفسير؛ كابن جرير، والقرطبي، والألوسي، والشوكاني، ومحمد الشنقيطي وغيرهم، وعلماء اللغة والأدب والتاريخ وغيرهم الجميع يستشهدون بأشعار العرب، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشعر ديوان العرب[1].

فإلى القارئ ما وعدنا به، وبالله المستعان ولا بأس بذكر قليل من أشعار الجاهلية.

وبحوث العلماء في علوم القرآن نظماً ونثراً وبيان عظمته والحث

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء، لابن الأنباري (١/ ٦٢).

على التمسك به والتأدب بآدابه والعمل بأحكامه، كل ذلك خدمة لكتاب الله تعالى، وعدد الأبيات التي بإعانة الله نسجلها هي (١٣٤٠) بيتاً، وبعض أبيات القصائد فيها إثبات الصفات لله تعالى على الحقيقة لا على المجاز كما تقوله الجهمية، والمعتزلة والأشاعرة.

۞ ۞ ۞

ويتلو كتاب الله

(قال حسان رضي الله عنه يذم كفار قريش، وينوه بالقرآن الكريم)[١]:

لقدْ خابَ قومٌ غابَ عنهمْ نبيهمْ ... وقُدّس مَنْ يَسْري إليهِمْ ويَغْتَدي
ترحلَ عن قومٍ فضلتْ عقولهم ... وَحَلَّ عَلى قَومٍ بِنُورٍ مُجَدَّدِ
هداهمْ بهِ بعدَ الضلالةِ ربهم ... وأرشدهمْ، من يتبعِ الحقَّ يرشدِ
وهلْ يَستوي ضُلّالُ قوْمٍ تَسَفّهوا ... عمى وهداةٌ يهتدون بمهتدِ؟
لقدْ نزلتْ منهُ على أهلِ يثربٍ ... رِكابُ هُدىً، حلّتْ عليهِمْ بأسعُدِ
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حولهُ ... ويتلو كتابَ اللَّهِ في كلّ مسجدِ

كتاب الله أصبح هادياً

(وقال حسان مغتبطاً ومفتخراً بنصر الأنصار للرسول ﷺ، ويذكر رضي الله عنه أن القرآن هادياً)[٢]:

ثوَى في قرَيش، بضْعَ عشرَةَ حِجّة ... يُذكِّرُ، لو يَلْقى خليلاً مُؤاتِيا
وَيَعْرِضُ في أهلِ المَواسِمِ نفسَهُ ... فلمْ يرَ من يؤوي، ولمْ يرَ داعيا
فلمّا أتانا، واطمأنّتْ به النّوى ... فأصبحَ مسروراً، بطيبةَ، راضيا
بذلنا لهُ الأموالَ من جَلِّ مالنا ... وأنفُسَنا، عندَ الوَغَى، والتّآسِيا

(١) الطبقات الكبرى (١/ ٧٩).
(٢) المستدرك على الصحيحين (٤٢٥٥).

نحاربُ من عادى من الناس كلهم جميعاً، وإن كان الحبيبَ المصافيا
ونعلمُ أنّ اللَّهَ لا ربّ غيرهُ وإنّ كِتَابَ اللَّهِ أصْبَحَ هادِيا

(وقال حسان رضي الله عنه)[١]:

لقدْ نزلتْ منهُ على أهلِ يثربٍ رِكابُ هُدىً، حلّتْ عليهِمْ بأسعُدِ
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناسُ حولهُ ويتلو كتابَ اللَّهِ في كلّ مسجدِ
وَإنْ قَالَ في يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ فتصديقُها في اليَوْمِ أوْ في ضُحى الغدِ

(ومن قصيدة لحسان يمدح فيها النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وينوه بنذارة القرآن وهدايته، فيقول)[٢]:

أغَرُّ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنَ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ
وضمَّ الإلٰهُ اسمَ النبيّ إلى اسمهِ إذا قَالَ في الخَمْسِ المُؤذِّنُ أشْهَدُ
وشقّ لهُ منِ اسمهِ ليجلهُ فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ
نَبيٌّ أتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وَفَتْرَة منَ الرسلِ، والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأمْسَى سِرَاجاً مُسْتَنيراً وَهَادِياً يَلُوحُ كما لاحَ الصّقِيلُ المُهَنَّدُ
وأنذرنا ناراً، وبشرَ جنةً وعلمنا الإسلامَ، فاللَّهَ نحمدُ

(ومن قصيدة لحسان أيضاً قال فيها)[٣]:

فَلَمّا أتانا الرَّسولُ الرَّشيد بالحق والنور بعد الظلم
قُلنا صَدَقتَ رَسولَ المَليكِ هَلُمَّ إلَينا وَفينا أَقِم
فَنَشهَدُ أَنَّكَ عَبدُ الإلٰه أُرسِلتَ نوراً بِدينٍ قِيَم
فَإنّا وَأَولادَنا جُنَّةٌ نَقيكَ وَفي مالِنا فَاحتَكَم

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٤٢٧٤).
(٢) شرف المصطفى (٤/٢٠٩).
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٥٥٨).

(وقال حسان رضي الله عنه في يوم بني قريظة)[١]:

تَفاقَدَ مَعشَرٌ نَصَروا قُرَيشاً ... وَلَيسَ لَهُم بِبَلدَتِهِم نَصيرُ
هُمُ أوتوا الكِتابَ فَضَيَّعوهُ ... فَهُم عُميٌ مِنَ التَوراةِ بورُ
كَفَرتُم بِالقُرانِ وَقَد أُتيتُم ... بِتَصديقِ الَّذي قالَ النَذيرُ
فَهانَ عَلى سَراةِ بَني لُؤَيٍّ ... حَريقٌ بِالبُوَيرَةِ مُستَطيرُ

(ومن قصيدة لحسان رضي الله عنه، قال فيها يرثي رسول الله)[٢]:

وهلْ عدلتْ يوماً رزيةُ هالكٍ ... رزيةَ يومٍ ماتَ فيهِ محمدُ
تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ ... وَقَد كان ذا نورٍ، يَغورُ ويُنْجِدُ
يَدُلُّ على الرّحمٰنِ مَنْ يقتَدي بِهِ ... وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الخَزَايَا ويُرْشِدُ
إمامٌ لهمْ يهديهمُ الحقَّ جاهداً ... معلمُ صدقٍ، إنْ يطيعوهُ يسعدوا

(إلى أن قال):

وأمستْ بلادُ الحرم وحشاً بقاعها ... لغيبةِ ما كانتْ من الوحي تعهدُ
قفاراً سوى معمورةِ اللحد ضافها ... فقيدٌ، يبكيهِ بلاطٌ وغرقدُ
نوراً أَضاءَ عَلى البَرِيَّةِ كُلِّها ... مَن يُهدَ لِلنورِ المُبارَكِ يَهتَدِ
يا رَبِّ فَاجمَعنا مَعاً وَنَبِيَّنا ... في جَنَّةٍ تُنبي عُيونَ الحُسَّدِ

(وهذه القصيدة مد رواقها حسان وطوَّل النفس فيها، ومما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم صار بالقرآن الكريم هادياً وبشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً، ولذا قال حسان رضي الله عنه)[٣]:

شقّ لهُ منِ اسمهِ كي يجلهُ ... فذو العرشِ محمودٌ، وهذا محمدُ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٧٢).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٦٦٧).
(٣) شرف المصطفى (٤/ ٢٠٩).

نَـبـيٌّ أتَـانَـا بَـعْـدَ يَـأسٍ وَفَـتْـرَةٍ ... منَ الرسلِ، والأوثانِ في الأرضِ تعبدُ
فَأمْسَى سِرَاجاً ومُسْتَنيراً وَهَادِياً ... يَلُوحُ كما لاحَ الصّقِيلُ المُهَنَّدُ
وأنـذرنـا نـاراً، وبـشـرَ جـنـةً ... وعلمنا الإسلامَ، فاللَّهَ نحمدُ
وأنتَ إلٰهَ الخلقِ ربي وخالقي ... بذلكَ ما عمرتُ في الناسِ أشهدُ
تَعَالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قَوْلِ مَن دَعا ... سِوَاكَ إلهاً، أنْتَ أعْلَى وَأمْجَدُ
لكَ الخلقُ والنعماءُ، والأمرُ كلهُ، ... فإيّاكَ نَسْتَهْدي، وإيّاكَ نَعْبُدُ
لِأَنَّ ثَـوابَ الـلَّـهِ كُـلَّ مُـوَحِّـدٍ ... جِنانٌ مِنَ الفِردَوسِ فيها يُخَلَّدُ

(والقرآن الكريم عظيم ومطهر، ولما رثى حسان رضي الله عنه أهل مؤته، بقصيدته الرائية قال في آخرها)[1]:

هـمُ أولـيـاءُ الـلَّـهِ أنـزلَ حـكـمـهُ ... عليهم، وفيهمْ ذا الكتابُ المطهرُ
بـهـاليلُ منـهـمْ جعفرٌ وابنُ أمهِ ... عليٌّ، ومنهمْ أحمدُ المتخيرُ
وحمزةُ، والعباسُ منهمْ، ومنهمُ ... عقيلٌ، وماءُ العودِ من حيثُ يعصرُ

القرآن وحي ونور

(وقال حسان رضي الله عنه)[2]:

أمير علينا رسول المليك ... أحبب بذلك إلينا أميراً
رسول نصدق ما جاءه ... من الوحي كان سراجاً منيراً

(ومن قصيدة لحسان وهي طويلة، قال فيها)[3]:

فَلَمّا أَتانا رَسولُ المَليكِ ... بالنور والحق بعد الظلم

(١) تاريخ دمشق (٧٢/ ١٣٠).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٨٧).
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٥٥٨).

رَكُـنّـا إِلَـيـهِ وَلَـم نَـعـصِـهِ غَـداةَ أَتـانـا مِـنَ أرضِ الـحَـرَم
وَقُلنا صَدَقتَ رَسولَ المَليكِ هَـلُـمَّ إِلَـيـنـا وَفـيـنـا أَقِـم
فَـنَـشـهَـدُ أَنَّـكَ عَـبـدُ الـمَـلـيـكِ أُرسِـلـتَ حـقّـاً بِـديـنٍ قِـيَـم

القرآن نور

(وقال حسان)[١]:

الـلَّـهُ أَكـرَمَـنـا بِـنَـصـرِ نَـبِـيِّـهِ وَبِـنـا أَقـامَ دَعـائِـمَ الإِسـلامِ
وَبِـنـا أَعَـزَّ نَـبِـيَّـهُ وَكِـتـابَـهُ وَأَعَـزَّنـا بِـالـضَـربِ وَالإِقـدامِ
في كُلِّ مُعتَرَكٍ تُطيرُ سُيوفُنا فيهِ الجَماجِمَ عَن فِراخِ الهامِ
يَنتابُنا جِبريلُ في أَبياتِنا بِفَرائِضِ الإِسلامِ وَالأَحكامِ
يَتلو عَلَينا النورَ فيها مُحكَماً قِسماً لَعَمرُكَ لَيسَ كَالأَقسامِ
فَنَكونُ أَوَّلَ مُستَحِلٍّ حَلالِهِ وَمُحَرِّمٍ لِلَّهِ كُلَّ حَرامِ
نَحنُ الخِيارُ مِنَ البَرِيَّةِ كُلِّها وَنِظامُها وَزِمامُ كُلِّ زِمامِ

(وقال حسان من قصيدة له طويلة، هجا فيها أبا سفيان لما هجا النبي ﷺ، وذلك قبل أن يسلم أبو سفيان، والشاهد لنا منها قوله)[٢]:

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا وكانَ الفَتْحُ، وانْكَشَفَ الغِطاءُ
وإلا، فاصبروا لجلادِ يومٍ يعزُّ اللَّهُ فيهِ مَنْ يشاءُ
وَجِبْرِيلٌ أمِينُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ القُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
وَقَالَ اللَّهُ: قَدْ أرْسَلْتُ عَبْداً يقولُ الحقَّ إنْ نفعَ البلاءُ

---

(١) ترتيب الأمالي الخميسية، للشجري (١/ ١٨٧).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٤٣٣).

تنزيل نص مليكنا

(ومن قصيدة لحسان رضي الله عنه، قالها في غزوة الأحزاب، والشاهد لنا منها قوله)[١]:

وكفى الإلٰهُ المؤمنينَ قتالهمْ ... وَأثَابَهُمْ في الأجْرِ خَيْرَ ثَوَابِ
مِنْ بَعدِ ما قَنَطوا، فَفَرّجَ عَنهُمُ ... تنزيلُ نصّ مليكنا الوهابِ
وَأقَرَّ عَيْنَ مُحَمّدٍ وَصِحابِهِ ... وأذلَّ كلَّ مكذبٍ مرتابِ

ضياء نور

(وكان ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم لخديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ، وكان ممن قرأ الكتب، وعرف من ذلك، ومن وصف خديجة أنه سيبعث نبي آخر الزمان، وعلى سبيل التقريب في آخر حياة ورقة، وكان ورقة يتمنى أن يدركه، فيؤمن به وينصره، ولهذا قال لما أخبرته خديجة بما أخبرها به الرسول ﷺ، حيث جاءه جبريل وهو في غار حراء)[٢]:

لججت، وكنت في الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف ... فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي ... حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس ... من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمدا سيسود فينا ... ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور ... يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خساراً ... ويلقى من يسالمه فلوجا

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٢٥٨).
(٢) الشريعة، للآجري (٩٧٢).

فيا ليتي إذا ما كان ذا كم ... شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولوجاً بالذي كرهت قريش ... ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجي بالذي كرهوا جميعاً ... إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر ... بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور ... يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك فكل فتى سيلقى ... من الأقدار متلفة حروجا

نافلة القرآن

(ومن قصيدة كعب بن زهير التي مطلعها: بانت سعاد، قال في أثنائها)[1]:

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وإنْ طالَتْ سَلامَتُهُ ... يَوْماً على آلَةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ
نبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَني ... والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ ... الْقُرْآنِ فيها مَواعظٌ وتَفْصيلُ
لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشاة ولَمْ ... أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ

نبغي الهدى

(وقال سواد بن قارب الدوسي: كنت كاهناً في الجاهلية، فقال له عمر رضي الله عنه: حدثني من حديثك، قال: إنه لعجب، فبينا أنا نائم إذ أتاني نجي فضربني برجله، ثم قال: يا سواد بن قارب، اسمع أقل لك. قلت: هات، قال)[2]:

عجبت للجن وإبلاسها ... وشدها العيس بأحلاسها

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني (١٩/ ١٧٨).
(٢) المستدرك على الصحيحين (٦٥٥٨).

تهوي إلى مكة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجن كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... واسم بعينك إلى رأسها

(وقال عم الرسول أبو طالب في آخر قصيدته اللامية)[١]:

لقد عَلموا أنَّ ابْنَنا لا مُكذَّبٌ ... لَدَينا ولا يُعْنىَ بقَوْلِ الأباطلِ
فأصبحَ فينا أحمدٌ في أُرومة ... تُقصِّرُ عنه سَورةُ المُتَطاوِلِ
حدبت بنفسي دونَهُ وحَمَيتُهُ ... ودافَعْتُ عنه بالذرا والكلاكلِ
فأيده رب العالمين بنصره ... وأظهر ديناً حقه غير باطل

(ومن قصيدة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قال في أولها)[٢]:

أَمِن طَيفِ سَلمى بِالبِطاحِ الدَمائِثِ ... أَرِقتَ وَأَمرٍ في العَشيرَةِ حادِثِ
أَرى مِن لُؤَيٍّ فِرقَةً لا يَصُدُّها ... عَنِ الكُفرِ تَذكيرٌ وَلا بَعثُ باعِثِ
رَسولٌ أَتاهُم صادِقٌ فَتَكَذَّبوا ... عَلَيهِ وَقالوا: لَستَ فينا بِماكِثِ
إِذا ما دَعَوناهُم إِلى الحَقِّ أَدبَروا ... وهروا هرير المحجرات اللَواهِثِ

يقص لنا ما قال نوح

(ومن قصيدة لأبي قيس الأنصاري رضي الله عنه، قال في أولها)[٣]:

ثوَى في قرَيش، بضْعَ عشرَةَ حِجّة ... يُذكِّرُ، لو يَلْقى صديقاً مُؤاتِيا
وَيَعْرِضُ في أهلِ المَواسِمِ نفسَهُ ... فلمْ يرَ من يؤوي، ولمْ يرَ داعيا
فلمّا أتانا، أظهر اللّه دينه ... فأصبحَ مسروراً، بطيبةَ، راضيا
وَأَلْفَى صَدِيقاً وَاطْمَأَنّتْ بِهِ النّوَى ... وَكَانَ لَهُ عَوْناً مِنْ اللّهِ بَادِيا

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٢٨٠).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٥٩٢).
(٣) المستدرك على الصحيحين (٤٢٥٥).

يَقُصّ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا

ومنفوحة: بلد الأعشى في هذا الزمن، قد اتصلت في مدينة الرياض من الناحية الجنوبية.

(وقال الأعشى حين أقبل من بلده قاصداً الرسول ﷺ ليسلم، ولكنه لم يفعل تعرضه كفار قريش، فأعطوه مائة من الإبل، فرجع فسقط من بعيره في قاع بلده منفوحة، فمات على كفره، قال في أثناء قصيدة)[١]:

وآليت لا آوي لها من كلالة ولا من حفي حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تراحي وتلقي من فواضله ندى
نبيّاً يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل فليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد نبي الإلٰه حيث أوصى وأشهدا
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله فترصد للأمر الذي كان أرصدا

دينك دين صدق

(وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)[٢]:

أَلَا هَلْ أَتَى رَسُوْلَ اللَّهِ أَنِّي حَمَيْتُ صَحَابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي
أذود بها أوائلهم ذياداً بكل حزونة وبكل سهل
فَمَا يَعتَدُّ رَامٍ فِي عَدُوٍّ بِسَهْمٍ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ قَبْلِي
وذلك أن دينك دين صدق وذو حق أتيت به وعدل

(١) تاريخ دمشق (٦١/ ٣٢٩).
(٢) تاريخ دمشق (٢٠/ ٣١٩).

ينجى المؤمنون به ويجزى ... به الكفار عند مقام مهل

أمر الله يأخذ بالقلوب

(وقال حسان رضي الله عنه، في آخر قصيدة قالها بعد وقعة بدر)[١]:

فغادرنا أبا جهلٍ صريعاً ... وعتبةَ قدْ تركنا بالحبوبِ
وشيبةَ قدْ تركنا في رجالٍ ... ذوي حسبٍ، إذا نسبوا، حسيبِ
يناديهمْ رسولُ اللَّهِ، لما ... قذفناهمْ كباكبَ في القليبِ
ألمْ تَجِدُو كلامي كانَ حَقّاً ... وأمرُ اللَّهِ يأخذُ بالقلوبِ
فَما نَطَقُوا، ولَو نَطَقوا لَقالوا: ... صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رَأيٍ مُصِيبِ

(ومن الشواهد لأسماء القرآن ما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في يوم بدر)[٢]:

فرقان من اللَّه منزل

ألم تَرَ أَن اللَّه أبلى رَسُوله ... بلَاء عزيزٍ ذِي اقتدارٍ وَذي فضل
بِمَا أنزل الْكفَّار دَار مذلةٍ ... فلاقوا هواناً من إسارٍ وَمن قَتِل
فأمسى رَسُول اللَّه قد عز نَصره ... وَكَانَ رَسُول اللَّه أرسل بِالْعَدْلِ
فجَاء بفرقانٍ من اللَّه منزلٍ ... مبينةٌ آيَاته لِذَوي الْعقل
وَأنكر أقوامٌ فزاغت قُلُوبهم ... فَزَادَهُم ذُو الْعَرْش خبلاً على خبل
وَأمكن مِنْهُم يَوْم بدرٍ رَسُوله ... وقوماً غضاباً فعلهم أحسن الْفِعْل

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٦٤٠).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ١١).

(ومن شواهد أسماء القرآن ما قال حسان رضي الله عنه في يوم بدر، فمن قصيدته قوله)[١]:

بحبل غير منجذم

مُسْتَعصِمينَ بحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمِ ... مستحمٍ منْ حبالِ اللَّهِ ممدودِ
فينا الرسولُ وفينا الحقُّ نتبعهُ ... حتى المماتِ، ونصرٌ غيرُ محدودِ
وافٍ، وماضٍ، شهابٌ يستضاءُ بهِ ... بدرٌ أنارَ على كلّ الأماجيدِ

(وقال حسان رضي الله عنه يهجو بني جمح، فمنها قوله)[٢]:

قتلت بنو جمح ببدر عنوة ... وتخاذلوا سعيا بكل سبيل
جحدوا الكتاب وكذبوا بمحمد ... واللَّه يظهر دين كل رسول

(وقال حسان أيضاً بعد قتل عثمان رضي الله عنه)[٣]:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

ينزل من جو السماء

(وقال كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه في أثناء قصيدة له طويلة، والشاهد لأسماء القرآن من قصيدة كعب هو قوله)[٤]:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتْبَعُ أَمْرَهُ ... إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَطَلّعُ
تَدَلّ عَلَيْهِ الرّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبّهِ ... يَنْزِلُ مِنْ جَوّ السّمَاءِ وَيُرْفَعُ
نُشَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا ... إِذَا مَا اشْتَهَى أَنّا نُطِيعُ وَنَسْمَعُ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٠).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٣).
(٣) تاريخ المدينة، لابن شبة (٤/ ١٢٣٩).
(٤) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ١٣٣).

يتلو كتاب الله

(وقال قيس بن بحر الأشجعي بعد إجلاء بني النضير في آخر قصيدة له)[١]:

فمن مبلغ عني قريشاً رسالة ... فهل بعد في المجد من متكرم
بأن أخاكم فاعلمن محمداً ... تليد الندى بين الحجون وزمزم
فدينوا له بالحق تجسم أموركم ... وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبي تلاقته من اللَّه رحمة ... ولا تسألوه أمر غيب مرجم
فقد كان في بدر لعمري عبرة ... لكم يا قريشا والقليب الملمم
غداة أتى في الخزرجية عامداً ... إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
معاناً بروح القدس ينكى عدوه ... رسولاً من الرحمٰن حقّاً بمعلم
رسولاً من الرحمٰن يتلو كتابه ... فلما أنار الحق لم يتلعثم
أرى أمره يزداد في كل موطن ... علواً لأمر حمه اللَّه محكم

مواعظ من ربنا

(ومن شواهد أسماء القرآن: ما قاله كعب بن مالك في أثناء قصيدة له)[٢]:

وَمَوَاعِظٌ مِنْ رَبِّنَا نُهْدَى بِهَا ... بِلِسَانِ أَزْهَرَ طَيِّبِ الْأَثْوَابِ
عُرِضَتْ عَلَيْنَا فَاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهَا ... مِنْ بَعْدِمَا عُرِضَتْ عَلَى الْأَحْزَابِ
حكماً يَرَاهَا الْمُجْرِمُونَ بِزَعْمِهِمْ ... حَرَجاً وَيَفْهَمُهَا ذَوُو الْأَلْبَابِ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ١٩٦).
(٢) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٦٠).

(ومن الشواهد لأسماء القرآن: قول حسان رضي الله عنه في آخر قصيدة له)[١]:

أمير علينا رسول المليك ... أحب بذلك إلينا أميرا
رسول نصدق ما جاءه ... ويتلو كتاباً مضيئاً منيراً

قتلناكم على تنزيله

(ومن الشواهد لأسماء القرآن الكريم: قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حينما دخل الرسول ﷺ مكة معتمراً عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقة الرسول، ويقول مفتخراً ومعتزاً ومرتجزاً)[٢]:

خَلّوا بَني الكُفّارِ عَن سَبيلِهِ ... خَلّوا فَكُلُّ الخَيرِ في رَسولِهِ
يا رَبُّ إِنّي مُؤمِنٌ بِقيلِهِ ... أَعرِفُ حَقَّ اللَّهِ في قَبولِهِ
نَحنُ قتلناكم عَلى تَأويلِهِ ... كَما قتلناكم عَلى تَنزيلِهِ
ضَرباً يُزيلُ الهامَ عَن مَقيلِهِ ... وَيُذهِلُ الخَليلَ عَن خَليلِهِ

(وقد كان عبد الله بن الزبعري شاعراً مجيداً، وكان في صف الكفار من قريش، ولذا أكثر من هجاء المسلمين، ولكنه أسلم بعد فتح مكة، واعتذر عما سلف، ومن الشواهد لأسماء القرآن قوله في أثناء قصيدة)[٣]:

فَالْيَوْمَ آمَنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... قَلْبِي وَمُخْطِئُ هَذِهِ مَحْرُومُ
مَضَتْ الْعَدَاوَةُ وَانْقَضَتْ أَسْبَابُهَا ... وَدَعَتْ أَوَاصِرُ بَيْنَنَا وَحُلُومُ
فَاغْفِرْ فِدًى لَك وَالِدِيّ كِلَاهُمَا ... زَلَلِي، فَإِنّك رَاحِمٌ مَرْحُومُ

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٢٨٧).
(٢) المعجم الكبير، للطبراني (٤١٦).
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٤١٩).

وَعَلَيْك مِنْ عِلْمِ الْمَلِيكِ عَلَامَةُ نُورٍ أَغَرّ وَخَاتَمٌ مَخْتُومُ
أَعْطَاك بَعْدَ مَحَبّةٍ بُرْهَانَهُ شَرَفاً وَبُرْهَانُ الْإِلَهِ عَظِيمُ
وَلَقَدْ شَهِدْت بِأَنّ دِينَك صَادِقٌ حَقّ وَأَنّك فِي الْعِبَادِ جَسِيمُ

(ومن الشواهد أيضاً قول عباس بن مرداس رضي الله عنه، شهد مع الرسول ﷺ حنيناً، وقال في ذلك قصيدة قوية المباني رائعة المعاني، ختمها بقوله)[١]:

ولكن دين اللّه دين محمد رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا وليس لأمر حمه اللّه دافع

القرآن كتاب حق

(وقال سلمة بن عياض الأسدي، صحابي جليل)[٢]:

رأيتك يا خير البرية كلها نشرت كتاباً جاء بالحق معلماً
شرعت لنا فيه الهدى بعد رجعنا عن الحق لما أصبح مظلماً

القرآن برهان

(قال العباس بن مرداس رضي الله عنه)[٣]:

رأيتك بأخير الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا نَشَرْتَ كِتَاباً جَاءَ بِالْحَقِّ مُعْلِمَا
وَنَوَّرْتَ بِالْبُرْهَانِ أَمْراً مُدَلَّساً واطفأت بالبرهان نار تَضَرَّمَا
فَمَنْ مبَلَّغَ عَنِّي النَّبِيَّ مُحَمَّداً وَكُلُّ امْرِئٍ يُجْزَى بِمَا قد تكلما
تَعَالَى عُلُوّاً فَوْقَ عَرْشِ إِلَهِنَا وَكَانَ مَكَانُ اللَّهِ أَعْلَى وَأَعْظَمَا

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٤٦٢).
(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ١٢٨).
(٣) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٧/ ٣٦).

القرآن وحي وتنزيل

(وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضي الله عنه في أثناء قصيدة له، يرثي فيها رسول الله ﷺ)[١]:

لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيْبَتُنَا وَجَلَّتْ ... عَشِيَّةَ قِيْلَ: قَدْ قُبِضَ الرَّسُوْلُ
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بها جوانبها تميل
فَقَدْنَا الوَحْيَ وَالتَّنْزِيْلَ فِيْنَا ... يَرُوْحُ بِهِ وَيَغْدُو جِبْرَئِيْلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَالَتْ عَلَيْهِ ... نُفُوْسُ الخلق أَوْ كَادَتْ تَسِيْلُ
نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا ... بِمَا يُوْحَى إِلَيْهِ وَمَا يَقُوْلُ
وَيَهْدِيْنَا فَلَا نَخْشَى ضَلَالاً ... عَلَيْنَا وَالرَّسُوْلُ لَنَا دَلِيْلُ

كتاب الله

(وقال سويد بن عدي الطائي، وهو شاعر مخضرم)[٢]:

تركت الشعر واستبدلت منه ... إذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب اللّه ليس له شريك ... وودعت المدامة والندامى

آيات حق من الرحمن

(ومن الشواهد أيضاً قول الشاعر البوصيري، في أثناء قصيدته)[٣]:

دَعْنِي وَوَصْفِي آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ... ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلاً عَلَى عَلَمِ
فَالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْناً وَهُوَ مُنْتَظِمٌ ... وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْراً غَيْرَ مُنْتَظِمِ
فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ المَدِيحِ إِلَى ... مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلَاقِ وَالشِّيَمِ

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/١٦٧٦).
(٢) الاشتقاق (ص٣٨٨).
(٣) البردة (ص٢٦).

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنُ مُحْدَثَةٌ ... قَدِيمَةُ صِفَةُ المَوْصُوفِ بِالقِدَمِ
دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةً ... مَنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ
مُحْكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِي شِقَاقٍ وَمَا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ
مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عَادَ مِنْ حَرَبٍ ... أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ
رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الْحَرَمِ
لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ ... وَفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الْحُسْنِ وَالقِيَمِ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا ... وَلَا تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بِالسَّأَمِ
قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قَارِيهَا فَقُلْتُ لَهُ ... لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللَّهِ فَاعْتَصِمِ
إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى ... أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَىَ مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

آياته مشرقة المعاني

(وقال الشيخ الصالح أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي)[1]:

أوصيكم بالقول في القرآن ... بقول أهل الحق والإتقان
ليس بمخلوق ولا بفان ... لكن كلام الملك الديان
آياته مشرقة المعاني ... متلوة للَّه باللسان
محفوظةً في الصدر والجنان ... مكتوبةٌ في الصحف بالبنان
والقول في الصفات يا إخواني ... كالذات والعلم مع البيان
إمرارها من غير ما كفران ... من غير تشبيهٍ ولا عطلان

(إلى آخر القصيدة التي تعتبر عقيدة من عقائد المسلمين)

---

(١) البداية والنهاية (١٣/ ٧٢).

نعم المطية للفتى آثار

(وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فيما رواه عنه ابنه عبد الله)[١]:

دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارٌ ... نِعْمَ الْمَطِيَّةُ لِلْفَتَى الآثَارُ
لا تَرْغَبَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ ... فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ
وَلَرُبَّمَا جَهِلَ الْفَتَى أَثَرَ الْهُدَى ... وَالشَّمْسُ بَازِغَةٌ لَهَا أَنْوَارُ

هو نور

(وقال منصور الفقيه؛ وهو أبو الحسن منصور بن إسماعيل، فقيه على مذهب الشافعي)[٢]:

خالَفوني وَأَنكروا ما أَقولُ ... قُلتُ لا تَعجَلوا فَإِنّي سَؤولُ
ما تَقولونَ في الكِتاب قالوا ... هو نورٌ عَلى الصَّوابِ دَليلُ
وَكَذا سُنَّةُ الرَّسولِ وَقد ... أفلَحَ من قالَ ما يقولُ الرَّسولُ
وَاتفاقُ الجَميعِ أَصلٌ وما ... تُنكِرُ هذا وَذا وذاكَ العقولُ

اقتد بكتاب الله

(وقال الإمام أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ، يذم التقليد)[٣]:

يَا سَائِلِي عَنْ مَوْضِعِ التَّقْلِيدِ خُذْ ... عَنِّي الْجَوَابَ بِفَهْمِ لُبٍّ حَاضِرِ
وَاصْغِ إِلَى قَوْلِي وَدِنْ بِنَصِيحَتِي ... وَاحْفَظْ عَلَيَّ بَوَادِرِي وَنَوَادِرِي
لَا فَرْقَ بَيْنَ مُقَلِّدٍ وَبَهِيمَةٍ ... تَنْقَادُ بَيْنَ جَنَادِلَ وَدَعَاثِرِ

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٤٥٩).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢٢٣٧).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١٨٨٨).

تبـاً لِـقَـاضٍ أَوْ لِـمُـفْـتٍ لَا يَـرَى عِـلَـلاً وَمَـعْـنًـى لِـلْـمَـقَـالِ الـسَّـائِـرِ
فَـإِذَا اقْـتَـدَيْـتَ فَـبِـالْـكِـتَـابِ وَسُـنَّـةٍ الْـمَـبْـعُـوثِ بِـالدِّينِ الْـحَـنِيفِ الطَّـاهِـرِ
ثُـمَّ الـصَّـحَـابَـةِ عِـنْـدَ عُـدْمِـكَ سُـنَّـةً فَـأُولَـاكَ أَهْـلُ نَـهًـى وَأَهْـلُ بَـصَـائِـرِ
وَكَـذَاكَ إِجْـمَـاعُ الَّـذِيـنَ يَـلُـونَـهُـمْ مِـنْ تَـابِـعِـيـهِـمْ كَـابِـراً عَـنْ كَـابِـرِ
إِجْـمَـاعُ أُمَّـتِـنَـا وَقَـوْلُ نَـبِـيِّـنَـا مِثْـلُ النُّـصُـوصِ لِذِي الْـكِـتَـابِ الزَّاهِـرِ

القرآن كلام الله

(وعقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مستمدة من نصوص الكتاب والسُّنَّة، وقد نظمها الشيخ الفاضل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني، فقال في أولها)[1]:

دَعْ عَنْكَ تَذْكَارَ الـخَـلِيطِ الـمُـنْـجِدِ وَالـشَّـوْقَ نَـحْـوَ الآنِـسَـاتِ الـخُـرَّدِ
وَالـنَّـوحَ فِـي أَطْـلَالِ سُـعْـدَى إِنَّـمَـا تَـذْكَـارُ سُـعْـدَى شُـغْـلُ مَـنْ لَـمْ يَـسْـعَـدِ
وَاسْـمَـعْ مَـقَـالِـي إِنْ أَرَدْتَ تَـخَـلُّـصاً يَـوْمَ الـحِـسَـابِ وَخُـذْ بِـهَـذَا تَـهْـتَـدِ
وَاقْـصِـدْ فَـإِنِّـي قَـدْ قَـفَـيْـتُ مُـوَفَّـقاً نَـهْـجَ ابْـنِ حَـنْـبَـلٍ الإِمَـامِ الأَوْحَـدِ
خير البرية بَعْدَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ وَالـتَّـابِـعِـيـنَ إِمَـامِ كُـلِّ مُـوَحِّـدِ
ذِي العِلْمِ وَالرَّأْيِ الأَصِيلِ وَمَنْ حَوَى شَـرَفـاً عَـلَا فَـوقَ الـسُّـهَـا وَالـفَـرْقَـدِ
وَاعْـلَـمْ بِـأَنِّـي قَـدْ نَـظَـمْـتُ مَـسَـائِـلاً لَـمْ آلُ فِـيـهَـا الـنُّـصْـحَ غَـيـرَ مُـقَـلِّـدِ
وَأَجَـبْـتُ عَـنْ تَـسْـآلِ كُـلِّ مُـهَـذَّبٍ ذِي صَـوْلَـةٍ عِـنْـدَ الـجِـدَالِ مُـسَـوَّدِ
هَـجَـرَ الـرُّقَـادَ وَبَـاتَ سَـاهِـرَ لَـيْـلِـهِ ذِي هِـمَّـةٍ لَا يَـسْـتَـلِـذُّ بِـمَـرْقَـدِ
قَـوْمٌ طَـعَـامُـهُـمُ دِرَاسَـةُ عِـلْـمِـهِـمْ يَـتَـسَـابَـقُـونَ إِلَـى الـعُـلَا وَ الـسُّـؤْدَدِ

---

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (١٧/ ١٥٣).

قَالُوا: بِمَا عَرَفَ المُكَلَّفُ رَبَّهُ؟ فَأَجَبْتُ: بالنظر الصَّحِيحِ المُرْشِدِ
قَالُوا: فَهَلْ رَبُّ الخَلَائِقُ وَاحِدٌ؟ قُلْتُ: الكَمَالُ لِرَبِّنَا المُتَفَرِّدِ
قَالُوا: فَهَلْ للهِ عِنْدَكَ مُشبِهِ قلتُ: المُشَبَهُ فِي الحَجْمِ المُوْصَدِ
قَالُوا: فَهَلْ تَصِفُ الإِلهَ؟ ابِنْ لَنَا قُلْتُ: الصِّفَاتُ لِذِي الجَلَالِ السَّرْمَدِيْ
قَالُوا: فَهَلْ تِلْكَ الصِّفَاتُ قَدِيمَةٌ؟ قُلْتُ: الَّتِي كَالذَّاتِ لَمْ تَتَجَدَّدِ
قَالُوا: فَأَنْتَ تَرَاهُ جِسْماً مثلنا قلت: المجسم عندنا كالملحد
قَالُوا: فَهَلْ هُوَ فِي الأَمَاكِنِ كُلِّهَا؟ فَأَجَبْتُ: بَلْ فِي العُلْوِ مَذْهَبُ أَحْمَدِ
قَالُوا: أَتَزْعُمُ أَنْ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى؟ قُلْتُ: الصَّوَابُ كَذَاكَ أَخْبَرَ سَيِّدِيْ
قَالُوا: فما معنى اسْتِوَاهُ؟ أَبِنْ لَنَا فَأَجَبْتُهُمْ: هَذَا سُؤَالُ المُعْتَدِيْ
قَالُوا: النُّزُولُ؟ فَقُلْتُ: نَاقِلُهُ لَنَا قَومٌ هُمُ نَقَلُوا شَرِيعَةَ أحمدِ
قَالُوا: فَكَيْفَ نُزُولُهُ؟ فَأَجَبْتُهُمْ لَمْ يُنْقَلِ التَّكْيِيفُ لِي فِي مُسْنَدِ
قَالُوا: فَيُنْظَرُ بِالعُيُونِ؟ أبن لنا فأجبت رؤيته لمن هو مُهْتَدِيْ
قَالُوا: فَيُوصَفُ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ؟ قلت: السكوت نقيصة المتوحد
قَالُوا: فَمَا القُرْآنُ؟ قُلْتُ: كَلَامُهُ من غير ما حدث وغير تجدد
قَالُوا: الَّذِي نَتْلُوهُ؟ قُلْتُ: كَلَامُهُ لَا رَيْبَ فِيهِ عِنْدَ كُلِّ مُسَدَّدِ

(وهذه القصيدة الدالية، طويلة تركنا بقيتها اختصاراً).

(وأبو الخطاب الكلوذاني هو حنبلي، وفاته سنة عشر وخمسمائة هجرية، غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين الأحياء والميتين).

(وقال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ)[1]:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

(١) طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٢٩٧).

(ومن الشواهد لأسماء القرآن: ما قاله الشيخ الفاضل أبو محمد عبد الله بن محمد القحطاني السلفي المالكي الأندلسي، في قصيدته النونية التي أبان بها معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، وأبان فيها مذاهب المبتدعة وحذر منها، وهذه القصيدة مشهورة بالنونية القحطانية، وهي تقارب ثمانمائة بيت، وإن شاء الله نقتطف منها ما يناسب موضوع بحثنا، قال في مطلعها)[١]:

يا مُنْزِلَ الآياتِ وَالفُرْقانِ ... بَيْني وَبَيْنَك حُرْمَةُ القُرْآنِ
اشْرَحْ بِهِ صَدْري لِمعْرفةِ الهُدى ... واعصِمْ بِهِ قَلْبي مِنَ الشَّيْطانِ
يَسِّر بِهِ أَمْري واقض مَآرِبي ... وَأَجِرْ بِهِ جَسَدي مِنَ النّيرانِ
وَاحْطُطْ بِهِ وِزْري وَأَخلِصْ نِيَّتي ... واشْدُدْ بِهِ أَزْري وَأَصْلِحْ شاني
واكْشِفْ بِهِ ضُرّي وَحَقِّق تَوْبَتي ... وَأَرْبِحْ بِهِ بَيْعي بِلا خُسْراني
طَهِّر بِهِ قَلْبي وَصَفِّ سَريرَتي ... أَجمِل بِهِ ذِكْري وَأَعْلِ مَكاني
واقطَع بِهِ طَمَعي وَشَرِّف هِمَّتي ... كَثِّرْ بِهِ وَرَعي وَأَحْيِ جَناني
أَسْهِرْ بِهِ لَيْلي وأَظْمِ جَوارِحي ... أَسْبِلْ بِفَيضِ دُموعَها أَجْفاني
امْزُجْهُ يا رَبِّ بِلَحْمي مَعَ دَمي ... واغْسِلْ بِهِ قَلْبي مِنَ الأَضْغانِ
أَنْتَ الَّذي أطعمتني وَخَلَقْتَني ... وَهَدَيْتَني لِشَرائِعِ الإِيمانِ
أَنْتَ الَّذي عَلَّمتَني وَرَحِمْتَني ... وَجَعَلْتَ صَدْري واعِيَ القُرْآنِ

(ثم شاعرنا بعدما قطع شوطاً، قال):

ولأتلون حروف وحيك في الدجى ... ولأحرقن بنوره شيطان
أنت الذي يا رب قلت حروفه ... ووصفته بالوعظ والتبيان

(١) القصيدة النونية، للقحطاني (ص١٧).

ونـظـمـتـه بـبـلاغـة أزلـيـة تكييفها يخفى على الأذهان
وكتبت في اللوح الحفيظ حروفه من قبل خلق الخلق في أزمان
فـالـلَّـه ربـي لـم يـزل مـتـكـلـمـا حـقّـاً إذا مـا شـاء ذو إحـسـان

(ثم قال شاعرنا أثابه الله، بعدما قطع مرحلة):

وكـلامـه الـقـرآن أنـزل آيـه وحياً على المبعوث من عدنان
صلى عليه اللَّه خير صلاته ما لاح في فلكيهما القمران
هو جاء بالقرآن من عند الذي لا تعتريه نوائب الحدثان
تنزيل ربِّ العالمين ووحيه بشهادة الأحبار والرهبان
وكلام ربي لا يجيء بمثله أحد ولو جمعت له الثقلان
وهو المصون من الأباطل كلها ومن الزيادة فيه والنقصان
من كان يزعم أن يباري نظمه ويراه مثل الشعر والهذيان
فليأت منه بسورة أو آية فإذا رأى النظمين يشتبهان
فلينفرد باسم الألوهية وليكن رب البرية وليقل سبحان
فإذا تناقض نظمه فليلبسن ثوب النقيصة صاغراً بهوان
أو فليقر بأنه تنزيل من سماه في نص الكتاب مثاني
لا ريب فيه بأنه تنزيله وبداية التنزيل في رمضان
اللَّه فصله وأحكم آيه وتلاه تنزيلاً بلا ألحان
هو قوله وكلامه وخطابه بفصاحة وبلاغة وبيان
هو حكمه هو علمه هو نوره وصراطه الهادي إلى الرضوان
جمع العلوم دقيقها وجليلها فيه يصول العالم الرباني
قصص على خير البرية قصة ربي فأحسن بما إحسان

وحديثه القرآن وهو كلامه ... صوت وحرف ليس يفترقان
كلماته منظومة وحروفه ... بتمام ألفاظ وحسن معان
وأبان فيه حلاله وحرامه ... ونهى عن الآثام والعصيان
من قال إن اللَّه خالق قوله ... فقد استحل عبادة الأوثان
من قال فيه عبارة وحكاية ... فغداً يجرع من حميم آن
من قال إن حروفه مخلوقة ... فالعنه ثم اهجره كل أوان
لا تلق مبتدعاً ولا متزندقاً ... إلا بعبسة مالك الغضبان
والوقف في القرآن خبث باطل ... وخداع كل مذبذب حيران
قل غير مخلوق كلام إلهنا ... واعجل ولا تك في الإجابة واني
أهل الشريعة أيقنوا بنزوله ... والقائلون بخلقه شكلان
وتجنب اللفظين إن كليهما ... ومقال جهم عندنا سيان
يا أيها السُّني خذ بوصيتي ... واخصص بذلك جملة الإخوان
واقبل وصية مشفق متودد ... واسمع بفهم حاضر يقظان

(ثم مشى فتى قحطان بقوة وشجاعة، وهو شاك السلاح، يرسم الخطة للمسلمين في العقيدة والأعمال والأخلاق، ويطعن في نحور الملاحدة والزنادقة والمبتدعة الضلال، حتى أكمل ما يقارب ثمانمائة بيت أثابه الله وغفر له).

(ومن الذين بيَّنوا ووضحوا عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، أبو بكر بن أبي داود، محدث بغداد، وفاته سنة ٣١٦هـ، قال في مطلع قصيدته)[1]:

تَمسَّكْ بحَبْلِ اللَّهِ واتَّبِع الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيّاً لَعلَّكَ تُفْلِحُ

(١) الشريعة، للآجري (٢٠٧٥).

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ والسُّنَنِ التِي ... أَتَتْ عَن رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُ وَتَرْبَحُ
وَقُلْ: غَيْرُ مَخْلِوقٍ كَلامُ مَليكِنا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِياءُ وأَفْصحُوا
ولا تَقُلِ: القُرآنُ خُلقَ قرانهُ ... فإنَّ كَلامَ اللَّهِ باللفْظِ يُوَضَحُ

القرآن كلام الله المنزل

(ومن الشواهد للقرآن وأسماء القرآن: ما قاله أبو عمرو الداني، واسمه عثمان بن سعد، توفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة بدانية سنة ٤٤٤هـ من بلاد الأندلس، قال في أثناء أرجوزته، في عقيدة أهل السُّنَّة)[١]:

كلَّم موسى عبده تكليماً ... ولم يزل مدبراً حكيما
كلامه وقوله قديم ... وهو فوق عرشه العظيم
والقول في كتابه المفصل ... بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق ... ليس بمخلوق ولا بخالق

(وأيضاً من الشواهد لأسماء القرآن ما قاله أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المشهور بابن قيم الجوزية رحمه الله وغفر له، قال في قصيدته النونية التي هي تقريباً ستة آلاف بيتاً)[٢]:

كتاب الله سلاح

يا أيها الرجل المريد نجاته ... اسمع مقالة ناصح معوان
كن في أمورك كلها متمسكاً ... بالوحي لا بزخارف الهذيان
وانصر كتاب اللَّه والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان

---

(١) تاريخ الإسلام (٩/٦٥٩).
(٢) متن القصيدة النونية (ص١٦).

واضرب بسيف الوحي كل معطل ... ضرب المجاهد فوق كل بنان
واحمل بعزم الصدق حملة مخلص ... متجرد اللَّه غير جبان
واثبت بصبرك تحت ألوية الهدى ... فإذا أصبت ففي رضا الرحمٰن
واجعل كتاب اللَّه والسنن التي ... ثبتت سلاحك ثم صح بجنان
من ذا يبارز فليقدم نفسه ... أو من يسابق يبد في الميدان
واصدع بما قال الرسول ولا تخف ... من قلة الأنصار والأعوان
فاللَّه ناصر دينه وكتابه ... واللَّه كاف عبده بأمان

(ثم قال في موضع آخر في وصف المتمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله)[1]:

فيدور مع قول الرسول وفعله ... نفياً وإثباتاً بلا روغان
ويحكم الوحي المبين على الذي ... قال الشيوخ فعنده حكمان
لا يحكمان بباطل أبداً وكل ... العدل قد جاءت به الحكمان
وهما كتاب اللَّه أعدل حاكم ... فيه الشفاء وهداية الحيران
والحاكم الثاني كلام رسوله ... ما ثم غيرهما لذي إيمان
فإذا دعوك لغير حكمهما فلا ... سمعاً لداعي الكفر والعصيان

(ثم قال في موضع آخر):

وكذلك القرآن عين كلامه ... المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تنزيل ربِّ العالمين وقوله ... اللفظ والمعنى بلا روغان

(١) متن القصيدة النونية (ص١٨).

(ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر):

فالوحي كاف للذي يعنى به ... شاف لداء جهالة الإنسان
وتفاوت العلماء في أفهامهم ... للوحي فوق تفاوت الأبدان
والجهل داء قاتل وشفاؤه ... أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سُنَّة ... وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث ما لها ... من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإلٰه وفعله ... وكذلك الأسماء للرحمٰن
والأمر والنهي الذي هو دينه ... وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي ... جاءت عن المبعوث بالفرقان
واللَّه ما قال امرؤ متحذلق ... بسواهما إلا من الهذيان

هو قول ربي

(ثم قال في رده على أهل البدع):

شبهتم الرحمان بالأوثان في ... عدم الكلام وذاك للأوثان
مما يدل بأنها ليست بآ ... لهة وذا البرهان في الفرقان
في سورة الأعراف مع طه وثا ... لثها فلا تعدل عن القرآن
أفصح بأن الجاحدين لكونه ... متكلماً بحقيقة وبيان
هم أهل تعطيل وتشبيه معاً ... بالجامدات عظيمة النقصان
لا تقذفوا بالداء منكم شيعة الر ... حمان أهل العلم والعرفان
إن الذي نزل الأمين به على ... قلب الرسول الواضح البرهان
هو قول ربي اللفظ والمعنى ... جميعاً إذ هما أخوان مصطحبان

(ثم قال المصنف: فصلٌ فيما أعد الله تعالى من الإحسان

للمتمسكين بكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ عند فساد الزمان، ثم قال في أثناء هذا الفصل):

طوبى لهم والشوق يحدوهم إلى ... أخذ الحديث ومحكم القرآن
طوبى لهم لم يعبؤوا بنحاتة الأ ... فكار أو بزبالة الأذهان
طوبى لهم ركبوا على متن العزا ... ئم قاصدين لمطلع الإيمان
طوبى لهم لم يعبؤوا شيئا بذي ... الآراء إذ أغناهم الوحيان
طوبى لهم وإمامهم دون الورى ... من جاء بالإيمان والفرقان

(ثم لما قطع المصنف شوطاً بعيد المدى، قال: فصلٌ في كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة، وقال في أثناء هذا الفصل):

ويسلم الرحمٰن جل جلاله ... حقّاً عليهم وهو في القرآن
وكذاك يسمعهم لذيذ خطابه ... سبحانه بتلاوة الفرقان
فكأنهم لم يسمعوه قبل ذا ... هذا رواه الحافظ الطبراني
هذا سماع مطلق وسماعنا الـ ... ـقرآن في الدنيا فنوع ثان
واللَّه يسمع قوله بوساطة ... وبدونها نوعان معروفان
فسماع موسى لم يكن بوساطة ... وسماعنا بتوسط الإنسان
من صير النوعين نوعاً واحداً ... فمخالف للعقل والقرآن

(ثم قال المصنف في آخر النونية: فصلٌ في إقامة المأتم على المتخلفين عن رفقة السابقين، ثم قال في أثناء هذا الفصل):

واللَّه ما خوفي الذنوب فإنها ... لعلى طريق العفو والغفران
لكنما أخشى انسلاخ القلب من ... تحكيم هذا الوحي والقرآن
ورضا بآراء الرجال وخرصها ... لا كان ذاك بمنة الرحمٰن

فبأي وجه ألتقي ربي إذا ... أعرضت عن ذا الوحي طول زمان
وعزلته عمّا أريد لأجله ... عزلاً حقيقيّاً بلا كتمان
صرّحت أن يقيننا لا يستفاد ... به وليس لديه من إتقان
أوليته هجراً وتأويلاً وتحـ ... ـريفاً وتفويضاً بلا برهان
وسعيت جهدي في عقوبة ممسك ... بعراه لا تقليد رأي فلان

(وقال بعض الفضلاء)[١]:

تَدَبَّرْ كِتَابَ اللَّهِ يَنْفَعْك وَعْظُهُ ... فَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَبْلَغُ وَاعِظِ
وَبِالْعَيْنِ ثُمَّ الْقَلْبِ لَاحِظْهُ وَاعْتَبِرْ ... مَعَانِيَهُ فَهْوَ الْهُدَى لِلْمُلَاحِظِ
وَأَنْتَ إِذَا أَتْقَنْت حِفْظَ حُرُوفِهِ ... فَكُنْ لِحُدُودِ اللَّهِ أَقْوَمَ حَافِظِ
وَلَا يَنْفَعُ التَّجْوِيدُ لَافِظَ حُكْمِهِ ... وَإِنْ كَانَ بِالْقُرْآنِ أَفْصَحَ لَافِظِ
وَيُعْرَفُ أَهْلُوهُ بِإِحْيَاءِ لَيْلِهِمْ ... وَصَوْمِ هَجِيرٍ لَاعِجِ الْحَرِّ قَائِظِ
وَغَضِّهِمْ الْأَبْصَارَ عَنْ مَأْثَمٍ ... يَجُرُّ بِتَحْرِيرِ الْعُيُونِ اللَّوَاحِظِ
وَكَظْمِهِمُ الْغَيْظِ عِنْدَ اسْتِعَارِهِ ... إِذَا عَزَّ بَيْنَ النَّاسِ كَظْمُ الْمُغَايِظِ
وَأَخْلَاقُهُمْ مَحْمُودَةٌ إِنْ خَبَرْتَهَا ... فَلَيْسَتْ بِأَخْلَاقٍ فِظَاظٍ غَلَائِظِ
تَحَلَّوْ بِآدَابِ الْكِتَابِ وَأَحْسَنُوا التْـ ... ـتَفَكُّرَ فِي أَمْثَالِهِ وَالْمَوَاعِظِ
فَفَاضَتْ عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ نُفُوسُهُمْ ... سَلَامٌ عَلَى تِلْكَ النُّفُوسِ الْفَوَائِظِ

القرآن برهان

(وقال بعض الفضلاء الموفقين، في أول قصيدة؛ وهو حافظ الحكمي، ويأتي له قصائد فيما بعد)[٢]:

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٦٠٤).

(٢) وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول (مدخل).

أَدِلَّةُ الشَّرعِ الشَّرِيفِ أَربَعَهْ: مُحكَمُ آيٍ، سُنَّةٌ مُتَّبَعَهْ
وَالثَّالِثُ: الإِجماعُ حَيثُ يَنجَلِي وَالرَّابِعُ: القِياسُ، وَاُخصُصِ الجَلِيْ
وَلا رَأيَ فِي الدِّينِ وَلا اِسْتِحْسَانَا فَاللَّهُ قَد أَكمَلَهُ تِبْيَانَا
وَمَا لِغَيرِ اللَّهِ حُكمٌ أَبَدَا وَلا سِوَى الشَّرعِ سَبِيلٌ لِلْهُدَى
فَالشِّركُ فِي التَّشريعِ مِنهُ يَنفَجِرْ شِركُ العِبادِ بِالعَزِيزِ الْمُقتَدِرْ
أَمَّا الكِتابُ فَهُوَ القُرآنُ بَينَ الضَّلالُ وَالهُدَى فُرقانُ
الْمُعجِزُ الْمُفحِمُ لِلأَضْدَادِ بِرهانُ حَقٍّ أَبَدُ الآبادِ
كَلامُ رَبٍّ مُنْزَلٌ تَنْزِيلَا لا يَقبَلُ الْخُلفَ وَلا التَّبدِيلَا
بِهِ الإِلَهُ خَلَقَهْ تَعَبُّدَا تِلاوَةً تَدَبُّراً ثُمَّ اِهْتِدَا
فقال جَلَّ: اِتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لِتُرْحَمُوا وَاستَمسِكُوا بِهِ ثِقُوا
فِيهِ بَيَانُ مَا مَضَى فِي الأَوَّلِ وَنَبأُ الْحَاصِلِ فِي الْمُستَقبَلِ
وَفَصلُ أَحكَامِ الْعُبُودِيَّاتِ فِي القَولِ وَالأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ
وَإِنَّمَا يَأتِي عَلَى مَعلُومِهِ مَن أَحرَزَ الْجُملَةَ مِن عُلُومِهِ
وَأَمعِنِ الفِكرَةَ فِي السِّياقِ مَعْ حِفظِ مَا جَاءَ عَنِ السِّباقِ

(وقال أبو الفتح البستي في مطلع قصيدته النونية)[1]:

زيادة المرء في دنياه نقصان وربحه غير محض الخير خسران

(ثم قال في أثنائها):

القرآن حبل الله

واشدد يديك بحبل اللّه معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان

(١) تاريخ دمشق (٤٣/ ١٦٧).

(ثم ختم القصيدة بقوله):

وكل كسر فإن اللَّه يجبره ... وما لكسر قناة الدين جبران

(وهذه القصيدة جيدة، وفيها حكم ومواعظ).

فاصدع بأمرك

(وما من شك بأن مصدر الدين الإسلامي وقاعدته، هو كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وقد قال عم الرسول أبو طالب)[١]:

واللَّهِ لن يَصلوا إليكَ بجمعِهِمْ ... حتى أُوَسَّدَ في الترابِ دَفينا

فاصدَعْ بأمرِك ما عليكَ غَضاضةٌ ... وأبشِرْ، وقرَّ بذا منك عُيونا

ودَعَوْتَني، وزَعمتَ أنك ناصحٌ ... ولقد صدقْتَ، وكنتَ ثَمَّ أَمينا

وعَرضْتَ دِيناً قد علمتُ بأنَّهُ ... مِن خيرِ أديانِ البريَّةِ دِينا

لولا المَلامةُ أو حِذار مسبَّةً ... لوجَدْتني سَمحاً بذاك مُبِينا

القرآن مثاني

(ومن الشواهد للقرآن وأسماء القرآن: ما قالته صفية بنت عبد المطلب، ترثي رسول الله ﷺ)[٢]:

فقد كان نوراً ساطعاً يهتدي به ... يخص بتنزيل المثاني المعظم

(وقال جرير في معرض هجائه للفرزدق)[٣]:

جزى اللَّه الفرزدق حين يمسي ... مضيعاً للمفصل والمثاني

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ص١٥٥).
(٢) شمس العلوم (٢/ ٨٩٣).
(٣) شمس العلوم (٢/ ٨٩٣).

القرآن برهان

(قال جرير بن عبد الله البجلي):

يقضينا ميناً على ديننا ... ودين النبي مجلي الظلم
أمين الإله وبرهانه ... وعدل البرية والمعتصم

(القرآن حق وصدق، قال عبد الله بن الزبعرى بعدما أسلم)[١]:

يَا رَسُولَ الْمَلِيكِ إِنَّ لِسَانِي ... رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بور
إذ أباري الشيطان في سنن الغـ ... ـي وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ
آمَنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ... ثُمَّ قَلْبِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ
إنما جئتنا به حق صدق ... ساطع نوره مضيء منير
جئتنا باليقين والصدق والبر ... وفي الصدق واليقين السرور
أذهب اللَّه ضلة الجهل عنا ... وأتانا الرخاء والميسور

العلم زين وتشريق

(ومما لا شك فيه بأن العلم العظيم، العلم النافع، العلم الصحيح، هو العلم المقتبس من كتاب الله تعالى، ومن سُنَّة رسوله محمد ﷺ، ومن جيد شعر أبي الأسود الدؤلي قوله)[٢]:

العِلمُ زَينٌ وَتَشريفٌ لِصاحِبِهِ ... فاطلُب هُديتَ فنونَ العِلمِ وَالأَدَبا
كم سيد بطل آباؤه نجب ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذنبا
ومُقرِفِ خامِلِ الآباءِ ذي أَدَبٍ ... نالَ المَعالِيَ بِالآدابِ وَالرُتَبا
العِلمُ كَنزٌ وَذُخرٌ لا فناء لَهُ ... نِعمَ القَرينُ إِذا ما صاحَبَ صُحبا

---

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/ ٤١٩).
(٢) تاريخ دمشق (٢٥/ ٢٠٩).

قَد يَجمَعُ المَرءُ مالاً ثُمَّ يُحرمه ... عَمّا قَليلٍ فَيَلقى الذُلَّ وَالحَرَبا
وَجامِعُ العِلمِ مَغبوطٌ بِهِ أَبَداً ... وَلا يُحاذِر مِنهُ الفَوتَ وَالسَلبا
ويا جامِعَ العِلمِ نِعمَ الذخرُ تَجمَعُهُ ... لا تَعدِلَنَّ بِهِ دُرّاً وَلا ذَهَبا

اتل كتاب الله

(وقال علي الرضى بن موسى الكاظم رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء قصيدته الهائية)[١]:

ارغَبْ لمولاكَ وكُنْ رَاشِداً ... واعْلَمْ بأنَّ العِزَّ في خَدْمَتِهْ
واتّل كِتَابَ اللَّه تُهْدَى بِهِ ... واتَّبعِ الشرعَ عَلى سُنَّتِهْ
لا تَحرِصَنْ فالحرصُ يُزرِي بالفَتَى ... ويُذْهِبُ الرَونَقَ مِن بَهْجَتِهْ

العلم قال الله

(وقال غيره)[٢]:

العلم قال اللَّه قال رسوله ... قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين رأى فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها ... حذراً من التمثيل والتشبيه

(ومن أدوية القلوب تدبر القرآن، قال بعض الموفقين)[٣]:

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن، وقرآن تدبره ... كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه ... وأن تجالس أهل الخير والخبر

---

(١) جواهر الأدب (٢/ ٤٣٢).
(٢) الفوائد (ص١٠٥).
(٣) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١/ ٢٨٦).

تكلم الله به فأسمعا

(ومن الشواهد للقرآن عامة، ولأسمائه خاصة: ما قاله حسان وقته الشيخ الفاضل أحمد بن حسين بن مشرف المالكي الأحسائي، وفاته سنة ١٢٨٥هـ غفر الله لنا وله، قال في جوهرة التوحيد، وهي مائتان وأربعون بيتاً، وما حوته هو من عقيدة المسلمين)[١]:

فهو السميع العالم البصير ... والحي والمريد والقدير
ومن صفات ذاته القيام ... بنفسه لا الغير والكلام
كلم موسى بكلامه الذي ... من وصف ذاته فبالحق خذ
والصحف والتوراة والزبور ... وبعده الإنجيل والمسطور
أعني كتاب أحمد الأواه ... جميعها عين كلام اللَّه
لفظاً ومعنى عند أهل الحق ... وإنما المخلوق صوت الخلق
وحبرهم والخط والسجل ... قضى بهذا العلماء الجل
فالصوت للقارئ والكلام ... للَّه ذا به قد استقاموا
فاللفظ والمعنى من القرآن ... قد نزلا من ربنا الرحمٰن
تكلم اللَّه به فاسمعا ... أمينه جبريل نعم مودعا
فبلغ النبي جبرائيل ... جميع ما حمله الجليل
ثم تلقاه من النبي ... أصحابه بلفظه القدسي
وأنه الآن على ما قد نزل ... ولا يزال هكذا ولم يزل
مبرأ عن اتيان الباطل ... ليس بمنسوخ ولا مبدل
ونحو طس ويس وما ... ضاهاهما ربي به تكلما

---

(١) ديوان ابن مشرف (ص١١).

وقد أتى الترتيب منه حسبما ... لقنه نبينا وعلما
وحسبما أثبت في المصاحف ... رسما فلا تصغ إلى مخالف
ثم كلام اللَّه كالقرآن ... ليس بمحدث ولا بفاني
واللفظ من ذلك والمعاني ... في الحكم عند العلماء سيان
فمن يقل بأنه قول البشر ... فكافر واللَّه يصليه سقر
ومن يقل بخلقه أو سطره ... فهو مضل فاستعذ من شره
هذا هو الحق فدع عنك الهوى ... واللَّه ربنا على العرش استوى
لكن بلا كيف ولا تمثيل ... جَلَّ فنزهه بلا تعطيل

(ثم لما سار المصنف العنق، وقطع شوطاً قال)[1]:

وأيد اللَّه جميع الرسل ... بمعجزات باهرات العقل
كي يلزم الحجة أهل الجهل ... وكل ذا على سبيل الفضل
وأيد اللَّه نبينا بما ... أيد رسله به وأعظما
فمعجزات المصطفى لا تحصى ... عدا ولا توعى ولا تستقصى
منها كلام اللَّه نعم المعجز ... بحر محيط بالعلوم موجز
ما مثله في الحسن والصياغة ... قد عجزت عن مثله البلاغة
وقد تحدى اللَّه سائر البشر ... والجن من ذاك بأقصر السور
فأحجموا عن ذلك الميدان ... ولم يكن لهم به يدان

(ثم لما مشى المصنف مترنماً، وقطع مراحل قال)[2]:

وكل ما جاء به الرسول ... حق له يلزمنا القبول

---

(١) ديوان ابن مشرف (ص١٣).
(٢) ديوان ابن مشرف (ص١٦).

وهو على قسمين ما قد علما ... مجيئه به ضرورة وما
سواه فالأول من له جحد ... فإنه يقتل كفرا دون حد
وقد تناهى القول في الأسماء ... وفي صفاته على استيفاء

القرآن كلام الله

(وابن مشرف رَحِمَهُ اللَّهُ له ديوان شعر، ومن نظمه رسالة ابن أبي زيد في بيان معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، وهي تسعون بيتاً، قال في أثنائها)[١]:

وأن تنزيله القرآن أجمعه ... كلامه غير خلق أعجز البشرا
وحي تكلم مولانا القديم به ... ولم يزل من صفات اللَّه معتبرا
يتلى ويحمل حفظا في الصدور كما ... بالخط يثبته في الصحف من زبرا

(وابن مشرف أيضاً له قصيدة في معتقد أهل السُّنَّة، قال في أثنائها)[٢]:

وأن كتاب اللَّه من كلماته ... ومن وصفه الأعلى حكيم منزل
فليس بمخلوق ولا وصف حادث ... فيفنى ولكن محكم لا يبدل
هو الذكر متلو بألسنة الورى ... وفي الصدر محفوظ في الصحف يسجل
فألفاظه ليست بمخلوقة ولا ... معانيه فاترك قول من هو مبطل

(وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء قصيدته البائية)[٣]:

فخير الأمور السالفات على الهدى ... وشر الأمور المحدثات فجنبوا
وما العلم إلا من كتاب وسُنَّة ... وغيرهما صريح مركب

---

(١) ديوان ابن مشرف (ص٢٠).
(٢) ديوان ابن مشرف (ص٢٦).
(٣) ديوان ابن مشرف (ص٣٣).

فخذ بهما والعلم فاطلبه منهما ودع عنك جهالاً عن الحق أضربوا
خفافيش أعشاها النهار بضوئه فوافقها من ظلمة الليل غيهب
فظلت تحاكي الطير في ظلمة الدجا إن لاح ضوء الصبح للعش تهرب

القرآن هدى وشفاء

(وله رَحِمَهُ اللَّهُ قصيدة في شرف العلم وفضله، قال في آخرها)[١]:

فكن تالياً آي الكتاب مداوياً بها كل داء فهي أرجى دوائه
فمنه ينابيع العلوم تفجرت وما فاض من علم فمن عذب مائه
هدى وشفاء للقلوب ورحمة من اللَّه يشفي ذو العمى بشفائه
وكن ناصحاً للمصطفى باتِّباعهِ ونصرته مع حُب أهل ولائه
ألا أن هدي المصطفى خير مقتفى وكل صلاح للورى في اقتفائه
فبالسُّنَّة الغرا تمسك فإنها هي الذخر عند اللَّه يوم لقائه
ومن يتبع رايات سُنَّة أحمد يكن يوم حشر الناس تحت لوائه

(ثم قال في الحث على الأخذ بالحديث وتقديمه على الآراء)[٢]:

ومن يكن الوحي المطهر علمه فلا ريب في توقيفه واهتدائه
وما يستوي تالي الحديث ومن تلا زخارف من أهوائه وهذائه
وكن راغبا في الوحي لا عنه راغبا كخابط ليل تائه في دجائه
إذا شام برقا في سحاب مشى به وإلا بقى في شكه وامترائه
ومن قال ذا حل وهذا محرم بغير دليل فهو محض افترائه
وكل فقيه في الحقيقة مدع ويثبت بالوحيين صدق ادعائه

---

(١) ديوان ابن مشرف (ص٣٦).
(٢) ديوان ابن مشرف (ص٣٧).

هما شاهدا عدل ولكن كلاهما ... لدى الحكم قاض عدل في قضائه
فواحر قلبي من جهول مسود ... به يقتدى في جهله لشقائه
إذا قلت قول المصطفى هو مذهبي ... متى صح عندي لم أقل بسوائه
يرى أنها دعوى اجتهاد صريحة ... فواعجباً من جهله وجفائه
فسله أقول اللَّه ماذا أجبتم ... لمن هو يوم الحشر عند ندائه
أيسألهم ماذا أجبتم ملوككم ... وما عظم الإنسان من رؤسائه
أم اللَّه يوم الحشر يمتحن الورى ... بماذا أجابوا الرسل من أنبيائه
وهل يسأل الإنسان عن غير أحمد ... إذا ما ثوى في الرمس تحت تراثه
وهل قوله يا رب قلدت غيره ... لدى اللَّه عذر يوم فصل قضائه
فهيهات لا يغني الفتى يوم حشره ... سوى حبه خير الورى واقتفائه
وإيثاره هدى الرسول وحكمه ... على كل ما يقضي الهوى باقتضائه

علم الكتاب وما سَنَّ الرسول لنا

(وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في غربة الدين)[1]:

واغربة الدين فاعجب من تغر به ... عند المصدق فضلاً عن مكذبه
ألا ترى الجهل بين الخافقين فشا ... والعلم أغرب من عنقاء مغربه
أعلامه درست في كل ناحية ... والبوم يصدح في أعلى مخربه
فاندبه ندب محب للحبيب رثى ... بحرقة من فؤاد في تلهبه
لم يبق منه سوى الأطلال بالية ... فارحل إليه وبالغ في تطلبه
واطلبه في شرقها أو في مغاربها ... ولو مضى حقب من دون مطلبه

(١) ديوان ابن مشرف (ص٤٤).

واتل المناسك من ميقات رحلته حتى تنيخ المطايا في محصبه
ولا ترد كدراً منه ولا وشلاً وارو المزاود من تيار اعذبه
علم الكتاب وما سن الرسول لنا قولاً وفعلاً فانهل صوف مشربه
فكل علم سوى القرآن زندقة إلا الحديث وفقه الدين فانتبه
ومن دعاك إلى غير الحديث فلا سمعا لداع إلى قلوط مذهبه
علم الحديث سماء للعلوم به يسمو إلى المجد من يهدى بكوكبه
فإن أصل الهدى توحيد خالقنا لا الاتحاد فبالغ في تجنبه
إن الحلول ورأى الاتحاد هما أصل الضلال فكفر من يقول به
بكفره قال أهل العلم قاطبة من حل في مشرق منهم ومغربه

(إلى آخر القصيدة)

القرآن منزل

(وحسين بن غنام رحمه الله له قصيدة فائقة مدح فيها الإمام محمد بن سعود، وابنه عبد العزيز، ونجل عبد العزيز سعود الكبير، ونوه بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وعدد أبيات القصيدة ١٠٤ أبيات، والشاهد لنا منها قوله)[١]:

وقد أنزل القرآن للخلق حاكماً لدى الخلق إن غم الصواب عن الفكر
فإن عن في الأحكام خلف يدلنا بما أوضحاه لفصل في مبهم الأمر
فسحقاً لقوم عنه صدوا وخيبوا هداه وباعوا أعظم الخير بالشر
وتباً لقوم حملوه فأهملوا فرائضه بل هم أشر من الحمر

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٥٣٨).

(وقال محمد بن أحمد النابلسي السفاريني في الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، وهي تقارب (٢٢٠) بيتاً، كلها في بيان عقيدة أهل السُّنَّة، وشرحها المصنف شرحاً وافياً مبسطاً في مجلد ضخم، وفاة المصنف سنة ١١٨٨هـ)[١].

القرآن كلام الله

وَالْعلم وَالْكَلَام قد تعلقا ... بِكُل شَيْء يَا خليلي مُطلقاً
وَسُمْعَة سُبْحَانَهُ كالْبَصَر ... بِكُل مسموع وكل مبصر
وَأَن مَا جَاءَ مَعَ جِبْرِيل ... من مُحكم الْقُرْآن والتنزيل
كَلَامه سُبْحَانَهُ قديم ... أعيى الورى بِالنَّصِّ يَا عليم
وَلَيْسَ فِي طوق الورى من أَصله ... أَن يستطيعوا سُورَة من مثله

(ثم قال السفاريني السلفي الأثري الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ في آخر القصيدة):

ومعجزات خَاتم الْأَنْبِيَاء ... كَثِيرَة تجل عَن إحصائي
مِنْهَا كَلَام اللَّه معجز الورى ... كَذَا انْشِقَاق الْبَدْر من غير امترا

(ولله در شوقي حيث قال)[٢]:

جاء النبيون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بكتاب غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد ... يزينهن جمال العتق والقدم

(وفي عام الأحزاب خانت يهود قريظة العهد، وبهذه المناسبة قال كعب بن مالك الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[٣]:

---

(١) العقيدة السفارينية: الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (ص٥٢).
(٢) ثلاثية البردة بردة الرسول ﷺ (ص١٨٥).
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/١٩٩).

لقد خَزِيَتْ بِغَدْرَتِها الحُبورُ ... كذاكَ الدّهْرُ ذو صَرفٍ يَدُورُ
وَذلِكَ أَنّهُمْ كَفَروا بِرَبٍّ ... عزيزٍ أمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرٌ
وقد أُوتُوا مَعاً فهماً وَعِلماً ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أدَّى كِتَاباً ... وآياتٍ مبيَّنةً تُنيرُ
فَقَالُوا ما أتيتَ بأمرِ صِدْقٍ ... وأنت بمنكر منا جدير
فَقَالَ بَلَى لَقَدْ أَدَّيْتُ حقّاً ... يُصَدّقُني بهِ الفَهِمُ الخبيرُ
فَمَن يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشدٍ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بهِ يُخْزَ الكفورُ

(إلى آخر القصيدة).

كتاب الله أصل أول

(ومن الشواهد أيضاً للقرآن وأسمائه: ما قاله محمد سعيد صقر المدني السلفي الحنفي، وفاته سنة ١١٩٤هـ، ومن مصنفاته رسالة الهدى، وهي قصيدة عدد أبياتها ١٧٢ بيتاً، حث فيها ورغب في العمل بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وزيف قول من قال بالتقليد، قال في أولها)[1]:

الحمد لله العظيم الشأن ... من أنزل القرآن والمثاني
وحقق التوحيد والأحكاما ... وبين الحلال والحراما
أرسل بالهدى وبين الحق ... رسوله ورحمة للخلق
على الأنام أوجب اتباعه ... فقد أطاع اللَّه من أطاعه
ومن عصاه فهو عاصي اللَّه ... مخالف له بلا اشتباه

(١) رسالة الهدى في اتباع النبي المقتدى (ص٨).

صلى عليه اللَّه بالسلام ... مؤيداً بالعز والإكرام
والآل والأصحاب والأتباع ... لهم بإحسان وكل داع
وبعد إن هذه رسالة ... فيها اتباع صاحب الرسالة
فقد أمرنا باتباع هديه ... في أمره وننهي عن نهيه
قال: وما آتاكم الرسول ... قد ضل من عن هديه يميل
وهذه الآية في أمثالها ... تبلغ النفس منى آمالها
ودلت السُّنَّة بالإجماع ... على اتباعه فنعم الداعي
قد أجمع الأصحاب والأئمة ... بعدهم من علماء الأمة
أن كتاب اللَّه أصل أول ... عن حكمه المبين ليس يعدل
وسُنَّة المختار أصل ثان ... بها يبين مجمل القرآن
والثالث الإجماع لا تجتمع ... على الضلال أمتي متبع
والرابع القياس رأي المجتهد ... ما ليس منصوصاً على ما قد عهد
إذا تحقق الأصول الأربعة ... وهي على ترتيبها متبعة
فإن أتى النص من القرآن ... فالحكم فيه القطع كالإيمان

كفاهم كتاب الله

(ومن المعاصرين لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، الشيخ الفاضل المحقق محمد بن إسماعيل الصنعاني ولادته سنة ١٠٥٩هـ، وتوفي عام ١١٨٢هـ عن مائة وثلاث وعشرين سنة رَحِمَهُ اللَّهُ، وقد اغتبط وفرح واستبشر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث كانت دعوة بالحق وإلى الحق، ولذا جادت قريحته بقصيدته المشهورة، التي قال في أولها)[1]:

(١) ديوان الأمير الصنعاني (ص١٦٦).

سلام على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
وقد صدرت من سفح صنعاً سقى الحيا ... رباها وحياها بقهقهة الرعد
سرت أسير ينشد الريح أن سرت ... ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
يذكرني مسراك نجداً وأهله ... لقد زادني مسراك وجداً على وجد
قفي واسألي عن عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسُنَّة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد

(والشاهد لنا من القصيدة هو قوله):

وما كل قول بالقبول مقابل ... وما كل قول واجب الطرد والرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل، يا ذا، عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد

(ثم قال):

سلام على أهل الحديث فإنني ... نشأت على حب الأحاديث من مهدي
هم بذلوا في حفظ سُنَّة أحمد ... وتنقيحها من جهدهم غاية الجهد
وأعني بهم أسلاف سُنَّة أحمد ... أولئك في بيت القصيد هم قصدي
أولئك أمثال البخاري ومسلم ... وأحمد أهل الجهد في العلم والجد
بحوراً أحاشيهم عن الجزر إنما ... لهم مدد يأتي من اللَّه بالمد
رووا وارتووا من بحر علم محمد ... وليس لهم تلك الملل من وردي
كفاهم كتاب اللَّه والسُّنَّة التي ... أتاهم بها صحب الرسول ذوو المجد
أنتم أهدى من صحابة أحمد ... وأهل الكسا هيهات ما الشوك كالورد
أولئك أهدى في الطريقة منكم ... فهم قدوتي حتى أوسد في لحدي

وشتان ما بين المقلد في الهدى ومن يقتدي والضد يعرف بالضد
فمقتدياً كن في الهدى لا مقلداً وخلِّ أخا التقليد في الأسر بالقد

(إلى آخر القصيدة).

القرآن كلام الله

(ومن الشواهد لأسماء القرآن الكريم، ما قاله الشيخ الفاضل المحقق ملا عمران بن رضوان، صاحب لنجة، لما تبين له حقيقة ما دعا إليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ قال)[1]:

إن كان تابع أحمد متوهباً فأنا المقر بأنني وهابي
أنفي الشريك عن الإله فليس لي رب سوى المتفرد الوهاب
لا قبة ترجى ولا وثن ولا قبر له سبب من الأسباب
كلا ولا شجر ولا حجر ولا عين ولا نصب من الأنصاب
أيضاً ولست معلقاً لتميمة أو حلقة أو ودعة أو ناب
لرجاء نفع أو لدفع بلية اللَّه ينفعني ويدفع ما بي
والابتداع وكل أمر محدث في الدين ينكره أولو الألباب
أرجو بأني لا أقاربه ولا أرضاه ديناً وهو غير صواب
وأمر آيات الصفات كما أتت بخلاف كل موؤل مرتاب
والاستواء فإن حسبي قدرة فيه مقال السادة الأقطاب
كالشافعي ومالك وأبي حنيـ ـفة وابن حنبل التقي الأواب
وكلام ربي لا أقول عبارة كمقال ذي التأويل في ذا الباب

(١) كشف غياهب الظلام (ص١٧٨).

بـل إنـه عـيـن الـكـلام أتـى بـه جبرائيل ينسخ حكم كل كتاب
هـذا الـذي جاء الـصحيح بنصه وهـو اعـتـقـاد الآل والأصـحـاب
وبـعـصـرنـا مـن جـاء مـعـتـقـداً بـه صـاحـوا عـلـيـه مـجـسـم وهـابـي
جاء الـحديث بغربة الإسلام فلْـ ـيَبْكِ الـمحب لـغـربـة الأحـبـاب
خـيـر لـه مـن صـاحـب مـتـجـهـم ذي بدعة يـمشي كـمشي غـراب
مـهـمـا تـلا الـقـرآن قـال عـبـارة أي أنـه كـمـتـرجـم لـخـطـاب
وإذا تـلا آي الـصـفـات يـخـوض في تأويلها خوضاً بغير حساب
فـاللَّه يـجـمـعـنـا ويـحـفـظ ديـنـنـا مـن شـر كـل مـعـانـد سـبـاب
ويـؤيـد الـديـن الـحـنـيـف بـعـصـبـة مـتـمـسـكـيـن بـسُـنَّـة وكـتـاب
لا يـأخـذونَ بـرأيـهـم وقـيـاسـهـم ولـهـم إلـى الـوحـيـيـن خـيـر مـآب
لا يـشـربـون مـن الـمـكـدر إنـمـا لـهـم مـن الـصـافـي ألـذ شـراب
قـد أخـبـر الـمـخـتـار عـنـهـم أنـهـم غـربـاء بـيـن الأهـل والأصـحـاب
في معزل عنهم وعن شطحاتهم وعـن الـغـلـو وعـن بـنـاء قـبـاب
سلكوا طريق السابقين على الهدى ومشوا على منهاجهم بصواب
من أجل ذا أهل الغلو تنافروا عـنـهـم فـقـلـنـا لـيـس ذا بـعـجـاب
نـفـر الـذيـن دعـاهـم خـيـر الـورى إذ لـقـبـوه بـسـاحـر كـذاب
مـع عـلـمـهـم بـأمـانـة وديـانـة وصـيـانـة فـيـه وصـدق جـواب
صلى عليه اللَّه ما هب الصَّبا وعـلـى جـمـيـع الآل والأصـحـاب

وما هو إلا الوحي

وما هـو إلا الـوحـي أوحـد مـرهـف تـقـيـم ظـبـاه ظـلـم كـل مـائـل
فـهـذا دواء الـداء مـن كـل عـاقـل وهـذا دواء الـداء مـن كـل جـاهـل

هو الوحي دين الله

(وهنا قصيدة أرسلها الإمام عبد العزيز بن سعود الأول إلى الشيخ محمد بن عبد القادر الحفظي؛ ترغيباً في إقامة الدعوة لشريعة الإسلام والعمل بذلك، وحيث أن القصيدة فيها شواهد للقرآن وأسماء القرآن، فنسوقها بعد الاستعانة بالله تعالى، قال)[١]:

تَأَلَّقَ بَرْقُ الحَقِّ في العارضِ النَّجْدِي ... فَعَمَّ جَمِيعَ الكَونِ في الغَورِ والنَّجْدِي
وَأَورَقَتِ الأَشْجَارُ وانْتَهَضَتْ بِهَا ... يَوانعُ أنواعٍ من الثَمَرِ الرَّغْدِ
وأَشْرَقَتِ الأَنْوَارُ مِن زَهْرِ وَرْدِهِ ... وأَعْبَقَتِ الأَقْطَارُ مِن طِيبِهِ النّدِ
وَغَرَّدَتِ الأَطْيَارُ بِالذِكْرِ تُطْرِبُ الـ ... ـمَسَامِعَ جَهْراً فَوقَ أَغْصَانِهَا المُلْدِ
وقامَ خطيبُ الكَائِنَاتِ لِرَبِّهَا ... عَلَى الخِصْبِ بَعدَ المَحلِّ بِالشُكْرِ والحَمْدِ
فَذَاكَ الحَيَا يُحْيِي القُلُوبَ رَبِيعُهَا ... وَمَطعومُهَا مَشْرُوبُها طَيِّبُها الورْدِ
فَهَا نَحْنُ نَجْنِي مِن ثِمارِ غِرَاسِهَا ... ونَرجُو جَنَاهُ العَفْوَ في جَنَّةِ الخُلْدِ
فإِنْ كُنْتَ مُشْتَاقاً إِلَى ذَلِكَ الجَنَا ... فَذُقْهُ تَجِدْ طَعماً أَلَذَّ مِن الشَّهْدِ
هُوَ الوَحْيُ دِينُ اللَّهِ عِصْمَةُ أَهْلِهِ ... وَحَظُّهُمُ الأَوفَى وَجَدُّهُمُ المَجْدِي
به يُنْتَجَى والناسُ في هَلَكَاتِهِمْ ... به يُرْتَجَى نَيلُ الرغَائِبِ والرِفْدِ
به الأَمْنُ في الدنيا وفي الحَشْرِ واللِقَا ... ومِن قَبْلُ عِنْدَ الاحْتِضَارِ وفي اللَّحْدِ
به تَصْلُحُ الدنيا به تُحْقَنُ الدِّمَا ... به يُحْتَمَى مِن كُلِّ بَاغٍ وذِي حِقْدِ
به زُعْزِعَتْ أَرْكَانُ كِسْرَى وَقَيصَرَ ... ولم يُجْدِ مَا حَازَا مِن المَالِ والجُنْدِ
وأَمْثَالُها في السَّالِكينَ طَرِيقُهُمْ ... أَرَانَا كَمَا قَد قَالَهُ صَادِقُ الوَعْدِ
فَلِلَّهِ حَمْدٌ يَرْتَضِيهِ لِنَفْسِهِ ... عَلَى نِعَمٍ زَادَتْ عَنِ الحَصْرِ والعَدِّ

---

(١) نفحات من عسير (ص٥١).

فَأَعْظَمُهَا بَعْثُ الرَّسولِ مُحَمَّدٍ ... أَمِينِ إِلَهِ الحَقِّ وَاسِطَةِ العِقْدِ
دَعَانَا إِلَى الإسلامِ دِينِ الهِنَا ... وتَوحِيدِهِ بِالقَولِ والفِعْلِ والقَصْدِ
هَدَانَا بِهِ بَعْدَ الضَّلَالَةِ والعَمَى ... وأَنْقَذَنَا بَعْدَ الغِوَايَةِ بِالرُّشْدِ
حَبَانَا وأَعْطَانَا الذِي فَوقَ وَهْمِنَا ... وأَمْكَنَنَا مِن كُلِّ طَاغٍ وَمُعْتَدِ
وأَيَّدَنَا بِالنَّصْرِ وَاتَّسَعَتْ لَنَا ... مَمَالِكُ لَا تَدْعُو سِوَى الوَاحِدِ الفَرْدِ
فَنَسْأَلُهُ إِتْمَامَ نِعْمَتِهِ بِأَنْ ... يُثَبِّتَنَا عِنْدَ المَصَادِرِ كَالوِرْدِ
فيا فوزَ عبدٍ قَامَ للَّهِ جَاهِداً ... عَلَى قَدَمِ التجريدِ يَهْدِي وَيَسْتَهْدِي
وَجَرَّدَ في نَصْرِ الشَّرِيعَةِ صَارِماً ... بِعَزْمٍ يُرَى أَمْضَى مِن الصَّارِمِ الهِنْدِي
وتابَعَ هَدْيَ المُصْطَفَى الطُهْرَ مُخْلِصاً ... لِخَالِقِهِ فِيمَا يُسِرُّ وَمَا يُبْدِي
ويَا حَسْرَةَ المَحْرُومِ رَحْمَةَ رَبِهِ ... بإعْرَاضِهِ عن دِينِ ذِي الجُودِ والمَجْدِ
لَقَدْ فَاتَه الخَيرُ الكَثِيرُ وَمَا دَرَى ... وَقَد خَابَ واختارَ النُحُوسَ عَلَى السَّعْدِ
ومِن بَعْدِ حَمْدِ اللَّهِ أَزْكَى صَلَاتِهِ ... وَتَسلِيمِهِ الأَوفَى الكَثِيرِ بِلَا حَدِ
عَلَى المصطَفَى خَيرِ الأنامِ وآلِهِ ... وأصحابِهِ أهْلِ السَّوابِقِ وَالزُهْدِ

وتقتدي بكتاب الله

(والإمام سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود الكبير رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث كان من المناصرين والقائمين، بدعوة الإصلاح الدعوة الإسلامية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب غفر الله له وأسكنه فسيح جناته، حصلت لسعود انتصارات في الجزيرة العربية، وكانت تزدلف عليه التهاني نظماً ونثراً، فمنها ما قاله محمد أحمد الحفظي، من علماء عسير، قال في مطلع قصيدة)[1]:

---

(١) نفحات من عسير.

لا زال عدلك بين الناس مشهوراً ... ولا برحت على الأعداء منصوراً
ودمت تقبل من حكم الشريعة ما ... قد كان قبلك في البلدان مهجوراً
وتقتدي بكتاب اللّه متبعاً ... وعن الظلام الهوى مستبدلاً نوراً
فإن هذا هو الفخر العظيم بل المجد ... الصميم الذي قد كان مشهوراً

(إلى أن قال):

واللّه قد أنزل القرآن معجزة ... نوراً مبيناً وبالتبيان مزبوراً
وأرسل الرسل رب العرش معذرة ... وحجة لم تدع في الناس مغروراً
وبين في هذا الزمان الحق لنا ... فصار حزب الهوى بالحق مدحوراً
بدعوة من ربي نجد مجددة ... لا زال من جدد الإسلام منصوراً

هو البصائر والشفاء

(ومن الشواهد للقرآن وأسماء القرآن: ما قاله الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي المولود بقرية المضايا جنوب مدينة جازان عام ١٣٤٦هـ، وتوفي في مكة عام ١٣٧٧هـ رَحِمَهُ اللَّهُ، وغفر لنا وله، قال الوصية بكتاب الله عَزَّ وَجَلَّ)[١]:

وبالتَّدبُرِ والتَّرْتِيْلِ فاتْلُ كِتَا ... بَ اللَّهِ لا سِيَّمَا في حِنْدِسِ الظُلَمِ
حَكِّمْ بَرَاهِيْنَهُ وَاعْمَلْ بمُحْكَمِهِ ... حِلّاً وَحظْراً وَما قَدْ حَدَّهُ أقِمِ
واطْلُبْ مَعَانِيْهِ بالنَّقْلِ الصَّرِيْحِ ولا ... تخُضْ بِرَأْيِكَ واحْذَرْ بَطْشَ مُنْتَقِمِ
واطلب معانيه بالنقل الصريح ولا ... تخض برأيك واحذر بطش منتقم
ثُمَّ المِرَا فِيْهِ كُفْرٌ فاحْذَرَنْهُ وَلَا ... يَسْتَهْوِيَنَّكَ أقْوَامٌ بِزَيْغِهِمِ

(١) المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية، لحافظ الحكمي، انظر: مجموعة القصائد الزهديات (١/ ٢٤).

وعن مَنَاهِيْهِ كُنْ يَا صَاحِ مُنْزَجِراً ... والأمْرَ مِنْهُ بلَا تَرْدَادٍ فالْتَزِمِ
وما تَشَابَهَ فَوِّضْ لِلإلهِ وَلَا ... تَخُضْ فَخَوضُكَ فَيْهِ مُوْجِبُ النِّقَمِ
ولا تُطِعْ قَوْلَ ذِيْ زَيْغٍ يُزَخْرِفُهُ ... مِنْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ في الدِيْنِ مُتَّهَمِ
حَيْرَانَ ضَلَّ عن الحَقِّ المُبِيْن فَلَا ... يَنْفَكُّ مُنْحَرِفاً مُعَوِّجَ لَم يَقْمِ
هُوَ الكِتَابُ الذِي مَنْ قام يَقْرؤُهُ ... كَأنَّمَا خَاطَبَ الرَّحْمٰنَ بالكَلِمِ
هُوَ الصِّرَاطُ هُوّ الحَبْلُ المَتِيْنُ هو الـ ... ـمِيْزَانُ والعُرْوَةُ الوثْقَى لِمُعْتَصِمِ
هُوَ البَيَانُ هُوَ الذِّكْرُ الحِكِيْمُ هُوَ التّـ ... ـتَفْصِيْلُ فاقنَعْ بِهِ في كُلِّ مُنْبَهِمِ
هُوَ البَصَائِرُ والذِّكْرَى لِمُدَّكِّرٍ ... هُوَ المَواعِظُ والبُشْرَى لِغَيْر عَمِي
هُوَ المُنَزَّلُ نُوْراً بَيِّناً وهُدَى ... وهُو الشِفَاءُ لِمَا في القَلْب مِن سَقَمِ
لَكِنَّه لْأولِي الإِيْمَانِ إذْ عمِلُوا ... بمَا أتَى فيه مِن عِلْمٍ ومِن حِكَمِ
أمَّا عَلَى مَنْ تَوَلَّى عَنْهُ فَهْوَ عَمَى ... لِكَوْنِهِ عَن هُدَاهُ المُسْتَنِيْرِ عَمِي
فَمَنْ يُقِمْهُ يَكُنْ يَوْمَ المَعَادِ لَهُ ... خَيْرُ الإِمَام إلى الفِرْدَوْسِ والنِّعَمِ
كَمَا يَسُوْقُ أُولِي الإعْرَاضِ عنهُ إلَى ... دَارِ المَقَامِعِ والأنْكَالِ والأَلَمِ
وَقَدْ أَتَى النَّصُّ في الطُوْلَيْنِ أنَهُمَا ... ظَلَّا لِتَالِيْهِمَا في مَوْقِفِ الغَمَمِ
وأنَّهُ في غَدٍ يأتِي لِصَاحِبِهِ ... مُبشِّراً وحَجِيْجاً عَنْهُ إنْ يُقِمِ
والمُلْكَ والخُلْدَ يُعْطِيْهِ وَيُلْبسُهُ ... تَاجَ الوَقَارِ الإلٰهُ الحَقُّ ذُوْ الكَرَمِ
يُقَالُ اقْرَأْ وَرَتِّلْ وَارْقَ في غُرَفِ الْـ ... ـجَنَّاتِ كَيْ تَنْتَهِي لِلْمَنْزِلِ النَّعِمِ
وَحُلَّتَانِ مِن الفِرْدَوْسِ قَدْ كُسِيَتْ ... لِوَالِدَيْهِ لَهَا الأَكْوَانُ لَمْ تَقُمِ
قَالَا بِمَاذَا كُسِينَاهَا فَقِيْلَ بِمَا ... أَقْرَأْتُمَا ابْنَكُما فَاشْكُرْ لِذِي النَّعَمِ
كَفَى وَحَسْبُكَ بالقُرآنِ مُعْجِزَةً ... دَامَتْ لَدَيْنَا دَوَاماً غَيْرَ مُنْصَرِمِ
لَمْ يَعْتِرِهْ قَطُّ تَبْدِيْلٌ ولا غِيَرٌ ... وجَلَّ في كَثْرَةِ التَّرْدَادِ عَنْ سَأَمِ

مُهَيْمِناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذي عِوَجِ ... مُصَدِّقاً جَاءَ في التَّنْزِيْلِ في القِدَمِ
فِيْهِ التَّفَاصِيْلُ للأَحْكَامِ مَعَ نَبَأٍ ... عَمَّا سَيَأْتِي وعن مَاضٍ مِن الأُمَمِ
فَانْظُرْ قَوَارِعَ آياتِ المَعَادِ بِهِ ... وانْظُرْ لما قَصَّ عنِ عَاد وَعَنْ إرمِ
وانْظُرْ بِهِ شَرْحَ أَحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ هَلْ ... تَرَى بِهَا مِن عَوِيْصٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ
أَمْ مِن صَلَاحٍ وَلَمْ يَهْدِ الأَنَامَ لَهُ ... أَمْ بَابِ هُلْكٍ وَلَمْ يَزْجُرْ ولَمْ يَلُمِ
أَمْ كَانَ يُغْنِيْ نَقِيْراً عن هِدَايَتِهِ ... جَمِيْعُ ما عِنْدَ أَهْلِ الأَرْضِ مِن نُظُمِ
أَخْبَارُهُ عِظَةٌ أَمْثَالُهُ عِبَرٌ ... وكُلُّهُ عَجَبٌ سُحْقاً لِذِي صَمَمِ
لَمْ تَلْبَثِ الجِنُّ إذْ أَصْغَتْ لِتَسْمَعَهُ ... أنْ بَادَرُوْا نُذُراً مِنْهُمْ لِقَوْمِهِم
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا قَدْ حَازَ مِن عِبَرٍ ... ومِن بَيَانٍ وإعْجَازٍ ومِن حِكَمِ
واللَّهُ أَكْبَرُ إذْ أَعْيَتْ بَلَاغَتُهُ ... وحُسْنُ تَرْكِيْبِهِ لِلْعُرْبِ والعَجَمِ
كَمْ مُلْحِدٍ رَامَ أَنْ يُبْدِيْ مُعَارَضَةً ... فَعَادَ بالذُّلِّ والخُسْرانِ والرَّغَمِ
هَيْهَاتَ بُعْداً لِمَا رَامُوا وَمَا قَصَدُوْا ... وما تَمَنَّوْا لَقَدْ بَاؤُوْا بِذُلِّهِمِ
خَابَتْ أَمَانِيْهُمُ شَاهَتْ وُجُوْهُهُمُ ... زَاعَتْ قُلُوبُهُمُ عن هَديهِ القَيِّمِ
كَمْ قَدْ تَحَدَّى قُرَيْشاً في القَدِيْم وهُمْ ... أَهْلُ البَلَاغَةِ بَيْنَ الخَلْقِ كُلِّهِمِ
بِمِثْلِهِ وَبِعَشْرٍ ثُمَّ وَاحِدَةٍ ... فَلَمْ يَرُوْمُوْا إذْ ذَا الأمْرُ لَمْ يُرمِ
الجنُّ والإنْسُ لم يَأْتُوا لَو اجْتَمَعُوْا ... بِمِثْلِهِ وَلَوِ انْضَمُّوْا لِمِثْلِهِمِ
أَنَّى وَكَيْفَ وَرَبُّ العَرْشِ قَائِلُهُ ... سُبْحَانَهُ جَلَّ عن شِبْهٍ لَهُ وَسَمِي
مَا كَانَ خَلْقاً ولا فَيْضاً تَصَوَّرَهُ ... نَبِيُّنَا لَا وَلَا تَعْبِيرَ ذِي نَسَمِ
بَلْ قَالَهُ رَبُّنَا قَوْلاً وأَنْزَلَهُ ... وَحْياً على قَلْبِهِ المُسْتَيْقِظِ الفَهِمِ
واللَّهُ يَشْهَدُ والأملاكُ شَاهِدَةٌ ... والرُّسْلُ مَعْ مُؤْمِنِي العُرْبَانِ والعَجَمِ

(قلت: فهذه القصيدة الميمية لحافظ بن أحمد الحكمي، في نظري

فاقت جميع القصائد التي رأيتها في مديح القرآن، فقد ذكر فيها من أوصاف القرآن وأسمائه، إحدى وعشرين اسماً، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر من قصيدته المشهورة بجوهرة التوحيد، وهي تقريباً مائتان وخمسون بيتاً، باب الإيمان بكتب الله المنزلة)[١]:

وكتبه بالهدى والحق منزلة ... نوراً وذكرى وبشرى للذين هُدوا
ثم القرآن كلامُ اللَّه ليس كما ... قال الذين على الإلحاد قد مردوا
جعدٌ وجُهْم وبِشر ثم شيعتهم ... ألَّا فبُعداً لهم بُعداً وقد بعدوا
تكلَّم اللَّه ربِّ العالمين به ... قولاً وأنزله وحياً به الرشد
نتلوه نسمعه نراه نكتبه ... خطّاً ونحفظهً بالقلب نعتقدُ
وكلُّ أفعالنا مخلوقة وكذا ... آلاتنا الرق والأقلام والمددُ
وليس مخلوقاً القرآن حيث تُلي ... أو خُط فهو كلام اللَّه مستردُ
والواقفون[٢] فشر نِحلة وكذا ... لفظية[٣] ساء ما راحوا وما قصدوا

ومراده بقوله: جعد، وجهم، وبشرهم: الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وبشر المريسي.

المتلو قول الباري

(ثم إن الشيخ حافظ صاغ قصيدة، وهي مائتان وسبعون بيتاً، سماها سلم الوصول إلى علم الأصول، في توحيد الله، واتباع الرسول ﷺ):

---

(١) الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة، وانظر: مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٤٨٨).
(٢) قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: الواقفون هم الذين يقولون: لا نقول القرآن مخلوق، ولا غير مخلوق.
(٣) قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: اللفظية يقول أحدهم: لفظي بالقرآن مخلوق وذلك لا يجوز لما فيه من الإيهام.

(قال في أثنائها)[١]:

والقولُ في كتابِه المُفَصَّلْ ... بأنه كلامُه المُنَزَّلْ
على الرسولِ المصطفى خيرِ الورَى ... ليس بمخلوقٍ ولا بِمُفترى
يُحفَظُ بالقَلْبِ وباللسانِ ... يُتلى كما يُسمَعُ بالأذانِ
كذا بالأَبصارِ إليه يُنظَرُ ... وبالأيادي خطُّه يُسطَّر
وكلُّ ذي مخلوقةٌ حَقِيقةْ ... دُونَ كَلامِ بارِئِ الخليقةْ
جَلَّتْ صِفاتُ ربِّنا الرحمٰنِ ... عنْ وصفِها بالخلقِ والحِدْثانِ
فالصَّوتُ والأَلْحَانُ صوتُ القاري ... لكنَّما المتلوُّ قولُ الباري
ما قاله لا يَقبَلُ التَّبْديلا ... كلاّ ولا أصدقُ منه قِيلَا

آيات القرآن محكمة

(وأيضاً حافظ الحكمي له قصيدة مد فيها الباع وطول النفس، فهي ستمائة بيت وأربعون بيتاً عنوانها: وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول، قال في أثنائها: كتاب أصول الأدلة)[٢]:

أَدِلَّةُ الشَّرعِ الشَّرِيفِ أَربَعَهْ: ... مُحكَمُ آيٍ، سُنَّةٌ مُتَّبَعَة
وَالثَّالِثُ: الإِجماعُ حَيثُ يَنجَلِي ... وَالرَّابعُ: القِياسُ، وَأُخصُصِ الجَلِيْ
لا رَأيَ فِي الدِّينِ وَلا اِسْتِحْسَانَا ... فَاللَّهُ قَد أَكمَلَهُ تِبْيَانَا
وَمَا لِغَيرِ اللَّهِ حُكمٌ أَبَدَا ... وَلا سِوَى الشَّرعِ سَبِيلٌ لِلْهُدَى
فَالشِّركُ فِي التَّشريعِ مِنهُ يَنفَجِرْ ... شِركُ العِبادِ بِالعَزِيزِ الْمُقتَدِرْ

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول (١/ ٣٠).
(٢) وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول (مدخل).

كلام ربي منزلٌ تنزيلاً

(ثم قال حافظ: الدليل الأول: الكتاب):

أَمَّا الكِتابُ فَهُوَ القُرآنُ ... بَينَ الضَّلالُ وَالهُدَى فُرقانُ
الْمُعجِزُ الْمُفحِمُ لِلأَضْدَادِ ... بِرهانُ حَقٍّ أَبَدُ الآبادِ
كَلامُ رَبٍّ مُنْزَلٌ تَنْزِيلَا ... لا يَقبَلُ الْخُلفَ وَلا التَّبدِيلَا
بِهِ الإِلَهُ خَلَقَهْ تَعَبُّدَا ... تِلاوَةً تَدَبُّراً ثُمَّ اِهْتِدَا
فقال جَلَّ: اِتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا ... لِتُرْحَمُوا وَاستَمسِكُوا بِهِ ثِقُوا
فِيهِ بَيَانُ مَا مَضَى فِي الأَوَّلِ ... وَنَبَأُ الْحَاصِلِ فِي الْمُستَقبَلِ
وَفَصلُ أَحكَامِ الْعُبُودِيَّاتِ ... فِي القَولِ وَالأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ
وَإِنَّمَا يَأتِي عَلَى مَعلُومِهِ ... مَن أَحرَزَ الْجُملَةَ مِن عُلُومِهِ
وَأَمعِنِ الفِكرَةَ فِي السِّياقِ ... مَعْ حِفظِ مَا جَاءَ عَنِ السِّباقِ
مِمَّن أَتَوا فِيهِ عَلَى البَيَانِ ... بِالنَّقلِ وَالإِيضَاحِ لِلْمَعَانِي
فَمِنهُ ذُو تَشابُهٍ وَالْمُحكَمُ ... وَمُجمَلٌ مُفَصَّلٌ لا يُبهَمُ
وَعَامٌّ عُمُومُهُ يُرَادُ ... وَمِنهُ مَا خُصُوصُهُ الْمُرادُ
وَجَامِعُ العُمُومِ وَالخُصُوصِ ... وَعَامٌّ أُرِيدَ بِالْمَخصُوصِ
وَظَاهِرٌ يُعرَفُ مِن سِيَاقِهِ ... إِرَادَةُ البَاطِنِ بِاسْتِحقَاقِهِ
وَحَذفُ مَا مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُذْكِرَا ... وَمَا لَهُ التَّقدِيمُ ثُمَّ أُخِّرَا
وكله يبين للمعتبر ... في أول وسط أو آخر
إِمَّا مِنَ الْمَنطُوقِ أَو مَفهُومِهِ ... فَلْتَعلَمِ الَّلازِمَ مِنْ مَلْزُومِهِ
وَلتَعلَمِ الأَمرَ كَذَا النَّهيَ وَمَا ... تَجِيءُ مِنْ مُقتَضِياتٍ لَهُمَا
وَالْعِلمُ بِالنَّاسِخِ وَالْمَنسُوخِ ... مِمَّا بِهِ اِعتَنَى أُلُو الرُّسُوخِ

وَسَبَبُ النُّزولِ وَالتَّأرِيخِ لَهْ ... مِمَّا يُبَيِّنْ فِقهَ حُكمِ الْمَسألَهْ
وَكُلُّهُ تَوَاتُرٌ قَد وَصَلا ... وَاللَّهُ بِالْحِفظِ لَهُ تَكَفَّلَا

كتاب حوى كل العلوم

(ومن القصائد الرائعة؛ قصيدة بائية للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، وفاته بصنعاء سنة ١١٨٢هـ رحمه الله تعالى، قصيدة جميلة المباني قوية المعاني، فيها الوصية بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وفيها كل ما لذ وطاب من التأدب بالآداب الشرعية، والتخلق بالأخلاق الإسلامية، وفيها تصريحات وإشارات ولمحات إلى شيء من عظمة القرآن، وأسمائه وأوصافه)[1]:

(قال طيب الله ثراه):

أَما آنَ عَمَّا أَنْتَ فيه مَتَابُ ... وهَلْ لَكَ مِن بعدِ البِعادِ إيابُ
تَقَضَّتْ بِكَ الأعمارُ في غير طاعةٍ ... فكلُ بناءٍ قد بَنَيْتَ خَرابُ
إذا لم يَكُنْ للَّهِ فِعلك خالِصاً ... سِوى عَمل تَرْضَاهُ وهْوَ سَرَابُ
فلِلعَمَلِ الإخلاصُ شرطٌ إذا أتَى ... وقَدْ وَافقتْهُ سُنَّةٌ وكِتَابُ
وقد صِينَ عن كُلِّ ابتداعٍ وكيف ذا ... وقد طبَّق الآفاق منه عُبَابُ
طغى الماءُ مِن بَحرِ ابتداعٍ على الوَرَى ... ولم يَنْجُ منه مَرْكَبٌ وركَابُ
وطُوفَانُ نُوح كانَ في الفُلك أهلُه ... فنَجَّاهُمُ والغَارِقُونَ تَبَابُ
وأنا لَنَا فَلْكٌ يُنَجِّي وَلَيتَهُ ... يَطِيرُ بِنَا عَمّا نَراهُ غَرَابُ
وأينَ إلَى أينَ المَطَارُ وكُلَّمَا ... عَلىَ ظَهْرِهَا يَأْتِيكَ عَنْهُ عُجَابُ

---

(١) أربح البضاعة في معتقد أهل السُّنَّة والجماعة (ص٨٧)، عن عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/ ٦٧٣).

نُسَائِلُ مَن دَارَ الأَراضِي سِياحَةً ... عَسَى بَلْدةٌ فِيها هُدًى وصَوَابُ
فَيُخْبِرُ كُلٌّ عَن قَبَائِحِ مَا رَأى ... ولَيسَ لِأَهْلِيها يَكُونُ مَتَابُ
لأَنَّهُمُ عَدُّوا قَبَائِحَ فِعْلِهِمْ ... مَحَاسِنَ يُرْجَى عِنْدَهُمَّ ثَوابُ
كقومِ عُرَاةٍ في ذُرَى مِصْرَ مَا يرى ... عَلىَ عَورَةٍ مِنْهُم هُنَاكَ ثِيَابُ
يَدُورُون فِيها كَاشِفِي عَوَرَاتِهِمْ ... تَوَاتَرَ هَذَا لَا يُقَالُ كِذَابُ
يعُدُّونَهُمْ في مِصْرِهَا فُضَلَاءُ هُمْ ... دُعَاؤُهُمْ فِيما يَرَونَ حُجَابُ
وفِيها وفِيها كُلَّمَا لا يَعُدُّهُ ... لِسَانٌ ولا يَدْنُوا إليهِ خِطابُ
وفي كُلِّ مِصْرٍ مِثْلُ مِصْرَ وإنَّمَا ... لِكُلٍّ مُسَمَّى والجَميعُ ذِئابُ
تَرَى الدِينَ مِثْلَ الشَّاةِ قَدْ وَثَبَتْ لَهَا ... ذِئَابٌ ومَا عَنْهُ لَهُنَّ ذَهَابُ
فَقَد مَزَّقَتْهُ بَعْدَ كُلَّ مُمَزّقٍ ... فلَم يَبقَ مِنهُ جُثَّةٌ وَإهَابُ
وَلَيسَ اغْتِرَابُ الدِينِ إلَّا كَما تَرى ... فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الاغْترابِ إيَابُ
فيا غُرْبَةً هَلْ يُرْتجَى مِنْكِ أَوبَةٌ ... فَيُجْبَرُ مِن هَذَا البِعَادِ مُصَابُ
فَلَمْ يَبْقَ لِلرَّاجِي سَلَامَةُ دِينِهِ ... سِوَى عُزْلَةٍ فِيهَا الجَلِيسُ كِتَابُ
كِتَابٌ حَوَى كُلَّ العُلُوم وكُلُّ مَا ... حَوَاهُ مِن العِلْمِ الشَّرِيفِ صَوَابُ
فإنْ رُمْتَ تَارِيخَا رَأَيتَ عَجَائِباً ... تَرَى آدَماً إذْ كَانَ وهْوَ تُرَابُ
ولاقَيتَ هَابِيلاً قَتِيلَ شَقِيقِهِ ... يُوَارِيهِ لَمَّا أَنْ أَرَاهُ غُرَابُ
وتَنْظُرُ نُوحاً وهْوَ فِي الفُلْكِ إذ طَغَى ... عَلىَ الأَرْضِ مِن مَاءِ السَّمَاءِ عُبَابُ
وإنْ شِئْتَ كُلُّ الأَنْبِياءِ وقَومِهِمْ ... وما قَالَ كُلٌّ مِنْهُمُ وأجَابُوا
ترَى كَلَّ مَن تَهوىَ من القَومِ مؤمناً ... وَأكثرُهُم قَدْ كذّبُوهُ وخَابُوا
وجَنَّاتِ عَدْن حُورَهُا ونَعِيمَهَا ... ونَاراً بِهَا لِلْمُشْرِكِينَ عَذَابُ
فتِلكَ لأصحاب التقى ثم هذه ... لِكُلِّ شقيٍّ قدْ حواهَ عِقابَ

وَإنْ تُرِدِ الوَعْظَ الذِي إنْ عَقَلْتَهُ فإنَّ دُمُوعَ العَينِ عَنْهُ جَوَابُ
تجَدْهُ ومَا تَهْوَاهُ مِن كُلِّ مَشْرَبٍ فلِلرُّوحِ مِنْهُ مَطْعَمٌ وشَرَابُ
وإنْ رُمْتَ أبْرَزَ الأدلةِ في الذي تُرِيدُ فَمَا تَدْعُوا إليهِ تُجَابُ
تَدلُ عَلىَ التَّوحِيدِ فِيه قَوَاطِعٌ بِهِا قُطِّعَتْ لِلْمُلْحِدِينَ رِقَابُ
وفيه الدَّوَاء مِن كُلِّ دَاءٍ فِثِقْ بِهِ فَوَاللَّهِ ما عَنْهُ يَنُوبُ كِتَابُ
وما مَطْلَبٌ إلَّا وفِيهِ دَلِيلُهُ وَلَيسَ عَليه لِلذَّكِي حِجَابُ
وفي رُقْيَةِ الصَّحْبِ اللديغِ قَضِّيةٌ وقَرَّرَهَا المُخْتَارُ حِينَ أصَابُوا
ولَكِنَّ سُكَّانَ البَسِيطةِ أَصْبَحُوا كَأَنَّهمُ عَمَّا حَوَاهُ غِضَابُ
فلا يَطْلُبُونَ الحقَّ مِنْهُ وإنَّمَا يَقُولُونَ مَن يَتْلُوهُ فَهْوَ مُثابُ
فإنْ جَاءَهُم فِيه الدلِيلُ مُوَافِقاً لِمَا كَانَ للآباء إلِيهِ ذَهَابُ
رَضَوهُ وإلَّا قِيلَ هَذَا مُؤَوَّلٌ ويُرْكَبُ في التأويلِ فِيه صِعَابُ
تَرَاهُ أَسِيراً كُلُّ حَبْرٍ يَقُودُهُ إلى مَذْهَبٍ قَدْ قَرَّرَتْهُ صِحَابُ
أَتُعْرِضُ ياذا عَن رِيَاضٍ أَرِيضَةٍ وَتعْتَاضُ جَهْلاً بالرياضِ هِضَابُ
يُرِيكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وغَيرُهُ مَفَاوِزَ جَهْلٍ كُلَّهُا وشِعَابُ
يَزِيدُ عَلىَ مَرِّ الجَدِيدَينِ جِدَّةً فَألفَاظُهُ مَهْمَا تَلوتَ عِذابُ
وآياتُهُ في كُلِّ حِينٍ طَرِيَّةٌ وتَبْلُغُ أَقْصَى العُمْرِ وهيَ كِعَابُ
ففِيهِ هُدًى لِلْعَالِمينَ وَرَحْمَةٌ وفيه عُلَومٌ جَمّةَ وثوابُ
فَكُلُ كَلامٍ غيرُهُ القِشْرُ لَا سِوَى وذا كُلَّهُ عِنْدَ اللَّبِيبِ لُبَابُ
دَعُوا كُلَّ قَولٍ غَيرَهُ وسِوَى الذِي أَتَى عَن رَسُولِ اللَّه فَهْوَ صَوَابُ
وعَضُّوا عَلَيهِ بِالنَّواجِذِ واصْبِرُوا عَلَيهِ ولَو لَم يَبْقَ في الفَمِ نَابُ
تَرَوا كُلَّما تَرْجُونَ مِن كُلِّ مَطْلَبٍ إذَا كَانَ فِيكُمْ هِمَّةٌ وَطِلَابُ

أَطِيلُوا على السَّبْعِ الطِوَالِ وُقوفَكم تَـدُرُّ عَـلَـيكُـم بـالْـعُـلُـوم سَـحَـابُ
فَكم مِن أَلُوَفٍ بالمِئِين فكن بِهَا أُلُوفاً تَجِدْ مَا ضَاقَ عَنه حِسَابُ
وفي طَي أَثْنَاءِ الـمَـثَـانِي نَفَائِسُ يَـطِـيـبُ لَـهَـا نَـشْـرٌ ويُـفْـتَـحُ بَـابُ
وكمْ مِن فُصُولٍ في المُفَصَّلِ قَدْ حَوَتْ أُصُـولاً إلـيـهَـا لِـلَّـذكِـيِّ إيـاب
وما كان في عَصْرِ الرُسُولِ وصَحْبِهِ سِوَاهُ لِـهَـدْيِ الـعَـالِـمَـيـنَ كِـتَـابُ
تَـلَا فُـصِّـلَـتْ لَـمـا أَتَـاهُ مُـجَـادِلٌ فـأُبْـلِـسَ حَـتَّـى لا يَـكُـونُ جَـوَابُ
أَقَـرَّ بِـأَنَّ الـقَـولَ فِـيـه طَـلَاوَةٌ وَيـعـلُـو لا يَـعْـلـو عَـلَـيـهِ خِـطَـابُ
وأَدْبَـرَ عَـنْـهُ هَـائِـمـاً فـي ضَـلَالِـهِ يُـدَبِّـرُ مَـاذَا فـي الأَنَـامِ يُـعَـابُ
وقال وَصِيُّ المُصْطَفَى لَيسَ عِنْدَنَا سِـوَاهُ وإلَّا مَـا حَـوَاهُ قِـرَابُ
وإلَّا الـذِي أعْـطـاهُ فَـهْـمـاً إلَـهُـهُ بـآيـاتِـه فـاسْـأَلْ عَـسَـاكَ تُـجَـابُ
فَمَا الفَهْمُ إلَّا مِن عَطَايَاهُ لا سِوَى بَلِ الخَيرُ كُلُ الخَيرِ مِنْهُ يُصَابُ
سليمان قد أعطاه فهماً فناده يجبك سريعاً ما عليه حجاب
وسل منه توفيقاً ولطفاً ورحمةً فتلك إلى حسن الختام مآب

(قلت: رحم الله الإمام الصنعاني، والعالم الرباني يتفجع ويتوجع من كثرة البدع والمنكرات، فكيف لو رأى هذا الزمن الذي طغت فيه موجات الفتن، وقامت فيه أعاصير الإلحاد).

وما من شك بأن القرآن الكريم، هو: الهدى، هو النور، هو الشفاء، هو الرحمة، هو البشير، هو سفينة النجاة، هو معدن الفضائل ومصدر كل خير، هو المنهاج القويم والصراط المستقيم، هو الذي شحذ الأذهان، وصقل العقول، وزكى النفوس، وهذب الأخلاق، وقوى القلوب، وجعلها مستنيرة بنور الله، لا تستعين إلا بالله، ولا توكل إلا عليه، ولا تعبد إلا إياه، هو عز المسلمين، وقاعدة انتصارهم، هو الذي

جاء بكل خير ونهى عن كل شر، جاء بسعادة الدنيا والآخرة، جاء القرآن الكريم، والنبراس العظيم، وجاء بالصلاح والإصلاح، جاء بإصلاح الأفراد والمجتمعات البشرية.

وجاء بإصلاح العقائد، وتحرير الأفكار والعقول من الخرافات والشطحات، وجاء بإصلاح العبادات وتنقيتها، من كل بدعة قولية أو فعلية، وجاء بإصلاح المعاملات وتصفيتها من الربا والغش والكذب والخيانة، والخداع، جاء القرآن العظيم بإيجاب الواجبات وتحريم المحرمات، جاء بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد، جاء بما يوافق العقول الصحيحة والفطر المستقيمة.

أيها المسلم، القرآن معك، هو معك في كل مكان، معك في خلوتك بالله، ومعك في محرابك، ومعك في جميع عباداتك، ومعك في سوقك وبيتك، ومعك في نومك ويقظتك، ومعك في حضرك وسفرك، ومعك في عملك ووظيفتك، ومعك في انفرادك ومجتمعك، ومعك حال سكوتك ونطقك، ومعك في سلمك وميدان حربك.

أيها المسلم، القرآن معك، ومعك، هو معك يهديك السبيل، ويرشدك إلى طريق الأمن والسلامة، أيها المسلم، القرآن معك فخف الله واعمل بكتاب الله، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله، وجاء القرآن الكريم، بتوحيد الله وإفراده بالعبادة، جاء بإقامة العدل في الأرض ومنع الفساد، جاء بإبطال الأحكام الطاغوتية، التي ما أنزل الله بها من سلطان، فلا عبادة ولا أمر ولا حكم إلا لله، فالحكم بالقوانين الوضعية، المخالفة للشريعة الإسلامية كفر وفساد وظلم للعباد، وغرور وعناد، وربك للظالمين بالمرصاد.

ولا مرية ولا شك بأن القرآن الكريم، كتاب أحكام ونظام، وكتاب

هداية وإعجاز، وكتاب إرشاد وبيان، وكتاب شفاء ورحمة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

أيها المسلم، الله جَلَّ شأنه، معك يحفظك ويكلؤك ويسددك وينصرك، والقرآن معك في ميادين حياتك، وهو حجتك ودليلك الذي ينير لك الطريق، فاتق الله حيثما كنت.

القرآن هو خير هاد للأنام

(وإلى القارئ الكريم، بقية الأشعار التي جاءت في مديح القرآن، وبيان شيء من عظمته، والتي هي أيضاً كالشواهد لأوصاف القرآن وأسمائه، فمن ذلك قصيدة تائية نسجها وصاغها: الشيخ عبد الحميد الخطيب والقصيدة طويلة، وقد ضمَّنها كتابه أسمى الرسالات، وقد أهداها في سنة ١٣٧٣هـ للملك سعود بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، وعبد الحميد درَّس في المسجد الحرام، وعمل كسفير للمملكة العربية السعودية بباكستان، فمن ذلك قوله: (حقيقة القرآن ومعجزاته)[1]:

واللَّه ربي أنزل القرآن منـ ... ـه وأنه خير موسوعات
جمع الفضائل في ثناياه وما ... تصل العقول إليه بالفكرات
هو ندوة علمية رمزت إلى ... كل العلوم ومنتهى الحكمات
هو آية فيها المعاني والبيان ... تمثلاً في أخصر الكلمات

(١) تائية الخطيب في السيرة النبوية.

وكذا البلاغة والبديع بحيث أعـ ـيت مدعى هذين من نسمات
حتى أقروا أنها من ربهم إذ لم يجاروا أصغر السورات
هو معجم للغات يعرب كلها ولها أشار تعدد الصيغات
هو خير تاريخ لمن سبقوا من الـ أمم التي مرت مع الحقبات
مع ما هناك من مواضع عبرة وإشارة لوسائل الخيرات
وخلاصة الأخبار تشريع لنا ودلالة للَّه بالمثلات
هو خير ما يدعو الفتى لإلهه بأدلة لا تقبل الريبات
هو حجة المولى يقدمها لمن رام القناعة دون ما إعنات
هو دعوة للناس من ربِّ الورى بتعطف وبمنتهى الرأفات
هو خير إنذار لكل معاند قد صيغ في شيء من الرحمات
هو خير هاد للأنام لكل ما فيه صلاحهم من الطاعات
هو خير دستور لأحكام العبا د وبعضهم ومع العلى الذات
هو خير معجزة لأمي أتت شهدت له بالعلم والحكمات
وبحسن أخلاق وعظم ثقافة وفصاحة في النطق بالكلمات
ورجاجة في العقل والتفكير مع حزم وإقدام وخير صفات
هو من حكيم ليس يعزب عنه من أمر الورى شيء من الحالات
اللَّه أنزله فلا يأتي إليـ ـه باطل من أيما وجهات
واللَّه ربي لم يفرط فيه من شيء تعالى واسع القدرات
واللَّه نزله يبين كل شيء كان أو سيكون للميقات
وقد احتوى ما في الزبور من العلو م وما بإنجيل مع التوراة

إذ أنه هو آخر الكتب التي قد أنزلت من مالك الميقات
وأتى يصدق ما بها وجميع ما قد جاء فيها جاء مع الحكمات

القرآن كلام الله تعالى

لا غرو إن عجز الورى عن مثله نظماً ومعنى أو هدى وعظات
هو من كلام اللَّه يسره لنا بلساننا بالنص في الآيات
وأتى به جبريل نقلاً عنه لا بتصرف في الوحي للسورات
عربية آياته قد فصلت نزل الأمين بها على دفعات
إذ إنما التكليم منه حقيقة ثبتت لموسى ساعة الميقات
ناداه موسى استمع لي إنني أنا ربك المعبود فرد الذات
فأجابه لبيك استمعت فهل أرا ك فقال: كلا وانظر الصخرات
فإذا استقرت عندما يبدو لها مني التجلي فارتقب رؤياتي
وبلحظة دكت وخر لهول ذا صعقاً ونادى تبت من رغماتي
ولقد غدا هذا دليلاً قاطعاً بسماع موسى الحرف والأصوات
لكن بلا كيف فموسى لم يطق وصفاً لما لا يشبه الهيئات
هو منه حاشا أن نقول بخلقه صفة الكلام لصاحب الكلمات
وتلاوة التالين تحكي ذاك لا مما تعبر عن كلام ذاتي

(إلى آخر القصيدة)

أليس كتاب الله حبلاً معلقاً

(ولما فتح الإمام سعود بن عبد العزيز مكة سنة ١٢١٨هـ، انهالت عليه التهاني، من ذلك قصيدة عدد أبياتها ٨١ بيتاً، أحكم نسجها عالم

عسير في وقته، أحمد الحفظي، وأرسل تلك القصيدة إلى سعود، غفر الله له ورحم الله كل من قام بدعوة إسلامية، أو ناصرها وأيدها، قال في مطلعها)[١]:

على العارض النجدي أهدي سلاميا ... وأزكي تحياتي لتلك الروابيا
سلام على أعلامها وآكامها ... سلام على حضارها والبواديا
سقاها الحيا المحيي ورعياً لحيها ... وحيا محياها وسعداً لثاويا
سلام على الشيخ الإمام محمد ... وصبت على مثواه سحب هواميا
سلام على عبد العزيز وأصله ... فإنهما كانا وكانا موسيا

(إلى أن قال):

وأن سعوداً من مساعيه دام في ... سعود وفي لطف جلي وخافيا
خليفة صدق ناصح للّه جهرة ... فناصحه والصدق أمضى المواضيا
على محكم التنزيل يهدي ويهتدي ... وينصر مظلوماً ويقمع عاصيا

(قلت: وهذا البيت مع ما يأتي هو بيت القصيدة لنا):

أليس كتاب اللّه حبلاً معلقاً ... بأيديكم غضّاً طريّاً سماويّاً
ألم تدرسوا ما فيه يا قوم مالكم ... تبدلتم عن ربكم كل فانيا
ألم تقرأوا أن المساجد كلها ... له فدعوتم أوليا وطوغيا
وما سورة إلا من الشرك رقية ... وما آية إلا وفيها مراقيا
وفاتحة القرآن تكفي لمن له ... ثلاثون فاقرأها إذا كنت قارئا

(إلى أن قال):

---

(١) المذاهب الأدبية في الشعر الحديث (ص٤٧).

أئمة حق والنصوص طريقهم وأحمد خريت الطريق وداعياً
على مذهب الحبر الإمام ابن حنبل عليه من المولى السلام يوافيا
عقائدهم سُنِّية أجمع الملا عليها خصوصاً تابعاً وصحابيا
وأسلمها عقداً وأعلمها هدى وأحكمها فاشدد عليها الأياديا
صرائح قرآن نصوص صريحة ومن ردها دارت عليه الدواهيا
ومن حكم العقول والرأي لم يزل تجاري به الأهواء بوادي التجاريا
فعطل أقوام وشبه فرقة ومن لزم المشروع أصبح ناجيا
وقد أنزل اللَّه الكتاب لخلقه وفسره المختار أصدق حاكيا
وأخبرنا عن ذاته وصفاته وأفعاله في محكمات المبانيا

إفهم خطاب كتاب الله

(والدعوة الإسلامية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود، كان من المناصرين لها والمؤيدين: محمد بن أحمد الحفظي من علماء عسير، وله في ذلك قصائد رائعة، من ذلك قصيدة عدد أبياتها أربعون بيتاً، والشاهد لبحثنا من القصيدة سبعة أبيات، قال في أثنائها):

وافهم خطاب كتاب للَّه واعن به عن صحف موسى وإنجيل يحاذيها
فليس فيها الذي فيه وإن له فضلاً عليها وقد أوعى لما فيها
واتبع أوامره واترك زواجره وزد عناية ترك عن مناهيها
وغص إلى درر الأمثال مفتكراً ما في المثال من الإشكال يجليها
وهبك أنت الذي فيه الخطاب وطف بالسر في الحجب العليا وبانيها
وكلها قسم واللَّه يقسمها لمن يشاء فسل مولاك يعطيها

واستنطق الذكر واستفسر غرائبه بسُنَّة المصطفى تظهر معانيها

كتاب الله ينطق معلناً

(ومحمد بن أحمد الحفظي له قصيدة عدد أبياتها ٦٦ بيتاً، أشاد فيها بالثناء العاطر لمن قام بالدعوة الإسلام، وهو محمد بن عبد الوهاب، والإمام محمد بن سعود، وأولاده وأحفاده، وعرج فيها على وجوب توحيد الله تعالى، وإبطال كل معبود سوى الله، والمناسب لبحثنا من القصيدة عشرة أبيات):

(قال في أثنائها):

واعبده بالمشروع إنك عبده لا تعبد العبد الضعيف الخالي
واستنطق القرآن والأخبار عن شرك العبادة رأس كل ضلال
ثم استمع مثل الذباب فإنه فضح الشريك بذلك التمثالي
وكذلك العبد الذي لجماعة متشاكسين لخدمة ولمال
هذا كتاب اللَّه ينطق معلناً في العنكبوت وص والأنفال
وكذاك تنزيل الكتاب وسورة الأحقاف فيما قد تلاه التالي
ما سورة منه ولا حزب له إلا وفيه غاية الآمال
آيات حق شاهدات أنه المعبو د بالتفصيل والإجمال
وهو الإلٰه المستحق لذاته من خلقه التوحيد بالإكمال
وسواه مربوبون في تصريفه لا يقدرون ولو لحل عقال

القرآن معجزة

(وأيضاً من القصائد التي أثنى فيها الشيخ محمد أحمد الحفظي على سعود الكبير، وأشاد بذكر دعوة الإصلاح، الدعوة الإسلامية،

قصيدة عدد أبياتها ٧٠ بيتاً، وبعون الله نقتطف منها ما يناسب بحثنا، قال في مطلعها):

لا زال عدلك بين الناس مشهوراً ... ولا برحت على الأعداء منصوراً
ودمت تقبل من حكم الشريعة ما ... قد كان قبلك في البلدان مهجوراً
وتقتدي بكتاب اللَّه متبعاً ... وعن ظلام الهوى مستبدلاً نوراً
فإن هذا هو الفخر العظيم با المجد ... الصميم الذي قد كان مشهوراً

(إلى أن قال):

واللَّه قد أنزل القرآن معجزة ... نوراً مبيناً وبالتبيان مزبوراً
وأرسل الرسل رب العرش معذرة ... وحجة لم تدع في الناس مغروراً
وبين الحق في هذا الزمان لنا ... فصار حزب الهوى بالحق مدحوراً
بدعوة من ربي نجد مجددة ... لا زال من جدد الإسلام منصوراً

(إلى أن قال):

إن تنصروا اللَّه ينصركم قد ارتبط ... المشروط بالشرط ربطاً ليس مجروراً
والظلم شؤم بل العصيان قاطبة ... ولن يزال قرين الشر مشروراً
ومن تأمل آيات الكتاب رأى ... ما يطمئن به من كان مذعوراً

القرآن كتاب صادق

(قال الصحابي الجليل النعمان بن بشير رضي الله عنه في أثناء قصيدة له)[1]:

قد أتاكم مع النبي كتاب ... صادق تقشعر منه الجلود
فاتقوا اللَّه واحذروا شر يوم ... قمطرير عذابه مشهود

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصاري (ص٨٨).

فطعام الغواة فيها ضريع وشراب من الحميم صديد

القرآن وحي وهدى وكتاب صدق حكيم

وقال النعمان بن بشير رضي الله عنه في قصيدة له عدد أبياتها ٢٨ بيتاً[١]:

تبارك ذو العرش الذي هو أيدا لنا الدين واختار النبي محمدا
رسولاً لنا يتلو علينا كتابه وينذر بالوحي السعير الموقدا

(إلى أن قال):

وكنا خلوفاً بعدهم لم يكن لنا كتاب ولم يجعل لنا اللَّه موعدا
فهذا كتاب صداق يدرسونه لمن خاف منكم ربه ثم سددا
ألم تعلموا أن قد أتاكم رسوله بقول حكيم صادق ثم وصدا
وبلغكم ما قد أتاكم من الهدى وعم عليكم بالنداء وندا
فلا تك صداداً عن القصد والهدى أصم إذا تدعى إلى الحق أصيدا

كتاب الله أنزل صادقاً

(وقال سبط الرسول صلى الله عليه وسلم الحسين بن علي رضي الله عنهما)[٢]:

أنا ابن عليّ الخير من آل هاشمٍ كفاني بهذا مفخراً حين افخر
وجدي رسول اللَّه أكرم من مشى ونحن سراج اللَّه في الأرض يزهر
وفاطمة أمي سلالة أحمد وعمّي يدعى ذا الجناحين جعفر
وفينا كتاب اللَّه أنزل صادقاً وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر

---

(١) شعر النعمان بن بشير الأنصاري (ص٩٥).
(٢) سمط النجوم العوالي (٣/ ١٨٥).

كتاب الله نقرؤه

(وقال الخليفة التقي الزكي الصالح، عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه)[١]:

يا أيها الرجل المهدي نصيحته ... إن المحاسن والتوفيق بالله
إن كان أمر من السلطان تنكره ... فما عرى الدين والإسلام بالواهي
هذا الكتاب كتاب اللَّه نقرؤه ... مصدق الوحي فينا آمر ناهي
فقد يزل الذي يبقى الهدى رهقا ... عند الشريعة وهو العالم الواهي
الملك يا عمرو ملك اللَّه خالقنا ... والحكم يا عمرو مردود إلى اللَّه

(يخاطب عمر رضي الله عنه عمرو بن ذكينة الربعي)

القضاء في كتاب الله تعالى

(قال عبد الله بن شبرمة الضبي الكوفي قاضيها، وفاته سنة ١٤٤هـ)[٢]:

أقضي بما في كتاب اللَّه مجتهدا ... وبالنظائر أقضي والمقاييس
إذا قضيت بمر الحق مجتهدا ... فلست أجهل أقوال الضغابيس

(وقال في قصيدة أخرى رحمه الله)[٣]:

ما في القضاء شفاعة لمخاصم ... عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون علي إذا قضيت بسُنَّة ... أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت فيما لم أجد أثراً به ... بنظائر معروفة ومعالم

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن الجوزي (ص٢٢٩).
(٢) أخبار القضاة (٣/ ٩٧).
(٣) عيون الأخبار (١/ ١٢٧).

يقضي الكتاب على الصليب

(نعم، من أسماء القرآن كتاب الله، قال جرير يمدح عبد الملك بن مروان، ويهجو الأخطل وقبيلة تغلب):

وَليَ الخلافةَ وَ الكرامةَ أهلها ... فَالمُلْكُ أفْيَحُ، وَالعَطَاءُ جَزيلُ
فعليكَ جزيةُ معشرٍ لمْ يشهدوا ... للَّهِ إنَّ محمداً لرسولُ
تبعوا الضلالةُ ناكبينَ عنِ الهدى ... وَالتّغْلبيُّ عَمي الفُؤادِ ضَلُولُ
يقضي الكتابُ علىَ الصليبِ وتغلبٍ ... وَلِكُلّ مُنْزَلِ آيَةٍ تَأوِيلُ
إنّ النُّبوّة الخِلافَة وَالهُدَى ... رغمٌ لتغلبِ في الحياةِ طويلُ
فَارَقْتُمُ سبُلَ النّبُوّة ِ فاخْضَعوا ... يجزي الخَليفَة ِ وَالذّلِيلُ ذَلِيلُ

القرآن دين الحق

(قال جرير في هجائه للأخطل وقبيلته تغلب)[1]:

ما كان يرضى رسول اللّه دينهم ... والطيبان أبو بكر ولا عمر
جاء الرسول بدين الحق فانتكثوا ... وهل يضر رسول اللّه إن كفروا

(وتغلب ـ كما هو معروف ـ قبيلة من قبائل العرب، وقد تنصر منهم طائفة، وأخذ منهم عمر بن الخطاب الجزية باسم الصدقة).

القرآن كتاب ونور

(ومن شواهد ذلك قول جرير بن عطية الشاعر المشهور)[2]:

إني إذا مُضَرٌ عَليّ تَحَدّبَتْ ... لاقَيْتَ مُطّلَعَ الجِبَالِ وَعُورَا
مَدّتْ بُحورُهُمُ فَلَستَ بقاطعٍ ... بحراً يمدُّ منَ البحورِ بحورا

---

(١) لسان العرب (١٥/ ٤٦٥).
(٢) خزانة الأدب (٤/ ٩٨).

الضّارِبُونَ على النّصَارَى جِزْيَة وَهُدىً لِمَنْ تَبعَ الكِتابَ وَنُورَا

القرآن نور

(قال سميرة بن الجعد، وكان من أصحاب قطريّ بن الفُجَاءَة)[١]:

عجبت لحالات الأنام وللدهر وللحين يأتي المرء من حيث لا يدري
وللناس يأتون الظلالة بعدما أتاهم من الرحمٰن نور مع البدري
وللّه لا يخفى عليه صنيعنا حفيظ علينا في المقام وفي السفر
على فوق عرشٍ فوق سبع ودونه سماء يرى الأرواح من دونها تجري

القرآن فرقان

(قال النابغة الجعدي، وعداده من الصحابة كما في الإصابة لابن حجر)[٢]:

في غرة الدهر إذ نعمان ذو تبع وإذ ترى الناس في الأهواء همالا
حتى أتى أحمد الفرقان يقرأه فينا وكنا بغيب الأمر جهالا
فالحمد للّه إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا
يا ابن الحيا إنني لولا الإلٰه وما قال الرسول لقد أنسيتك الخالا

القرآن آيات

(قال عبد الله بن حنظلة الأنصاري، وحنظلة هو غسيل الملائكة)[٣]:

بعداً لمن رام الفساد وطغى،

---

(١) شعر الخوارج (ص١٢٤).
(٢) الديوان جمع عبد العزيز رباح (ص١٠٠).
(٣) تاريخ الطبري (٥/ ٤٩٠).

وجانب الحق وآيات الهدى،
لا يبعد الرحمٰن إلا من عصى،

آثرت وحياً

(ومن الشواهد لأسماء القرآن، ما قاله أعشى همدان في أثناء قصيدة له)[١]:

وإني امرؤ أحببت آل محمد ... وآثرت وحياً ضمنته المصاحف
وتابعت عبد اللَّه لما تتابعت ... عليه قريش شمطها والغطارف

(ويعني بعبد الله: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه).

(ومن الشواهد أيضاً لأسماء القرآن الكريم، ما قاله الوليد بن يزيد بن عبد الملك في أثناء قصيدة له، رحمة الله تغشاه)[٢]:

أشهد أن الدين دين أحمد ... فليس من خالفه بمهتدي
وأنه رسول رب العرش ... القادر الفرد الشديد البطش
أرسله في خلقه نذيرا ... وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليظهر اللَّه بذاك الدنيا ... وقد جعلنا قبل مشركينا
من يطع اللَّه فقد أصابا ... أو يعصه أو الرسول خابا
ثم القران والهدى السبيل ... قد بقيا لما مضى الرسول
كأنه لما بقي لديكم ... حي صحيح لا يزال فيكم
إنكم من بعد إن تزلوا ... عن قصده أو نهجه تضلوا
لا تتركن نصحي فإني ناصح ... إن الطريق فاعلمن واضح

---

(١) تاريخ الطبري (٦/ ٨٤).
(٢) الأغاني (٧/ ٤٣).

التهجد بالقرآن

(قال أبو يحيى العالم العابد الزاهد، مالك بن دينار رحمة الله عليه، سهوتُ ذات ليلة عن وردي، فرأيتُ في المنام جارية كأحسن ما يكون، وفي يدها رقعة كتب عليها هذه الأبيات)[١]:

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها ... وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً ... من النوم التهجد بالقرآن

القرآن سور وتنزيل من حكيم حميد

(قال سابق البربري، مخاطباً عمر بن عبد العزيز)[٢]:

باسم الذي أنزلت من عنده السور ... والحمد للَّه أمَّا بَعْد يا عمر
إن كنت تعلم ما تأتي وما تذر ... فكن على حذر قد ينفع الحذر
واصبر على القدر المحتوم وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهي القدر
فما صفا لامرئ عيش يسر به ... إلا سيتبع يوماً صفوه كدر

(وعدد أبيات هذه القصيدة (٤٦) بيتاً، وفيها حكم ومواعظ بليغة).

(وقال عبد الصمد بن المعذل، في حثه على التسلي بموت النبي ﷺ):

كتاب الله

لو كان يبكي كتاب اللَّه من أحد ... لطول إلف بكتك الآي والسور

---

(١) تاريخ دمشق (٣٤/١٤٨).

(٢) سير السلف الصالحين، لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص٨٧٩).

أتل ما في سورة البقرة

(قال سليمان بن معبد، وهو مروزي، وفاته سنة ٢٥٧هـ)[١]:

يا آمراً الناس بالمعروف مجتهداً ... وإن رأى عاملاً بالمنكر انتهره
ابدأ بنفسك قبل الناس كلهم ... فأوصها واتل ما في سورة البقرة
من كان بالعرف أمَّارا وتاركه ... فذاك يسبق منه سيله مطره

القضاء في كتاب الله

(البحتري يجري مديحاً للمتوكل على الله فيقول في أثناء قصيدة له)[٢]:

فالبر أجمع في ابتهالك داعياً ... للمسلمين ونسكك المتقبل
عرفتنا سنن النبي وهديه ... وقضيت فينا بالكتاب المنزل
حقّاً ورثت عن النبي وإنما ... ورث الهدى مستخلف عن مرسل

كلام الله أنزله

(قال أبو الحجاج الأعرابي، في تأنيبه لأحمد بن أبي دؤاد القائل بخلق القرآن)[٣]:

نكست الدين يابن أبي دؤاد ... فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقاً ... أما لك عند ربك من معاد
كلام اللَّه أنزله بعلم ... وأنزله على خير العباد

(وابن الرومي له قصيدة يرثي بها أبا الحسن يحيى بن عمر بن

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٦٨).
(٢) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (٣/ ١٩).
(٣) تاريخ بغداد (٥/ ٢٢٣).

حسين بن زيد بن علي، قال في أثنائها)[١]:

أما فيهم راعٍ لحق نبيّهِ؟ ولا خائفٌ من ربه يتحرجُ
لقد عَمَهُوا ما أنزل اللّه فيكُم كأنَّ كتاب اللّه فيهم مُمجمج
ألا خاب من أنساه منكم نصيبَه متاعٌ من الدنيا قليلٌ وزبرج

التعويل على الوحي

(وقال ابن دريد في رثائه للإمام الشافعي، وعدد أبيات القصيدة ٢٧ بيتاً)[٢]:

توخى الهدى فاستنقذتهُ يدُ التقى مِنَ الزَّيْغِ إنَّ الزَيْغَ لِلْمَرْءِ صَارِعُ
وَلَاذَ بِآثَارِ الرَّسُولِ فَحُكْمُهُ لحكمِ رسولِ اللَّهِ في الناسِ تابعُ
وعولَ في أحكامِهِ وقضائهِ على ما قضى التنزيلُ والحقُّ ناصعُ

نطق النبي بالقرآن

(قال أبو زكريا يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ)[٣]:

الْمَالُ يَذْهَبُ حِلُّهُ وَحَرَامُهْ يَوْماً وَيَبْقَى فِي غَدٍ آثَامُهْ
لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لِإِلَهِهِ حَتَّى يَطِيبَ طَعَامُهْ وَشَرَابُهُ
وَيَطِيبُ مَا تَحْوِي وَتَكْسِبُ كَفُّهُ وَيَكُونُ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامُهْ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهْ

القرآن حوى كل علم

(ومن القصائد التي قيلت في مديح النبي ﷺ، قصيدة لأبي العباس

---

(١) مقاتل الطالبيين (ص٥١٢).
(٢) تاريخ بغداد (٢/ ٤٠٤).
(٣) تاريخ بغداد (١٦/ ٢٦٣).

عبد الله بن محمد الناشئ الأكبر، وفاته سنة ٢٩٣هـ، وعرج الشاعر على شيء من أوصاف القرآن وأسمائه، وعدد أبيات القصيدة ٧٨ بيتاً، قال في أثنائها)[١]:

ومن تلكم الآيات وحي أتى به ... قريب المآتي مستجم العجائب
تقاصرت الافكار عنه فلم يطع ... بليغا ولم يخطر على قلب خاطب
حوى كل علم واحتوى كل حكمة ... وفات مرام المستمر الموارب
أتانا به لا عن رؤية مرتئ ... ولا صحف مستمل ولا رصف كاتب
يواتيه طوراً في إجابة سائل ... وإفتاء مستفت ووعظ مخاطب
وإتيان برهان وفرض شرائع ... وقص أحاديث ونص مآرب
وتصريف أمثال وتثبيت حجة ... وتعريف ذي جحد وتوقيف كاذب
وفي مجمع النادي وفي حومة الوغى ... وعند حدوث المعضلات الغرائب
فيأتي على ما شئت من طرقاته ... قويم المعاني مستدر الضرائب
يصدق منه البعض بعضا كأنما ... يلاحظ معناه بعين المراقب
وعجز الورى عن أن يجيئوا بمثل ما ... وصفناه معلوم بطول التجارب

القرآن فرقان

(وقال أبو الأسود الدؤلي، يؤنب صديقاً له اسمه نصر بن مالك خرج مع الخوارج):

خرجت مع العوراء تلتمس الهدى ... وكان الهدى فيما تركت على عمد
وكان في الفرقان لو كنت باغياً ... نفسك منه ما يدل على الرشد

---

(١) شرف المصطفى (٤٠٧).

القرآن مثاني

(قال أبو الأسود الدؤلي يؤنب الذين قتلوا عليّاً رضي الله عنه)[١]:

قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ... ومن قراء المثاني والمئينا

عليّ أن أتلو القرآن

(والقرآن كما هو معروف، أجزاء وسور وآيات محكمات)، ومن الشواهد لأسماء القرآن وأوصافه، ما قاله محمود بن شاهك وهو فلسطيني، وأجله المحتوم سنة ٣٥٠هـ)[٢]:

مَنْ يَتُبْ خشيةَ العقابِ فإنِّي ... تبتُ أُنساً بهذهِ الأجزاءِ
بعثتني على القراءة والنسك ... وَمَا خِلْتُنِي مِنَ القُرَّاءِ
حينَ جاءَتْ تَرُوقُنِي باعتدالٍ ... مِنْ قُدودٍ وصبْغَةٍ واسْتِواءِ
سبعةٌ شَبهتْ بِهَا الأَنْجُمُ السـ ... ـبعة ذاتُ الأنوارِ والأضواءِ
كَسَبَتْ مِنْ أَدِيمَها الحالِكِ اللو ... ن غُنَاءَ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ غُثَاءِ
ضُمِّنْتْ مُحْكَمَ الكتابِ كتابِ اللَّه ... ذي المكرمات والآلاءِ
فحقيقٌ عليَّ أنْ أَتْلُو القُرْ ... آنَ فيهنَّ مَصْبحي ومَسَاءِ

دعوة الحق في كتابٍ كريم

(قال أبو أميمة إسماعيل صبري في أثناء قصيدته النونية)[٣]:

دعوة الحق في كتاب كريم ... أعجز الخلق ما حوى من بيان

---

(١) تاريخ الطبري (٥/ ١٥١).
(٢) ديوان كشاجم.
(٣) ديوان إسماعيل صبري.

سيرت آية الجبال وأحيت سمع من مات من بني الإنسان
لفظه محكم غني فصيح عربي المبنى جزيل المعان
فاض مجداً بلاغة وتسامى في جلال له انحنى الثقلان
إنه من لدن حكيم عليم معجز الرأي حجة في البيان
لم يبدل من آية أي حرف هكذا شاء فاطر الإنسان
راقبته عين العناية حفظاً وأنارت به فؤاد الزمان
هو باق كما تنزل حتى يبعث الخلق للمصير الثاني
لم يغادر من الشرائع شيئاً وهو سر الرقي والعمران
جاء نوراً للعالمين سلاماً منقذ من حماقة الطغيان
ناسخاً قبله لتوراة موسى ولسفر المسيح بعد زمان
معلناً للضياء دعوة صبح أشرقت شمسه على الأكوان
كان نبراسه على الأفق طه مرسلاً نور دعوة الإيمان
خير داع إلى الهدى أرسلته رحمة الواحد العظيم الحنان

(ثم الشاعر لما قطع مرحلة بعيدة المدى قال):

أيها الناس إن هذا بيان فصلته شرائع الإيمان
أرسلته للعالمين سلاماً رحمة الواحد العظيم الحنان
في كتاب آياته محكمات من كلام المهيمن الرحمٰن
جاء هدياً مبشراً ونذيراً صادق الوعد واضح التبيان
يجعل العرف للعباد شعاراً ويوصي بالعدل والإحسان
وعن البغي والفواحش ينهى كي تقوى دعائم العمران
وبنار الجحيم جاء نذيراً وبشيراً بخالدات الجنان

إنه الحق من عليم حكيم ... قد أعز الإسلام بالقرآن
كنز علم آياته بينات ... فاض نوراً بساميات البيان
زاخر بالهدى كتاب منير ... عربي المبنى جزيل المعاني
أنزلته السماء للناس بشرى ... حين شاءت إرادة الرحمٰن
يبيد الدين الحنيف ضلالاً ... ولدته عبادة الأوثان
لقن الوحي آية لنبي ... عز قدراً عن سائر الإنسان
خير روح حلت بأشرف جسم ... عبقري النهى عظيم الجنان
هلل الكون إذ تلألأ فيه ... نور طه وكبر المشرقان
خاتم المرسلين خير حنيف ... رفع الدين فوق هام الزمان
أحمد المصطفى عليه يصلي ... كل حي في عالم الأكوان
جاءه الوحي بالرسالة لما ... حرف المفسدون في الأديان
وعلى الناس نعمة اللّه تمت ... حين وافى الأمين بالفرقان
إن دين الإسلام خير صراط ... يرشد النفس للمصير الثاني
أيها الناس خالفوا غي نفس ... شاغلتها وساوس الشيطان
طهروها من الرذيلة حتى ... تنقذوها من ثورة العصيان

(ثم لما سار الشاعر العنق، وقطع شوطاً قال مترنماً بعدما شرح بنات فكره):

واجعل اللّه وحده لك مولى ... وتزود من حكمة القرآن
أيها الناس قد أتاكم كتاب ... ناطق بالهدى فصيح البيان
بين الرشد والضلال بشيراً ... ونذيراً يدعو إلى الإيمان
يبعث النور في القلوب فيهدي ... من يشاء المحيط بالأكوان

والذي صم قلبه ظل أعمى ... لا يرى النور وهو ملء المكان
بينات قد فصلت كل شيء ... أمرتكم بالعدل والإحسان
ونهتكم عن الخبائث والمنكـ ... ـرات تلكم دسائس الشيطان
أي فوز لمن أطاع ولبى ... دعوة الحق ثابت الأركان
طهر النفس من جميع المعاصي ... مؤمن القلب صادق الإيمان
يسمع الذكر وهو يتلى فيجثو ... ساجداً باكياً من القرآن
بين وعد مبشر بنعيم ... في فراديس خالدات الجنان
ووعيد مصور لعذاب ... يفقد الرشد في لظى النيران

(وهذه القصيدة النونية طوّل الشاعر النفس فيها، فعدد أبياتها على سبيل التقريب تسعمائة بيت ٩٠٠ وهي مذكورة في أول ديوان الشاعر: إسماعيل صبري، وهو مصري الجنسية، ووفاة الشاعر في حدود سنة ١٣٧٥هـ).

جاءكم بالهدى كتاب كريم

(ثم قال إسماعيل صبري في أثناء قصيدة أخرى)[1]:

أيها الناس إن هذا بيان ... أنزلته الشريعة السمحاء
جاء بالحق للقلوب ضياء ... فتلاشت من نوره الظلماء
لم يغادر من الشرائع شيئاً ... حار في فهم كنهها البلغاء
جاءكم بالهدى كتاب كريم ... عربي البيان فيه الدواء
إنه من لدن حكيم عليم ... محكمات آياته عصماء

(١) ديوان إسماعيل صبري.

عاطر الذكر للقلوب شفاء أعجز الخلق لفظه الوضاء
إن هذا القرآن يكفيه فخراً أنه رحمة قضتها السماء
فاض نوراً بالوحي صدر نبي من قريش عزت به الأنبياء
ورسول للرسل جاء ختاماً وبشير دانت له العلياء
جاء برد للعالمين سلاماً كنز علم عليه طاب الثناء
كافح الكفر والضلالة حتى شاد حصن الهدى وتم البناء
وأقام الدين الحنيف وباتت خافقات أعلامه الخضراء
آية الحق قد تجلت عليكم وبنور الإسلام تم الهناء

القرآن بلاغ

أيها الناس إن هذا بلاغ فصلت فيه رحمة أو بلاء
إن دنا الخبر فالمساء صباح أو دنا الشر فالصباح المساء
إن هذا الحديث أحسن ذكرى كل نفس يحلو لها ما تشاء

قد جاء بالدين قرآن

(وقال عبد المنعم محمد حلمي الهاشمي):

الحمد لله ربِّ العالمين منز ل الكتاب الذي قد أزهق الظلما
الحمد للَّه أسدى للورى النعما والدين أفضل ما أسداه إذ رحما
وصلى رب على خير الأنام محمـ ـد وسلم فقد أدى فما كتما
يقول بالحق ما تروى القلوب به إلا قلوباً عليها اللَّه قد ختما
قد جاء بالدين قرآناً وسُنَّة إذ سواهما بدع من يأتها ظلماً
إن الأوائل بالإسلام قد رشدوا بعد الضلالة ثم استنقذوا الأمما

فذلك الدين دين الحق فاتبعو ... ه تهتدوا وتنالوا البر والنعما
يهدي به اللَّه من يرض به حكماً ... سبل السلام ومن يكفر به اضطرما

واتل بفهم كتاب الله

(ولقد أحسن وأجاد وأفاد من قال)[١]:

إن العلوم وإن جلت محاسنها ... فتاجها ما به الإيمان قد وجبا
هو الكتاب العزيز اللَّه يحفظه ... وبعد ذلك علم فرج الكربا
فذاك فاعلم حديث المصطفى فبه ... نور النبوة سن الشرع والأدبا
وبعد هذا علوم لا انتهاء لها ... فاختر لنفسك يامن آثر الطلبا
والعلم كنز تجده في معادنه ... يأيها الطالب ابحث وانظر الكتبا
واتل بفهم كتاب اللَّه فيه أتت ... كل العلوم تدبره تر العجبا
واقرأ هديت حديث المصطفى وسلن ... مولاك ما تشتهى يقضى لك الأربا
من ذاق طعما لعلم الدين سُرّ به ... إذا تزيد منه قال واطربا

حلفت بالسبع اللواتي

(هناك شاعر فاضل جادت قريحته، فقال)[٢]:

حَلَفْتُ بِالسَّبْعِ اللَّوَاتِي طُوِّلَتْ ... وَبِمِئِينَ بَعْدَهَا قَدْ أُمْئِيَتْ
وَبِمَثَانٍ ثُنِّيَتْ فَكُرِّرَتْ ... وَبِالطَّوَاسِينِ الَّتِي قَدْ ثُلِّثَتْ
وبِالْحَوَامِيمِ اللَّوَاتِي سُبِّعَتْ ... وَبِالمُفَصَّلِ اللَّوَاتِي فُصِّلَتْ

(قلت: لا إشكال، فالحلف بالقرآن، أو بسورة أو آية منه جائز؛

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٤١).
(٢) تفسير الطبري (١/ ١٠١).

لأن القرآن من كلام الله وكلام الله من صفاته، والحلف بشيء من صفات الله جائز).

(ومن الشواهد لأسماء القرآن وأوصافه، قول أبي النجم العجلي)[١]:

الحمد للَّه الذي عافاني وكل خير بعده أعطاني
من القرآن ومن المثاني

القرآن فرقان

(وقال شاعر آخر)[٢]:

نشدتكم بمنزل الفرقان أم الكتاب السبع من المثاني
ثنّين من آي من القرآن والسبع سبع الطول الدّواني

قسماً بآيات الكتاب

(قال الإمام محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني):

قسماً بآيات الكتاب وبربنا منشئ السحاب
إن العزيز هو أنه وعذابه في الاغتراب

(وقال غيره)[٣]:

فيا لها من آيات حق لو اهتدى بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب أكنة فليست وإن أصغت تجيب المناديا

---

(١) تفسير الطبري (١/١٠٨).
(٢) تفسير الطبري (١/١٠٨).
(٣) التبيان في أيمان القرآن (١/٤٥٦).

القرآن والسيف

(ومن شعراء نجد المشهورين، العالم الأديب محمد بن عبد الله بن عثيمين رحمه الله تعالى، وشعر هذا الشاعر قوي ورصين، وفيه فصاحة وبلاغة، ويا حبذا ويا ليت حسان وقته، نسج لنا يراعه قصائد أو على الأقل قصيدة من قريحته الوقادة، يكون فيها حث على التمسك والعمل بكتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ، والشاعر له ديوان مطبوع وتوفي سنة ١٣٦٣هـ، فمن قصائده قصيدة عدد أبياتها (٥٢) بيتاً، مدح فيها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن آل فيصل).

(قال في مطلعها)[١]:

عج بي على الربع حيث الرند والبان ... وإن نأى عنه أحباب وجيران

(والشاهد لنا من القصيدة قوله)[٢]:

فجئت بالسيف والقرآن معتزماً ... تمضي بسيفك ما أمضاه قرآن

حتى انجلى الظلم والإظلام وارتفعت ... للدين في الأرض أعلام وأركان

دين ودنيا وبأس في الوغى وندى ... تفيض من كفه بالجود خلجان

هذي المكارم لا ما روى عن هرم ... ولا الذي قيل عمن ضم غمدان

(وقال في قصيدة أخرى يمدح الملك عبد العزيز، ويؤنب الذين تركوا أحكام القرآن والسُّنَّة، ومطلع القصيدة)[٣]:

تلألأت بك للإسلام أنوار ... كما جرت بك للإسعاد أقدار

(إلى أن قال):

---

(١) الديوان (ص٣٩).
(٢) المصدر السابق.
(٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين (١٠٧).

رأيتم طاعة الأتراك واجبة ... لأنهم عندكم للبيت عمار
كأنكم لم تروا ما براءة أم ... زاغت بصائركم عنها وأبصار
كذلك الشرك والكفر العظيم لهم ... فيه وفي الشر إقبال وإدبار
وعندهم أن أحكام الكتاب بها ... على الخليقة إجحاف وأضرار
فخالفوها بأوضاع ملفقة ... وهم بأوضاعهم لا شك كفار
فليت شعري إذا جهل بحالهم ... أم اتباع الهوى والفى خمار

تمسكوا بكتاب الله

(وقال محمد بن عثيمين في قصيدة أخرى عدد أبياتها ٤٨ بيتاً)[١]:

يا شيعة الدين والإيمان إن لكم ... علي حقّاً أرى نصحي لكم يجب
تمسكوا بكتاب اللّه واتبعوا ... هدى الرسول ولا تأخذكم الشغب
واخلصوا نصح والي الأمر فهو له ... شرط عليكم بآي الذكر مكتتب

دعوت إلى الوحي المقدس

(وشاعرنا أيضاً مدح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمٰن في قصيدة، قال في آخرها)[٢]:

وَلكِنَّهُ مَن يَتَّقِ اللَّهَ وَحدَهُ ... يَجِد فَرَجاً عِندَ اِزدِحامِ الكَرائِبِ
ضَمَمتَ إِلى عَدنانَ قَحطانَ وَالتَقَت ... عَلَيكَ قُلوبُ الناسِ مِن كُلِّ جانِبِ
فَما مُسلِمٌ إِلّا يَراكَ إِمامَهُ ... سِوى مارِقٍ عَن مَنهَجِ الرُشدِ ناكِبِ

---

(١) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين (١٢٥).
(٢) بلوغ الأماني في شفار القواضب، لمحمد بن عثيمين.

دَعَوتَ إلى الوَحيِ المُقَدَّسِ حاكِماً ... بِما فيهِ مِن حَقٍ مُبينٍ وَواجِبِ
وَشَرَّدتَ قَوماً خالَفوهُ فَحُكمُهُم ... بِأَوضاعِ كُفرٍ جُزِّئَت في العَواقِبِ
يَقولونَ ما شِئتُم مِنَ الفِسقِ فَافعَلوا ... أَوِ الشِركِ بِاللّاطينَ تَحتَ النَصائِبِ
فَإِنَّكُم حُرِّيَةٌ في فِعالِكُم ... وَأَقوالِكُم لا تَحذَروا مِن مُعاتِبِ
إِذا ما تَراضى الفاسِقانِ عَلى الخَنا ... فَلَن يَخشَيا ما لَم يَكُن بِتَغاصُبِ
فَيا عَجَباً مِن عالِمٍ يَدَّعي الهُدى ... يُواليهِمُ مَع فِعلٍ تِلكَ المَثالِبِ
وَهَل أُنزِلَت كُتبٌ وَأُرسِلَ مُرسَلٌ ... بِغَيرِ اِفعَلوا أَو فَاترُكوا بِالتَراتُبِ
فَيا مَن عَلا فَوقَ السَماءِ بِذاتِهِ ... وَيَعلَمُ ما تَحتَ الطِباقِ الرَواسِبِ
أَدِم عِزَّ مَن لِلدّينِ كَهفٌ وَلِلدُّنا ... وَأَيَّدهُ بِالإِسعادِ يا خَيرَ واهِبِ
وَصَلِّ إِلهي كُلَّما حَنَّ راعِدٌ ... وَما ناضَ بَرقٌ في خِلالِ السَحائِبِ
عَلى خَيرِ مَبعوثٍ إِلى خَيرِ أُمَّةٍ ... كَذا آلِهِ الأَطهارِ مَع كُلِّ صاحِبِ

(وقال أيضاً في أثناء مديحه للملك عبد العزيز):

ومن يك دين اللَّه سائس أمره ... ويتبع قال اللَّه قال رسول
فأحربه أن يبلغ السؤال والمنى ... ويحظى بدار الخلط حين يؤول
لك اللَّه يا عبد العزيز بن فيصل ... معين على نصر الهدى ووكيل
فأنت الذي أيدت سُنَّة أحمد ... وأحكمت حبل الدين وهو سحيل

(وقال أيضاً في أثناء مدحه لعبد العزيز وآل سعود):

له سلف يعلو المنابر ذكرهم ... وينحط عنه قدر كل معظم
هم أوضحوا للناس نهج نبيهم ... بمحكم آيات وشفرة مخذم
ليوث إذا لاقوا بدور إذا انتدوا ... غيوث إذ أعطوا جبال لمحتمي

الوحي والسيف

(وقال أيضاً في أثناء قصيدة أشاد بمدح الملك عبد العزيز فيها):

والعلم إن لم يكن عقل يوازره ... فإن صاحبه منه على خطر
كذلك للملك أوتاد وأعمدة ... هن القوام له من سالف العمر
الوحي والسيف والحزم الحصيف كذا ... رأى المحنك بالتجريب ذي البصر
وقس على ما مضى باقي الزمان فكم ... نور تفتق عن مرمن الثمر

تمسك بما في محكم النص

(ثم قال في أثناء قصيدة أخرى)[١]:

ودونك مني إن قبلت نصيحة ... وما كل منصوح يوفق للرشد
تمسك بما في محكم النص ظاهراً ... وبالسُّنَّة الغرا عن الصادق المهدي

هذي المكارم

(وقال الشيخ الأديب محمد بن عثيمين في أثناء قصيدة يرثي فيها سعد بن عتيق، والشيخ سعد هو من أكابر علماء الدعوة الإسلامية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله على الجميع، وجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وفاة الشيخ سعد سنة ١٣٤٩هـ، وعدد أبيات القصيدة ٤٣ بيتاً)[٢]:

وَنُح على العِلمِ نوحَ الثاكلاتِ وَقُل ... وَالهفَ نفسي على أَهلٍ لهُ قُبِروا
الثابتينَ على الإيمانِ جُهدَهُمُ ... وَالصادِقينَ فما مانوا وَلا خَتَروا
الصادِعينَ بِأَمرِ اللَّهِ لَو سَخطوا ... أَهلُ البَسيطَةِ ما بالوا وَلو كثُروا

---

(١) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (٢/ ٩٧١).
(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (٢/ ٩٨٣).

وَالسالِكينَ على نَهجِ الرَسولِ على ... ما قَرَّرَت مُحكَمُ الآياتِ وَالسوَرُ
وَالعادِلينَ عن الدُنيا وَزَهرَتِها ... وَالآمرينَ بخيرٍ بعدَ ما اِئتُمِروا
لَم يَجعَلوا سُلَّما لِلمالِ عِلمَهُم ... بَل نَزَّهوهُ فَلَم يَعلُق بِهِ وَضَرُ
فَحيَّ أَهلاً بِهِم أَهلاً بِذِكرِهِمُ ... الطَيِّبينَ ثَناءً أَينَما ذُكِروا
أَشخاصهُم تَحتَ أَطباقِ الثَرى وَهُمُ ... كَأَنَّهُم بَينَ أَهلِ العِلمِ قَد نُشِروا
هذي المَكارِمُ لا تَزويقُ أَبنِيَةٍ ... وَلا الشُّفوفُ التي تُكسى بها الجدُرُ

(إلى أن قال):

وَالعِلمُ إن كان أَقوالاً بلا عملٍ ... فَلَيتَ صاحبهُ بِالجَهل مُنغَمِرُ
يا حامِلَ العِلمِ وَالقُرآنِ إِنَّ لَنا ... يَوماً تُضَمُّ بِهِ الماضونُ وَالأُخرُ
فَيَسأَلُ اللَّهُ كلّاً عَن وَظيفَتِهِ ... فَلَيتَ شِعري بماذا منهُ تَعتَذِرُ

(ثم ختم القصيدة أثابه الله وغفر لنا وله بقوله):

وَصَلِّ رَبِّ على المُختارِ سَيِّدِنا ... شَفيعِنا يَومَ نارُ الكَربِ تَستَعِرُ
محمدٍ خيرِ مَبعوثٍ وَشيعَتِهِ ... وَصَحبِهِ ما بَدا من أُفقِهِ قَمَرُ

نبذتم كتاب الله

(قال حسين أحمد الطالب بالجامعة الإسلامية بالمدينة)[1]:

لقد مشيتم على مناهج ماوٍ ... واتبعتم سبيله في الفعال
أمن العقل أن نحكم فينا ... طغمة لا تريد غير انحلال
ونبذتم كتاب ربي جهارا ... وسلكتم طرائق الأنذال

(١) مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد (٣١)، صرخة الحق: قصيدة للطالب حسين أحمد.

كبروا إخوتي وهبوا وصولوا وانصروا الدين تسعدوا في المآل

أتى بالهدى نوراً

(قال الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ، في أول قصيدة مدح فيها الرسول ﷺ، وفيها شواهد لأسماء القرآن)[1]:

تَبَيَّنَ ثَغْرُ الفَجْرِ لمَا تَبَسَّمَا فَسُبْحانَ مَن في الذِكْرِ بالفَجْرِ أَقْسَمَا
وأطلعه في الشرق كالسيف مصلتا به انهزم الليل الذي كان مظلما
وهب على الروض النسيم فأيقظ الـ ـغصون وكانت أعين الزهر نوماً
وقام خطيب الورق في الروض خاطباً بذلك أدى الشكر لما ترنما
ووافى إليه الطل في الليل زائراً فقبل أقدام الغصون وسلما
فَصَلِّ عَلَى المَبْعُوْثِ لِلْخلْقِ رَحْمَةً عَسَى شَمَلتنا أَوْ لَعَلَّ وَرُبَّمَا
كما شَمَلَتْ آلَ الرسُولِ وَصَحْبَه فأكرم بهِمْ آلا وَصَحْباً وأَعظِمَا
أَتى بالهُدَى نوراً إلينَا وَنِعْمَةً وقَدْ كَانَ وَجهُ الكَوْنِ بالشِّرْكِ مُظْلِمَا
فَجَلَّى بأنْوارِ الهُدَى كُلَّ ظُلْمَةٍ وأَطْلَعَ في الآفاقِ للدِيْنِ أَنْجُمَا
أَتَى بِكِتَابٍ أَعْجَزَ الخلقَ لَفْظُهُ فكلُ بَلِيْغ عُذْرُهُ صَارَ أَبْكَمَا
تَحَدَّى به أَهَلَ البلاغَة كلَّهم فلمْ يَفْتَحوا فيمَا يُعَارِضُهُ فَمَا
حَوَى كلَّ بُرهَانٍ على كُل مَطْلَب وَيَعْرِفُ هَذا كُلُّ مَنْ كَان أَفْهَمَا
وأَخْبَرَ فِيهِ عَن عَواقِبَ مَن عَصَى بأنَّ له بَعْدَ المَمَاتِ جَهَنَّمَا
وَعَمَّنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَنَّ لهُ غَداً نَعِيْماً بهِ مَا تَشْتَهي النَّفْسُ كُلَّمَا
مُحَمَّدٌ المَبْعُوْثُ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً فَصَلِّ عليهِ مَا حَيِيْتَ مُسَلِّمَا

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات (١/ ١٩).

قف بالمثاني

(ومن أشعار الإمام الصنعاني قصيدة حث فيها على تدبر القرآن، قال في أثنائها)[١]:

إِنَّ التَّفَكُّرَ فِي آيَاتِ خَالِقِنَا ... عِبَادَةُ الْفِكْرِ فِيْهَا الْخَلْقُ قَدْ غُبِنُوا
تَزْدَادُ بِالْفِكْرِ إِيْمَاناً وَمَعْرِفَةً ... فَلا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مَا لَهُ ثَمَنُ
ترى تفكرنا في غير منفعة ... إلا لتحصيل ما تحصيله فتن
فَالتصَرُّفِ الْفِكْرَ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ تَجِدْ ... فِيْهِ الْعُلُومَ الَّتِي لَمْ يَحْوِهَا الْفَطِنُ
آيَاتُهُ أَعْجَزَتْ كُلاًّ بَلاغَتُهَا ... وَأَبْلَغُ الْخَلْقِ قَدْ أَوْدَى بِهِ اللَّكَنُ
مَنَّ الإِلَهُ عَلَيْنَا بِالْكِتَابِ فَقُلْ ... يَا مِنَّةً قَصُرَتْ مِنْ دُونِهَا الْمِنَنُ
أَدِلَّةٌ وَأَقَاصِيصٌ وَأَمْثِلَةٌ ... لَفْظٌ بَلِيغٌ وَمَعْنَى فَائِقٌ حَسَنُ
غُصْ بَحْرَهُ تَلْقَ فِيْهِ الدُّرَّ مُبْتَذَلاً ... وَفُلْكُ فِكْرِكَ فِي أَمْوَاجِهِ السُّفُنُ
كم حجة قطعت أثمارها فزكت ... وماذوى من رباها الغصن والفنن
من قِصَّةٍ وَصَفَتْ أَخْبَارَ مَنْ دَرَجُوا ... مِنْ صَالِحٍ وَشَقِيٍّ رَبُّهُ الْوَثَنُ
قِفْ بِالْمَثَانِي تَرَى آيَاتِهَا عَجَباً ... أَوْ بِالْمَئِينِ فَفِيهَا كُلِّهَا الْمِنَنُ
أَوْ بالطَّوَالِ فَفِيْهَا الْعِلْمُ أَجْمَعُهُ ... خَزَائِنٌ هِيَ لِلأَحْكَامِ تَخْتَزِنُ
وَفِي الْمُفَصَّلِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ ... قَوَارِعٌ لِقُلُوبٍ مَا بِهَا دَرَنُ
إِنَّ الذُّنُوبَ لأَوْسَاخُ الْقُلُوبِ فَلَا ... يَكُنْ فُؤَادُكَ بَيْتاً حَشْوُهُ الدِّمَنُ
فدَاوِ قَلْبَكَ مِنْ قَبْلِ الْمَمَاتِ فَمَا ... يُجْدِي الدَّوَاءُ بِمَيْتٍ بَعْدَ مَا دَفَنُوا
بِمَرْهَمِ التَّوْبَةِ الصِّدْقِ النَّصُوْحِ فَذَا ... هُوَ الدَّوَاءُ لِذَاكَ الدَّاءِ لَوْ فَطِنُوا

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (٣/ ٩٧).

(ومن قصائد الأمير الصنعاني قصيدة في ذم التقليد وعيب المقلدين، قال رَحِمَهُ اللَّهُ في أثنائها):

من قال إني تابع لمحمدٍ ... ومتابع الآثار والقرآن
قالوا: أتيت عظيمة في ديننا ... وركبت متن الجهل والخذلان
قلد فلاناً في الديانة واتبع ... فيما تدين مقالة لفلان
قلنا لهم لسنا نعيب على الذي ... قد قلد الأموات في الأديان
لكن من عرف الأصول وحقق ... الآثار والتفسير للقرآن
وله نقادة عارف متصرف ... في النحو والتصريف الميزان
وإحاطة بدقائق ولطائف ... قد ضمنت وأتا بها العلمان
علم الكتاب وسُنَّة للمصطفى ... هو أول وهي المحل الثاني
أيجوز أن يغدو أسيراً بعدها ... ويقاد بالتقليد كالعميان

آي الكتاب كفت دلالتها

(وأيضاً قال الإمام الصنعاني في أول قصيدة):

قد جاءنا برد اليقين من الـ ... ـمختار في القرآن والسنن
فاقنع به ودع الوقوف على ... أطلال أهل الشرك والدمن
آي الكتاب كفت دلالتها ... صحب الرسول وعابد الوثن
وانقاد كل بالزمام لها ... أهل الذكا والفهم والفطن

(ثم قال في قصيدة أخرى):

خدمت كتاب اللَّه والسُّنَّة التي ... أتتنا عن المختار من صحبه الغر
نشرت لواها في دياري ولم يكن ... لواها بمنشور وسائل من يدري

فيا حبذا القرآن

(ثم في قصيدة أخرى، قال في أثنائها الإمام الصنعاني رحمة الله تغشاه)[١]:

فيا حبذا القرآن كم من أدلة ... حواها لتوحيد وعدل وتنزيه
فما كان في عهد الرسول وصحبه ... سواه دليلاً قاهراً لأعاديه
فلا تأخذ إلا مقالته التي ... تنادي إلى دار النعيم دواعيه
عسانا نلبي من دعانا إلى الهدى ... ننال غدا من ربنا ما نرجيه
وما خلتماه مشكلاً متشابهاً ... فقولا وكلناه إلى علم باريه
وقف عند لفظ اللَّه والراسخون قل ... هو المبتدا ما بعده خبر فيه
وعند في ذا فوق عشرين حجة ... ولا يستطيع النظم حصر معانيه
فقد ضل بالتأويل قوم جهالة ... ويعرف ذا النقاد من غير تنبيه
فعطل أقوام وجسم فرقة ... وفاز امرؤ ما حام حول مبانيه

كل خير في كتاب ربي

(وحينما طلب أحد تلاميذ الصنعاني إجازة بمروياته قال):

الحمد للَّه عظيم الشأن ... من أرسل المختار من عدنان
يدعو الورى إلى الجنان ... بالسُّنَّة الغراء والقرآن
صلى عليه اللَّه ما هب الصبا ... وآله وصحبه ذوي التقى

(إلى أن قال):

من جاء بالسُّنَّة والقرآن ... يهدي الورى طراً إلى الرحمٰن

---

(١) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار (٢/ ٢٠١).

وكـل مـن تـابـعـه سـعـيـد ومـن هـدى بـهـديـه رشـيـد
وكـل مـن خـالـفـه فـهـو الـشـقـي وفـي غـد نـار الـجـحـيـم يـصـطـلـي
فـأولاً أوصـيـك بـالـتـقـى والـذكـر فـي الـصـبـاح والـمـسـا
بـمـا أتـى عـن الـرسـول لا سـوى فـكـل مـن خـالـفـه فـقـد غـوى
وذلك الـحـصـن الـحـصـيـن قـد أتـى يـا حـبـذاه مـا روى ومـا حـوى
واحـرص هـديـت لـلـرشـاد يـا عـلـي عـلـى كـتـاب الـلَّـه ربـك الـعـلـي
فـكـن عـلـى الـدرس لـه مـحـافـظـاً وكـن لـه غـيـبـاً هـديـت حـافـظـا
فـكـل خـيـر فـي كـتـاب ربـي حـسـبـي بـه فـي كـل أمـر حـسـبـي

علوم كتاب الله

(ثم قال الإمام الصنعاني في قصيدة أخرى):

لك الحمد للعلم الشريف هديتني ودليتني من على المقصد الأسنى
هديت إلى بحر من العلم زاخر ينابيعه من قاب قوسين أو أدنى
علوم كتاب اللَّه والسُّنَّة التي حوى كل لفظ منها روضة عنا
وتالي كتاب اللَّه صار مقدماً وما عرفت تلك العلوم له ذهناً
يقال له اقرأ وارق ما كنت تالياً فقد فزت في العقبى من الأجر بالأسنا

(إلى آخر القصيدة).

فاتل كتاب الله

(وقال محمد بن إسماعيل الصنعاني، رحمة الله تغشاه في أثناء قصيدة له):

كـفـى كـفـى الـقـرآن لـي واعـظـاً قـصـار آيـات ربـي والـطـوال

فكل قسيس ترى دمعه ... يفيض إذ يسمع صوتاً لتال
فاتل كتاب اللَّه مستيقظاً ... فوعظه يهدم شم الجبال
زهد في الدنيا وآفاتها ... من كل جاه قد حوته ومال
ما هي إلا لعب كلها ... وكلها لهو لأهل الضلال
غايتها الموت وكل الذي ... تراه فيها مثل فيء الزوال

يدل على هذا الكتاب

(وهنا رجل عبقري أديب ألمعي أحوذي، شاعر مهذب، مجاهد في سبيل الله تعالى، هو الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ، هو حسان وقته، وفاته سنة ١٣٤٩هـ، قال في أثناء قصيدة له تزيد على أكثر من أربعمائة بيت)[١]:

فمن قال إن اللَّه في جهة العلى ... على العرش لم يشرك ولا قوله هجرا
فما جهة موجودة فوق عرشه ... وما ثم إلا اللَّه من ملك الأمرا
يدل على هذا الكتاب وسُنَّة ... لخير الورى حقّاً وأعظمهم قدرا
ومن قال قول الجهم من كان كافراً ... فما جهة باللَّه من جهة أحرا
فذاك جهمي كفور مكذب ... بما في كتاب اللَّه والسُّنَّة الغرا

القرآن ذِكر

(ثم قال فتى سحمان، في أثناء قصيدة أخرى)[٢]:

فنشهد أن اللَّه جَلَّ بذاته ... على عرشه من فوق سبع قد استقر

---

(١) مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص٣٠٣).
(٢) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٥٢٤).

عليه علا سبحانه وبحمده ... ومرتفعاً من فوقه عز من قهر
علوّاً وقهراً واقتداراً بذاته ... كما هو مذكور عن السادة الغرر
ففي سبع آيات من الذكر قد أتى ... وبالنقل عن خير البرية قد صدر

(ثم قال في أثناء قصيدة، ردّ فيها على مَن قال بقول الجهمية)[١]:

وأنكر رؤيا المؤمنين لربهم ... فتبّاً له تبّاً وسحقاً لمارق
وسمى كتاب اللَّه والسنن التي ... أتت عن رسول اللَّه أزكى الخلائق
ظواهر لا تبدي يقيناً لأنها ... على زعمه ظنية في الحقائق
فلا يستفيد المؤمن بها الهدى ... ولكن بمعقولات أهل الشقاشق

(إلى أن قال):

فقد نبذوا الوحيين خلف ظهورهم ... وقد حكموا الدستور بين الخلائق
وقد أحكموا عقد الأخوة بينهم ... وبين النصارى واليهود الموارق

تكفي سورة الإخلاص

(وفتى الإسلام سليمان بن سحمان له قصيدة عدد أبياتها ثلاثمائة وسبع وتسعون بيتاً (٣٩٧)، أوضح فيها المعتقد السليم معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، ورد على أهل البدع والضلال قال في أثنائها)[٢]:

وتكفي سورة الإخلاص وصفاً ... لربي ذي المعارج والجلال
وما قد جاء في الآيات يوماً ... عن المعصوم صحَّ بلا اختلال
أفي القرآن هذا أم أتانا ... عن المعصوم أم ذا ذوا محال
أمثل الخرط هذا في اعتقاد ... يسطر أو يقال بكل حال

---

(١) الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص٦٨٤).
(٢) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ١٦٣).

فـهـذا كـلـه لا نـرتـضـيـه إذا لـم يـأت عـن صـحـب وآل
وفـيـمـا قـالـه الـرحـمٰـن ربـي وأبـدى الـرسـول مـن الـمـقـال
شـفـاء لـلـسـقـام وفـيـه بـرء . . ومـقـنـع كـل أربـاب الـكـمـال
ولا والـلَّـه عـن صـحـب وآل يـجـيء الـمـجـرمـون ذوو الـضـلال
بـحـرف واحـد مـن كـل هـذا فسبحان الـمـهـيـمـن ذي الـجـلال
ومـا الـقـرآن مـخـلـوق ولـكـن كـلام الـلَّـه فـاحـفـظ لـي مـقـال
وذر مـا قـالـه جـهـم ودعـه وقـال الأشـعـري مـن الـمـحـال
ومـا قـال ابـن كـلاب ولـكـن كـمـا قـال الأئـمـة ذو الـكـمـال
فـأثـبـت كـلـمـا قـد أثـبـتـوه مـن الأوصـاف أئـمـة لا تـبـال
كـأحـمـد وابـن إدريـس وهـذا كـمـا قـد قـال مـالـك ذو الـمـعـال
ونـعـمـان الإمـام بـه وخـلـق هـمـوا كـالـراسـيـات مـن الـجـبـال

(وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في أثناء قصيدة أخرى):

لأن كـتـاب الـلَّـه جَـلَّ ثـنـاؤه وسُنَّة خير الناس أفضل منتحل
يصدق بعضها بعضاً ليس بعضها يناقض بعضاً مثل أقوال من جهل

القرآن كلام الله

(وقال لله دره في أثناء قصيدة)[1]:

فَفِي سُنَّةِ الـمَعْصُومِ خِيرَةِ خَلْقِه وأَصْحَابِه والتَّابعينَ مِنَ الأُوَلْ
نَجَاةٌ عن الإفراطِ في الدِّينِ عِنْدَمَا يَقُولُ الفَتَى في الدين قولاً ويَنْتَحلْ
وفيها عنِ التَّفريطِ مَا يَزَعُ الفَتَى ويَزْجُرُه مِنْ جَهْلِهِ وعَنِ الجَدَلْ

(١) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ١٥٦).

فـهـذا كـلامُ الـلَّـه جَـلَّ جَـلالُـه وذِي سُنَّةُ المَعْصُومِ تُتْلى لِمَنْ سَأَلْ
مُـدَوَّنـةٌ مَـعْـلُـومَـةٌ يَـقـتَـدِي بِـهَـا أُولُو العلمِ والتَّقوى إلى خَيرِ مُنْتَحَلْ
وقَدْ أَوضحُ الأَعْلَامُ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ مَعَالِمهَا لِلْسَالِكينَ بلَا خَلَلْ

(وقال غفر الله له، في أثناء قصيدة أخرى):

وأن كـلام الـلَّـه لـيـس حـكـايـة بـل الـلَّـه مـولانـا بـه قـد تـكـلـمـا
يـقـول وقـال الـلَّـه جَـلَّ وقـائـل إذا شاء هذا قول من كان مسلما
ولا هو معناً قام بالنفس مثلما يقول بهذا القول من كان أظلما

كتاب الله شفاء

(ثم قال فتى الفتيان سليمان بن سحمان في أثناء قصيدة)[1]:

أما في كتاب اللَّه ما كان شافياً وفي سُنَّة المختار صفوة آدم
ففي سورة الشورى بيان لمبتغ طريق الهدى فاسأل بها كل عالم
وفي سورة الأنعام أوضح حجة وأقطعها حقّاً لكل مخاصم
وفي آل عمران البيان وإنه لأوضح تبيان على أنف راغم
وأما الأحاديث الصحاح فإنها لأكثر من أحصيها في المناظم

القرآن موعظة

(ثم قال في رده على بعض أهل البدع، والقصيدة طويلة):

لا والذي أنزل القرآن موعظة أمراً ونهياً وتوضيحاً وتبياناً
ما أنت بالحكم الترضى حكومته ولا الأصيل ولا من حاز عرفانا

(١) مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ١٧٤).

القرآن نور وهدى

(ومن شعر المؤيد في الدين واسمه هبة الله، قال):

إن القرآن لهو نور وهدى ... وقول حق حظكم منه الصدى
يا قوم قول ذا الكتاب فصل ... جزل المعاني ليس فيه هزل
لو أنه من عند غير اللَّه ... أوجدوا خلفاً بلا تناهي
متفقاً متسقاً معناه ... كمثل ما في ذاك قال اللَّه
مُبرَّأ من هجنة التناقض ... مسلماً من خوض كل خائض

قرآننا مشعل يهدي

(ومن شعر وليد الأعظمي قصيدة عدد أبياتها ٤٩ بيتاً، حث فيها على التمسك بكتاب الله وسُنَّة الرسول ﷺ، ووليد الأعظمي هو من علماء بغداد، ولم يزل على قيد الحياة في هذا الزمن[١]، قال)[٢]:

شريعة اللَّه للإصلاح عنوان ... وكل شيء سوى الإسلام خسران
لما تركنا الهدى حلت بنا محن ... وهاج للظلم والإفساد طوفان
لا تبعثوها لنا رجعية فترى ... باسم الحضارة والتاريخ أوثان
لا حامرابي[٣] ولا خوفو[٤] يعيد لنا ... مجداً بناه لنا بالعز قرآن
تاريخنا من رسول اللَّه مبدؤه ... وما عداه فلا عز ولا شان
محمد أنقذ الدنيا بدعوته ... ومن هداه لنا روح وريحان

---

(١) وليد بن عبد الكريم العبيدي الأعظمي، شاعر عراقي ومؤرخ وخطاط، ولد في الأعظمية عام ١٣٤٨هـ، وتوفي عام ١٤٢٥هـ.

(٢) إتمام الأعلام: ذيل على كتاب الأعلام، للزركلي (ص١٨٢).

(٣) وحمورابي هو أحد ملوك البابليين وعهده قبل الميلاد بنحو ألفي عام.

(٤) أما خوفو فهو من فراعنة مصر.

لولاه ظل أبو جهل يضللنا وتستبيح الدما عبس وذبيان
لا خير في العيش إن كانت مواطننا نهبا بأيدي الأعادي أينما كانوا
لا خير في العيش إن كانت حضارتنا في كل يوم لها تنهد أركان
لا خير في العيش إن كانت عقيدتنا أضحى يزاحمها كفر وعصيان
لا خير في العيش إن كانت مبادؤنا جادت علينا بها للكفر أذهان
ها قد تداعى علينا الكفر أجمعه كما تداعى على الأغنام ذؤبان
والمسلمون جماعات مفرقة في كل ناحية ملك وسلطان
مثل السوائم قد سارت بغير هدى تقودها للمهاوي السود رعيان
في كل أفق على الإسلام دائرة ينهد من هولها رضوى[1] وثهلان

(ثم قال في آخر القصيدة أثابه الله وسدد خطاه):

نبي الحياة بوحي من عقيدتنا وعندنا للهدى والحق ميزان
قرآننا مشعل يهدي إلى سبل من حاد عن نهجها لا شك خسران
هو السعادة فلنأخذ بشرعته وما عداه فتضليل وبهتان
هو السلام الذي تهفو القلوب له فلم يعد يقتل الانسان إنسان
هو النشيد الذي ظلت تردده على مسامع هذا الكون أزمان
قد ارتضيناه حكما لا نبذله ما دام ينبض فينا منه شريان

حديقة الفرقان ضاحكة الربا

(قال الشاعر المشهور أحمد شوقي، في مطلع قصيدة همزية، مدح فيها الرسول ﷺ، وعدد أبياتها ١٣١ بيتاً، وقد أشاد بعظمة القرآن

(١) رضوى جبل يقع شرقي رابغ، وثهلان جبل قريب من قرية الشعراء.

وفصاحته وبلاغته وإعجازه)[١]:

وُلِدَ الهُدى فَالكائِناتُ ضِياءُ ... وَفَمُ الزَمانِ تَبَسُّمٌ وَثَناءُ
الروحُ وَالمَلأُ المَلائِكُ حَولَهُ ... لِلدينِ وَالدُّنيا بِهِ بُشَراءُ
وَالعَرشُ يَزهو وَالحَظيرَةُ تَزدَهي ... وَالمُنتَهى وَالسِدرَةُ العَصماءُ
وَحَديقَةُ الفُرقانِ ضاحِكَةُ الرُّبا ... بِالتُّرجُمانِ شَذِيَّةٌ غَنّاءُ
وَالوَحيُ يَقطُرُ سَلسَلاً مِن سَلسَلٍ ... وَاللَوحُ وَالقَلَمُ البَديعُ رُواءُ

(إلى أن قال):

ذُعِرَت عُروشُ الظالِمينَ فَزُلزِلَت ... وَعَلَت عَلى تيجانِهِم أَصداءُ
وَالنارُ خاوِيَةُ الجَوانِبِ حَولَهُمْ ... خَمَدَت ذَوائِبُها وَغاضَ الماءُ
وَالآيُ تَترى وَالخَوارِقُ جَمَّةٌ ... جِبريلُ رَوّاحٌ بِها غَدّاءُ

(إلى أن قال):

يا أَيُّها الأُمِيُّ حَسبُكَ رُتبَةً ... في العِلمِ أَن دانَت بِكَ العُلَماءُ
الذِّكرُ آيَةُ رَبِّكَ الكُبرى الَّتي ... فيها لِباغي المُعجِزاتِ غَناءُ
صَدرُ البَيانِ لَهُ إِذا التَقَتِ اللُّغى ... وَتَقَدَّمَ البُلَغاءُ وَالفُصَحاءُ
نُسِخَت بِهِ التَوراةُ وَهيَ وَضيئَةٌ ... وَتَخَلَّفَ الإِنجيلُ وَهوَ ذُكاءُ
لَمّا تَمَشّى في الحِجازِ حَكيمُهُ ... فُضَّت عُكاظُ بِهِ وَقامَ حِراءُ
أَزرى بِمَنطِقِ أَهلِهِ وَبَيانِهِمْ ... وَحيٌ يُقَصِّرُ دونَهُ البُلَغاءُ
حَسَدوا فَقالوا شاعِرٌ أَو ساحِرٌ ... وَمِنَ الحَسودِ يَكونُ الاستِهزاءُ
قَد نالَ بِالهادي الكَريمِ وَبِالهُدى ... ما لَم تَنَل مِن سُؤدُدٍ سيناءُ

---

(١) ديوان: الشوقيات، لأحمد شوقي (ص١٩١).

يوحى إِلَيكَ الفَوزُ في ظُلُماتِهِ مُتَتابِعاً تُجلى بِهِ الظَلماءُ
دينٌ يُشَيَّدُ آيَةً في آيَةٍ لَبِناتُهُ السوراتُ وَالأَضواءُ
الحَقُّ فيهِ هُوَ الأَساسُ وَكَيفَ لا وَاللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ البَنّاءُ
أَمّا حَديثُكَ في العُقولِ فَمَشرَعٌ وَالعِلمُ وَالحِكَمُ الغَوالي الماءُ
هُوَ صِبغَةُ الفُرقانِ نَفحَةُ قُدسِهِ وَالسينُ مِن سَوراتِهِ وَالراءُ
جَرَتِ الفَصاحَةُ مِن يَنابيعَ النُهى مِن دَوحِهِ وَتَفَجَّرَ الإِنشاءُ

خذ بالكتاب

(وقال أحمد شوقي في أثناء قصيدة أخرى)[١]:

خُذ بِالكِتابِ وَبِالحَديثِ وَسيرَةِ السَّلَفِ الثِقاتِ
وَارجِع إِلى سِنِّ الخَليـ ـقَةِ وَاتَّبِع نُظُمَ الحَياةِ
هَذا رَسولُ اللَّهِ لَم يُنقِص حُقوقَ المُؤمِناتِ
العِلمُ كانَ شَريعَةً لِنِسائِهِ المُتَفَقِّهاتِ

عين من الفرقان

(وقال أحمد شوقي في مطلع قصيدة أشاد فيها بمديح الأزهر)[٢]:

قم في فم الدنيا وحي الأزهرا وانشر على سمع الزمان الجوهرا

(إلى أن قال في أثناء القصيدة):

عين من الفرقان فاض نميرها وحياً من الفصحى جرى وتحدرا
ما ضرَّني أن ليس أفقك مطلعي وعلى كوكبه تعلمت السرى

---

(١) الموسوعة الشوقية: الأعمال الكاملة، لأمير الشعراء أحمد شوقي.
(٢) الشوقيات (١/ ١١٧).

(وقال شوقي في أثناء قصيدة):

أرسلت بالتوراة موسى مرشداً ... وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً ... فسقى الحديث وناول التنزيلا

آياته كلما طال المدى جدد

(وقال شوقي في أثناء قصيدة قالها في مديح النبي ﷺ)[1]:

فاقَ البُدورَ وَفاقَ الأَنبِياءَ فَكَمْ ... بِالخُلقِ وَالخَلقِ مِن حُسنٍ وَمِن عِظَمِ
جاءَ النبِيّونَ بِالآياتِ فَانصَرَمَتْ ... وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَرِمِ
آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدى جُدُدٌ ... زَيَّنَهُنَّ جَلالُ العِتقِ وَالقِدَمِ
يَكادُ في لَفظَةٍ مِنهُ مُشَرَّفَةٍ ... يوصيكَ بِالحَقِّ وَالتقوى وَبِالرحِمِ
يا أَفصَحَ الناطِقينَ الضادَ قاطِبَةً ... حَديثُكَ الشهدُ عِندَ الذائِقِ الفَهِمِ
حَلَّيتَ مِن عَطَلٍ جِيدَ البَيانِ بِهِ ... في كُلِّ مُنتَثِرٍ في حُسنِ مُنتَظِمِ
بِكُلِّ قَولٍ كَريمٍ أَنتَ قائِلُهُ ... تُحيي القُلوبَ وَتُحيي مَيِّتَ الهِمَمِ
سَرَت بَشائِرُ بالهادي وَمَولِدِهِ ... في الشَرقِ وَالغَربِ مَسرى النورِ في الظُّلَمِ
تَخَطَّفَتْ مُهَجَ الطاغينَ مِن عَرَبٍ ... وَطَيَّرَت أَنفُسَ الباغينَ مِن عَجَمِ
ريعَت لَها شَرَفُ الإيوانِ فَانصَدَعَتْ ... مِن صَدمَةِ الحَقِّ لا مِن صَدمَةِ القُدُمِ
أَتَيتَ وَالناسُ فَوضى لا تَمُرُّ بِهِمْ ... إلا عَلى صَنَمٍ قَد هامَ في صَنَمِ
وَالأَرضُ مَملوءَةٌ جَوراً مُسَخَّرَةٌ ... بِكُلِّ طاغِيَةٍ في الخَلقِ مُحتَكِمِ

(وعدد أبيات هذه القصيدة ١٩٠ بيتاً).

---

(١) الشوقيات (١/ ١٥٤).

القرآن تنزيل ربنا وكلامه الحكيم

(قال في أثناء العقيدة الشيبانية، ولم أعثر على اسم صاحبها)[١]:

ونعتقد القرآن تنزيل ربنا ... به جاء جبريل النبي محمداً
وأنزله وحياً إليه وأنه ... هدى اللَّه يا طوبى لمن به اهتدى
كلام قديم منزل غير محدث ... بأمر ونهى والدليل تأكدا
كلام إلٰه العالمين حقيقة ... فمن شك في هذا فقد ضل واعتدى
ومنه بدا قولاً قديماً وأنه ... يعود إلى الرحمٰن حقّاً كما بدا
وأن كلام اللَّه بعض صفاته ... وجلت صفات اللَّه أن تتحددا
فمن شك في تنزيله فهو كافر ... ومن زاد فيه قد طغى وتمردا
ومن قال مخلوق كلام إلهنا ... فقد خالف الإجماع جهلاً وألحدا
ونتلوه قرآناً كما جاء معرباً ... ونكتبه في الصحف حرفاً مجرداً
ونؤمن بالكتب التي هي قبله ... وبالرسل حقّاً لا نفرق كالعدا
وإيماننا قول وفعل ونية ... ويزداد بالتقوى وينقص بالردا
فلا مذهب التشبيه نرضاه مذهباً ... ولا مقصد التعطيل نرضاه مقصداً
ولكن بالقرآن نهدي ونهتدي ... وقد فاز بالقرآن عبد قد اهتدى

(وما صرح به قائل هذه الأبيات هو من عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة).

كم أبانت آياته من علوم

(هنا قصيدة همزية في مدح خير البرية، عدد أبياتها ٤٦٦ بيتاً، قال في أثنائها)[٢]:

---

(١) لمحمد طاهر الجبلاوي، مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٤٥١).
(٢) السيرة الحلبية (١/ ٤٣٧).

عجباً للكفار زادوا ضلالاً ... بالذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسألون منه كتاب ... منزل قد أتاهم وارتقاء
أو لم يكفهم من اللَّه ذكر ... فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الإنس آية منه والجن ... فهلا تأتي بها البلغاء
كل يوم يهدي إلى سامعيه ... معجزات من لفظه القراء
تتجلى به المسامع والأفـ ... ـواه فهو الحلي والحلواء
رق لفظاً ورق معنى فجاءت ... في حلاها وحليها الخنساء
وأرتنا فيه غوامض فضل ... رقة من زلاله وصفاء
إنما تتجلى الوجوه إذا ما ... جليت عن مرآتها الأصداء
سور منه اشبهت صوراً منـ ... ـا ومثل النظائر النظراء

كَمْ أَبَانَتْ آيَاتُهُ مِنْ عُلُومٍ ... عَنْ حُرُوفٍ أَبَانَ عَنْهَا الْهِجَاءُ
فَهْيَ كَالْحَبِّ وَالنَّوَى أَعْجَبَ الزُّ ... رَّاعَ مِنْهُ سَنَابِلٌ وَذَكَاءُ
فَأَطَالُوا فِيهِ التَّرَدُّدَ والرَّيْـ ... ـبَ فَقَالُوا سِحْرٌ وَقَالُوا افْتِرَاءُ
وَإِذَا الْبَيِّنَاتُ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً ... فَالْتِمَاسُ الْهُدَى بِهِنَّ عَنَاءُ
وَإِذَا ضَلَّتِ الْعُقُولُ عَلَى عِلْـ ... ـمٍ فَمَاذَا تَقُولُهُ النُّصَحَاءُ

(والقصيدة مذكورة في مجموعة المتون، ولم يذكر اسم قائلها، كالشيبانية التي قبل هذه، ومجموعة المتون فيها قريب من ستين رسالة، والشاعر أشار بإعجاز القرآن في قوله)[1]:

أَعْجَزَ الإِنْسَ آيَةٌ مِنْهُ وَالْجِـ ... ـنَّ فَهَلَّا تَأْتِي بِهَا الْبُلَغَاءُ
كُلَّ يَوْمٍ يُهْدَى إِلَى سَامِعِيهِ ... مُعْجِزَاتٌ مِنْ لَفْظِهِ الْقُرَّاءُ

(١) السيرة الحلبية (١/٤٣٨).

(وقال السفاريني في الدرة المضية)[١]:

القرآن كلام الله

ومعجزات خاتم الأنبياء كثيرة تجل عن إحصائي
منها كلام اللَّه معجز الورى كذا انشقاق البدر في غير امترى

(ثم قال في شرحه لوائح الأنوار البهية):

قال بعض العلماء: معجزات نبيِّنا كثيرة لا تنحصر، وفي كلام بعضهم أنه ﷺ أُعطي ثلاثة آلاف معجزة؛ يعني: غير القرآن، فإن فيه ستين أو سبعين ألف معجزة تقريباً[٢].اهـ. والحمد لله على التمام والكمال وقد انتهى دور الأشعار.

أما عدد الذين ذكرنا شيئاً من أشعارهم من الصحابة والتابعين وتابع التابعين، فهم على سبيل التقريب سبعة وسبعون، ويأتي ذلك إن شاء الله بفهرس الكتاب.

وإلى هنا ننتهي من سياق القصائد التي ألقت شيئاً من الأضواء على القرآن المجيد، مع العلم أن القرآن هو النور الذي ينير الطريق للسالكين.

ولكنها قصائد جادت بها قرائح العلماء والأدباء المحبين للقرآن والمعظمين له.

والهدف والمقصود هو الترغيب والحث على العمل بكتاب الله، عقيدةً وعبادةً وأحكاماً وأخلاقاً، قصائد قيلت في مدح القرآن الكريم،

---

(١) الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية (ص٨٤).
(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (٢/ ٢٩١).

وبيان ما اشتمل عليه، من أسماء وأوصاف، وحكم وأحكام وأمر ونهي، ووعد ووعيد وترغيب وترهيب، وغير ذلك.

ومن المعلوم أن القصائد التي قيلت في محيط القرآن، كثيرة وكثيرة جدّاً، وفيما ذكرناه كفاية، وفي بعض أبيات القصائد الرد على المعتزلة والجهمية والأشاعرة المنكرين لصفات الله تعالى.

أما عدد أبيات القصائد التي سقناها فهي (١٣٤٠) بيتاً، وقد جمعتها من عددٍ كثير وكمية كبيرة من الكتب ودواوين الشعراء.

والقرآن الكريم نزل بلغة العرب، فهي شواهد لأسماء القرآن، وأوصافه. وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشعر ديوان العرب.

ومهما كان، ومهما يكن، ومهما قيل، ومهما يقال في مديح القرآن، وبيان عظمته وقدسيته، هو فوق ذلك وأعظم من ذلك؛ لأنه كلام ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين على خاتم النبيين والمرسلين، كتاب عزيز، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]، كتاب الله الكريم هو: حجة الرسول العظمى ومعجزته الكبرى، هو النبراس الوضاء.

هو التبيان والبيان لمبتغِ الإيمان، هو التراث الكريم والكنز الثمين.

هو الكتاب الخالد الذي، أنزله الله ليكون تشريعاً عامّاً لكل فرد ولكل مجتمع ولكل جيل من أجيال العالم، هو الكتاب الذي جاء لإسعاد البشرية، وإخراجها من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم: ١]، كتاب حكيم: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [يونس: ١].

كتاب بيان وتبيين، وهدى ورحمة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]، هو كتاب الإنسانية كلها، كتاب الله للبشرية أجمع، كتاب أحكامه تساير الزمن، كتاب توجيه وهداية وإعجاز.

كتاب مع سُنَّة الرسول ﷺ، فيهما الشفاء والوفاء والكفاية لمتطلبات الحياة الفردية والاجتماعية في كل زمان ومكان، ولكن السلاح بضاربه والدواء بطبيبه، لا خير ولا سعادة والله للإنسانية عامة، وللمسلمين خاصة إلا بالعمل بدين الإسلام، إلا بالعمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

فالقرآن الكريم، والنور المبين، والنبراس العظيم هو الذي يحقق للإنسانية الخير والسعادة، والعز والشرف والرفاهية والراحة، والأمن والاطمئنان والسلامة والعيش الرغد، بل كل سعادة وكل خير دنيوي وأخروي، يحققه القرآن مع سُنَّة الرسول ﷺ.

ليست المدنية المزعومة، المدنية الزائفة المدنية المفسدة للأخلاق، وليس الاختراع والتفنن في الصناعة، ليس ما ذكر هو الذي يحقق للإنسانية الخير والسعادة لا ومائة ألف لا، لا يا قوم، لا يا عباد الله، لا يا شباب الإسلام والمسلمين، بل إذا سلكنا طريق الاعتدال في القول، وقلنا الحقيقة والواقع، فالصناعات والمخترعات فيها خير وفيها شر، وقد يربو شرها وبلاؤها على ما فيها من نفع وخير.

فيتوقع والعلم عند الله قيام حروب عالمية طاحنة، مهلكة للحرث والنسل، وقد جاء نماذج من ذلك عقوبة من الله تعالى، بسبب الزندقة والإلحاد، والكفر والشرك والذنوب والمعاصي، والخلاعة والمجون والاستهتار وقلة الحياء، ومحاربة رب السماء، والجزاء من جنس

العمل: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

نعم؛ من أجل زندقة المتزندقين، وإلحاد الطغاة والمجرمين، وترك العمل بكتاب ربِّ العالمين، يخشى ويتوقع قيام حرب عالمية مدمرة ومهلكة، فيتحقق ما أخبر به الصادق المصدوق، وعلم الغيب عند الله.

أخرج البخاري ومسلم، والإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، من حديث أنس رضي الله عنه، قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لا يحدثكم أحد بعدي سمعه منه:

«إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»[1].

قلت: فهذا الحديث يُعَدُّ من معجزات الرسول ومن علامات نبوته، فإنه عليه السلام، أخبر بشيء ما وقع فوقع كما أخبر، إلا المسألة الأخيرة، وسوف تقع، فعلم كتاب الله وسُنَّة رسوله زهد فيهما العالم إلا أقل القليل، والخمر والزنا قد شاع وتفشى في أكثر البلاد الإسلامية، فكيف بغيرها؟! ففي بلاد الكفر حدث ولا حرج، عياذاً بالله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والكلام ذو فنون وشجون، يجر بعضه بعضاً، وخوفاً من الخروج عن المقصود، نعود فنقول: القرآن هو وحي الله المنزل على الرسول ﷺ، وقد أشرنا سابقاً إلى أن الله تعالى سمى القرآن تنزيلاً ومنزلاً في مائة واثنتين وأربعين آية، وسماه وحياً في خمس وأربعين آية، وقد خاب من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٠٨)، ومسلم (٢٦٧١).

افترى وخاب من قال على الله بلا علم، وبعون الله يأتي ذلك في مباحث الأسماء.

ولا بدع ولا استنكار ولا غرابة، فالله جَلَّ شأنه أوحى إلى الرسول، هذا القرآن كما أوحى إلى النبيين والمرسلين قبله، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: ١٦٣].

فالله جَلَّ شأنه، بعدما شاعت الفوضى وعم الفساد العباد، وطغت الجاهلية على البشرية، رحمَ اللهُ، رحمَ أرحمُ الراحمين، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠]، أوحى إليه هذا القرآن الذي ما رأت ولا سمعت البشرية بمثله.

❁ ❁ ❁

تعريف الوحي

أما تعريف الوحي فقد قال في «المصباح المنير»: (وحي): الوحي الإشارة والرسالة والكتابة، وكل ما ألقيته إلى غيرك ليعلمه وحي كيف كان، قاله ابن فارس، وهو مصدر وحي إليه يحي من باب وعد، وأوحى إليه بالألف مثله، وجمعه وحي، والأصل فعول مثل فلوس[١].اهـ.

وقال الشوكاني في «فتح القدير»: والوحي إعلام في خفاء، يُقال: وحى إليه بالكلام وحياً وأوحى يوحي إيحاء[٢].اهـ.

وقال في «فتح الباري»: والوحي لغة: الإعلام في خفاء، وشرعاً: الإعلام بالشرع[٣].

وقال القرطبي: والوحي إعلام في خفاء، يُقال: وحى إليه بالكلام يحي وحياً وأوحى يوحي إيحاء، فالقرآن وحي الله المنزل، وليس بمخلوق، ولا مفترى، ولا سحر، ولا كهانة، ولا بأساطير الأولين، بل هو القول الجلي وكلام الرب العلي[٤].

كيفيات الوحي

كيفيات الوحي التي تلقاها الرسول ﷺ عن أمين الوحي

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٥١).
(٢) فتح القدير (١/ ٦٢٠).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٩).
(٤) تفسير القرطبي (٦/ ١٥).

جبريل عليه السلام، ذكر السيوطي في كتابه «الإتقان» لذلك خمس كيفيات[١]، وذكر القسطلاني في «المواهب اللدنية» للوحي ثماني مراتب[٢].

وقال في «فتح الباري»: وقد ذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً فذكرها وغالبها من صفات حامل الوحي ومجموعها يدخل فيما ذكر[٣].اهـ.

قلت: وتقاسيم العلماء رحمهم الله على حسب ما جاء في القرآن والسُّنَّة، ولكن القرآن حصرها في ثلاث كيفيات، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠٢].

فكيفيات الوحي الزائدة على الثلاث عند التأمل ترجع إلى ثلاث.

وقال البخاري في «صحيحه»: (باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟)، ثم قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنها، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رضي الله عنه سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَحْيَاناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ**

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٦٠).
(٢) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (١/ ١٢٥).
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١/ ٢٠).

عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَاناً يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ». قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً[1].

ثم قال البخاري: باب

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: **«مَا أَنَا بِقَارِئٍ»**، قَالَ: **«فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق: ١ ـ ٣]». فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها، فَقَالَ: **«زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»** فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: **«لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»** فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي

---

(١) أخرجه البخاري (٢).

الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيّاً إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ**»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ[(١)].

ثم قال البخاري: قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ، فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: «**بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: ٥].

فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

ثم قال البخاري: باب

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ [القيامة: ١٦]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا، فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٦، ١٧]، قَالَ: جَمْعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٨]، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٩]، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ[١].

تنزيلات القرآن

شرَّف الله هذا القرآن بأن جعل له **ثلاثة تنزلات**:

١ ـ التنزل الأول إلى اللوح المحفوظ، ودليله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ٢١، ٢٢]، وكان هذا الوجود في اللوح بطريقةٍ وفي وقتٍ، لا يعلمه إلا الله تعالى ومَن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرقاً؛ لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق.

٢ ـ التنزل الثاني للقرآن: كان هذا التنزل الثاني إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والدليل عليه قوله سبحانه في سورة الدخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ

(١) أخرجه البخاري (٥).

فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]، وفي سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١].

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، دلّت هذه الآيات الثلاث على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة توصف بأنها مباركة، وتسمى ليلة القدر.

وأخرج النسائي والحاكم والبيهقي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة[1]، والآثار والأخبار في ذلك كثيرة جدّاً.

٣ ـ التنزل الثالث للقرآن: هذا هو واسطة عقد التنزلات؛ لأنه المرحلة الأخيرة التي منها شع النور على العالم، ووصلت هداية الله إلى الخلق، وكان هذا النزول بوساطة أمين الوحي جبريل، يهبط به على قلب النبي ﷺ، ودليله قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥].

اهـ باختصار من «مناهل العرفان في علوم القرآن»، للشيخ محمد الزرقاني[2].

ويقيناً لا يعتريه شك بأن القرآن الكريم وحي منزل من عند الله، وأشرنا سابقاً إلى أن الله تعالى اسمه سمى القرآن منزلاً وتنزيلاً في مائة واثنتين وأربعين آية، وسماه وحياً في خمس وأربعين آية، وباتفاق من أهل السُّنَّة والجماعة على أن القرآن كلام الله حقيقة، فليس القرآن بقول شاعر، ولا بإفك مفترى، ولا سحر، ولا كهانة، ولا أساطير الأولين، وما هو من قول البشر.

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٠٨)، والحاكم (٣٩٥٨).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٤٧).

كما قاله الطغاة والمجرمون من كفار قريش.

وليس القرآن من إدراك محمد، ومن تفكيره وعبقريته، كما قاله الزنادقة والملاحدة، وقاله أيضاً كثير من المستشرقين، الذين جندوا أنفسهم للقضاء على العقيدة الإسلامية، أو على الأقل زعزعتها وإضعافها من قلوب المسلمين.

وليس القرآن بمخلوق كما تقوله المعتزلة والجهمية، وليس القرآن حكاية عن كلام الله، كما تقوله الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، وليس القرآن عبارة عن كلام الله، كما تقوله الأشاعرة، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، كما قال ذلك المعتزلة، ولا المعاني دون الحروف، كما قاله ابن كلاب ومن وافقه من الأشاعرة.

وليس القرآن فيضاً فاض على نفس النبي من العقل الفعال أو غيره كما قاله طوائف من الصابئة والفلاسفة، ولا تعلَّمه الرسول من عبد جاهل حداد بمكة، وقيل: مولى لابن الحضرمي، قيل: اسمه جبر وقيل: يعيش، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

كل هذه الأقاويل شاذة وساقطة، وخرافات وخزعبلات وسفسطات، وهذيان وزور وباطل، بعيدة عن مناهل الحق والصواب، ولا وزن لها ولا قيمة، ولا تساوي قلامة ظفر.

اللَّهُمَّ أرنا الحق حقّاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تجعله ملتبساً علينا فنضل، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على سيدنا ونبيِّنا محمد وآله وصحبه.

❁ ❁ ❁

كيفية أخذ جبريل للقرآن

المعتقد الأسلم، والقول الأقوم هو قول أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة أن جبريل عليه السلام، أخذ القرآن عن الله سماعاً، فبلغه بصدقٍ وإتقان وضبط وأمانة محمداً ﷺ.

أما من قال: بأن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، أو أن الله ألهم جبريل القرآن، أو أن جبريل إنما نزل بالمعاني خاصة، وأنه ﷺ، علم تلك المعاني وعبَّر عنها بلغة العرب.

أو أن الحفظة نجمت القرآن على جبريل، في عشرين ليلة، وأن جبريل نجمه على النبي ﷺ، في عشرين سنة، فهذه الأقوال وما شاكلها أقوال ما أنزل الله بها من سلطان، كلها حمق ولجاجة، وزور وغرور، وقول على الله بلا علم.

والأدلة من الكتاب والسُّنَّة على أن جبريل أخذ القرآن عن الله كثيرة جدّاً، وأقوال العلماء لا تحصى كثرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: ١٠١، ١٠٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة أسماها: (كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم): فقوله: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾، بياناً لنزول جبريل به من الله عز وجل.

فإن روح القدس هنا هو جبريل[١]، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: والمقصود أن قوله: منزل من ربك، فيه بيان أنه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات، ولهذا قال السلف: منه بدأ؛ أي: هو الذي تكلم به، لم يبتدأ من غيره[٢].

ثم قال في موضع آخر من الرسالة: وإذا كان روح القدس نزل به من الله، علم أنه سمعه منه، ولم يؤلفه هو[٣]. ثم قال في موضع آخر: وكون القرآن مكتوباً في اللوح المحفوظ، وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة، لا ينافي أن يكون جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن ينزل به جبريل وغير ذلك.

وإذا كان قد أنزله مكتوباً إلى بيت العزة جملة واحدة في ليلة القدر، فقد كتبه كله قبل أن ينزله، والله تعالى يعلم ما كان وما لا يكون لو كان كيف كان يكون[٤]، إلى آخر كلامه جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وقال جَلَّ شأنه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠]؛ أي: فأوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى، هذا على أحد ثلاثة أقوال للمفسرين.

ومن الأدلة أيضاً: ما أخرجه ابن جرير وابن خزيمة وابن أبي حاتم والطبراني، عَنِ النَّوَاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِي بأمره تَكَلَّمَ بِالْوَحِي، فإذا تكلم أَخَذَتِ السَّمَوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً**، أَوْ قَالَ: **رَعْدَةً شَدِيدَةً من خوف اللهِ تَعَالَى، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ صُعِقُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، فيمضي به جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى**

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ١١٨).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٤).
(٤) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٧).

الْمَلائِكَةِ كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ عليه السلام: قَالَ الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللهُ تعالى من السماء والأرض»[١].

وأخرج أبو داود، وابن مردويه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا تَكَلَّمَ اللهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَم؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، الْحَقَّ**»[٢]. والأدلة لهذه المسألة كثيرة.

وأما أقوال العلماء فإلى القارئ قليل من كثير، قال السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»: قَالَ أَبُو شَامَةَ: على قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١]، هَذَا الْمَعْنَى مُطَّرِدٌ فِي جَمِيعِ أَلْفَاظِ الْإِنْزَالِ الْمُضَافَةِ إِلَى الْقُرْآنِ، أَوْ إِلَى شَيْءٍ مِنْهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ الْمُعْتَقِدُونَ قِدَمَ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ صِفَةٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللهِ تَعَالَى.

قلت: ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى، ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان، ثم ساق الحديث المتقدم[٣]. اهـ كلام السيوطي.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٣)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٩١)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٠٦)، وضعَّفه الألباني في ظلال الجنة (٥١٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وابن حبان (٣٧)، وصحَّحه الألباني.

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٨).

قول ابن قيم الجوزية

(قال في النونية بعدما ذكر الأقوال المبتدعة)[١]:

لكن أهل الحق قالوا إنما ... جبريل بلَّغه عن الرحمٰن
ألقاه مسموعاً له من ربه ... للصادق المصدوق بالبرهان

وقال الشيخ تقي الدين: وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم أنه سمعه منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى لم يؤلفه روح القدس، وهذا بيان من الله أن القرآن الذي هو باللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله ﷻ ونزل به منه، إلى آخر كلامه[٢]. وقول شيخ الإسلام تقي الدين في هذه المسألة تقدم قريباً.

قول الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى

قال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى، في شرحه للنونية: أَقُول: قَالَ أبو الْحسن مُحَمَّد بن عبد الْملك الكرجي الشَّافِعِي فِي كتاب «الْفُصُول فِي الأصول عَن الأئمة الفحول»، وَذكر اثْنَا عشر إِمَاماً وهم: الشَّافِعِي وَمَالك وَالثَّوْري وَأحمد وَالْبُخَارِيّ وَابْن عُيَيْنَة وَابْن الْمُبَارك والأوزاعي وَاللَّيْث بن سعد وإسحق بن رَاهَوَيْه وأبو زرْعَة وأبو حَاتِم: سَمِعت الإمام أبا مَنْصُور مُحَمَّد بن أَحْمد يَقُول: سَمِعت الإمام أبا بكر عبد الله بن أحْمَد يَقُول: سَمِعت الشَّيْخ أبا حَامِد الإسفراييني يَقُول: مذهبي وَمذهب الشَّافِعِي وفقهاء الأمصار، أَن الْقُرْآن كَلَام الله غير مَخْلُوق، وَمن قَالَ مَخْلُوق فَهُوَ كَافِر.

وَالْقُرْآن حمله جِبْرِيل عليه السلام مسموعاً من الله تَعَالَى، وَالصَّحَابَة

---

(١) متن القصيدة النونية (ص٤٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١٢/ ١٢٤).

سَمِعُوهُ من رَسُول الله ﷺ، وَهُوَ الَّذِي نتلوه نَحن بألسنتنا، وَفِيمَا بَين الدفتين، وَمَا فِي صدورنا مسموعاً ومكتوباً ومحفوظاً ومنقوشاً، وكل حرف مِنْهُ كالباء وَالتَّاء كُله كَلَام الله غير مَخْلُوق، وَمن قَالَ مَخْلُوق فَهُوَ كَافِر عَلَيْهِ لعائن الله وَالْمَلَائِكَة وَالنَّاس أَجْمَعِينَ[١]. اهـ.

قول شارح الطحاوية

قال الإمام أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي في العقيدة المشهورة بالطحاوية: وإنَّ القرآنَ كلامُ الله، منه بدَأ بِلا كيفيةٍ قولاً، وأنزلَه على رسولِه وحياً، وصدَّقه المؤمنونَ على ذلك حقّاً، وأيقنوا أنهُ كلامُ اللهِ تعالى بالحقيقةِ ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّة.

قال الشارح: وأنزله على رسوله وحياً؛ أي: أنزله إليه على لسان الملك، فسمعه الملك جبرائيل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من الملك[٢].

قول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ

قال مفتي بلاد السعودية في زمنه؛ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ غفر الله له وأسكنه فسيح جناته في معرض جوابه له: فإن الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأن جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى وبلَّغه إلى محمد ﷺ[٣].

---

(١) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/ ٢٧٧).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص١٨١).
(٣) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/ ٢١٥).

قول الشيخ محمد بن علي الشوكاني

قال الشيخ الإمام محمد بن علي الشوكاني في تفسيره «فتح القدير»: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٢]؛ أي: القرآن المدلول عليه بذكر الآية: ﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]؛ أي: جبريل، والقدس التطهير، والمعنى: نزله الروح المطهر من أدناس البشرية، فهو إضافة الموصوف إلى الصفة، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]؛ أي: ابتداء تنزيله من عنده سبحانه(١).

قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني

قال الشيخ الفاضل محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان في علوم القرآن»، بعدما ذكر الأقوال في كيفية أخذ جبريل للقرآن:

قال: ثالثها: قال البيهقي في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القدر: ١] يريد ـ والله أعلم ـ إنا أسمعنا الملك وأفهمناه إياه وأنزلناه بما سمع. اهـ.

ومعنى هذا: أن جبريل أخذ القرآن عن الله سماعاً، وذلك فيما أرى أمثل الأقوال من ناحية أخذ جبريل عن الله لا من ناحية تأويل النزول في الآية بابتداء النزول، ويؤيده ما أخرجه الطبراني من حديث النواس بن سمعان(٢). اهـ.

ثم ساق الحديث المتقدم. قريباً.

---

(١) فتح القدير (٣/ ٢٣٢).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٤٨).

قول الشيخ محمد السفاريني

قال الشيخ المحقق محمد السفاريني في شرحه لعقيدته «الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية»، ما نصه: قَوْلَهُ: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، يَقْتَضِي نُزُولَ الْقُرْآنِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْقُرْآنُ اسْمٌ لِهَذَا الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: ٩٨]، فَإِنَّهُ إنما يَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ لَا مَعَانِيَهُ الْمُجَرَّدَةَ، وَأَيْضاً فَضَمِيرُ الْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾ عَائِدٌ إِلَى مَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ [النحل: ١٠١]، فَالَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ.

فَإِذَا كَانَ رُوحُ الْقُدُسِ نَزَلَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ نَزَّلَهُ مِنَ اللهِ فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ مِنْهُ نَزَّلَهُ مِنْ عَيْنٍ مِنَ الْأَعْيَانِ الْمَخْلُوقَةِ، وَلَا نَزَّلَهُ مِنْ نَفْسِهِ.

وَإِذَا كَانَ رُوحُ الْقُدُسِ: نَزَلَ بِهِ مِنَ اللهِ عَلِمَ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا بَيَانٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ سَمِعَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَزَلَ بِهِ[1]. اهـ. كلامه بحروفه.

قول الشيخ محمد بن عثيمين

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين في كتابه «تلخيص الحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية»، قال ما نصه: مذهب أهل السُّنَّة والجماعة: أن

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية (١/ ١٦٧).

كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلّم به حقيقة، وألقاه إلى جبريل فنزل به على قلب محمد ﷺ، وقد دل على هذا القول: الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع[1].

قول الشيخ محمد بن علي الصابوني

وللشيخ محمد علي الصابوني كتاب أسماه «التبيان في علوم القرآن»، قال فيه: تلقى النبي ﷺ القرآن بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، وجبريل تلقاه عن رب العزة جل جلاله، وليس لجبريل الأمين سوى تبليغ كلام الله وإيحائه للرسول ﷺ.

فالله جلَّت حكمته قد أنزل كتابه المقدس على خاتم أنبيائه بواسطة جبريل أمين الوحي، وعلَّمه جبريل للرسول، وبلَّغه الرسول لأمته، وقد وصف الله جبريل عليه السلام بأنه أمين على الوحي يبلغه كما سمعه عن الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢١]. وقال تعالى في وصفه أيضاً: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤].

أما حقيقة الكلام، وحقيقة المنزل فإنما هو كلام الله، وتنزيل ربِّ العالمين، ثم قال بعد أسطر: أما كيف تلقى جبريل القرآن عن الله عز وجل، فقد تقدم معناه: أنه كان سماعاً حيث سمع من الله عز وجل هذه الآيات فنزل بها على رسول الله. اهـ.

ثم قال في موضع آخر: القرآن الكريم كلام الله، ومعنى ذلك: أن اللفظ والمعنى هو من عند الله، ولا دخل لجبريل أو لمحمد فيه سوى التبليغ عن الله عز وجل. اهـ.

---

(١) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص٧٨).

قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني

وقال الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان»: وقد أسف بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن والرسول يعبِّر عنها بلغة العرب، وزعم آخرون أن اللفظ لجبريل، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط، وكلاهما قول باطل أثيم مصادم لصريح الكتاب والسُّنَّة والإجماع ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به.

وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذٍ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل؟ ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله؟ مع أن الله يقول: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] إلى غير ذلك مما يطول بنا تفصيله[١]. اهـ.

قول الشيخ عبد الرحمن بن حسن

قال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في «فتح المجيد»: وقال أبو حيان: تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ [سبأ: ٢٣]، إنما هي الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل، يأمره الله به، سمعت كَجرِّ سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة. ثم قال عبد الرحمٰن بن حسن: قوله: «**إذا قضى الله الأمر في السماء**»؛ أي: إذا تكلم الله بالأمر الذي يوحيه إلى جبريل بما أراده[٢].

وقال الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن، أيضاً في «قرة عيون الموحدين»، قوله: تكلم بالوحي، فيه التصريح بأنه يتكلم بالوحي فيوحيه

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٤٩).

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص١٩٥).

إلى جبريل عليه السلام، ففيه الرد على الأشاعرة في قولهم: إن القرآن عبارة عن كلام الله.

ثم قال: قوله: فيكون أول من يرفع رأسه جبريل؛ لأنه ملك الوحي عليه السلام، قوله: فيكلمه الله من وحيه بما أراد؛ فيه التصريح بأنه تعالى يوحي إلى جبريل بما أراده من أمره، كما تقدم في أول الحديث[1]. اهـ.

أيها القارئ الكريم، أيها الأخ المسلم، ما جمعناه لك وأتحفناك به من أقوال العلماء هو قليل من كثير، فقد أجمع المحققون من علماء الإسلام على أن جبريل عليه السلام أخذ القرآن، وتلقفه عن الله سماعاً، وكل قول يخالف هذا القول، فهو كذب وزور وباطل، وقول على الله وعلى رسوله بلا علم، وكل قول وتعليل لا يسانده دليل فهو بالهذيان أشبه.

تَنْبِيهٌ

هذه الأحرف، هي آخر المقدمة، **فمن أول خطبة الكتاب إلى هنا، الجميع من نثر ونظم، هو مقدمة وتمهيد لما هو المقصود من أسماء القرآن وأوصافه، وبالله نستعين وعليه نتوكل، ومنه تعالى نستمد التوفيق والتسديد فنقول:**

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (ص٩٥).

أسماء القرآن

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن الكريم بأسماء شريفة عظيمة، أسماء لائقة بالقرآن، أسماء مطابقة لمسماها، أسماء مشعرة بعظمة القرآن.

أسماء تحمل في طياتها، ما اشتمل عليه القرآن، من أسرار بديعة، وأهداف سامية، ومقاصد جليلة، وحكم حكيمة، وأقاصيص عجيبة، وأحكام محكمة.

أسماء رائعة فيها الدلالة الواضحة على شرف القرآن وعلو مكانته، أسماء فيها الحجة والبرهان على أنه أعظم كتاب سماوي لا كان ولا يكون مثله.

أسماء شيقة؛ فيها كل ما لذ وطاب، ويأتي إن شاء الله لهذه اللمحات والإشارات زيادة بيان وإيضاح.

نعم؛ قد اختار لكتابه العزيز أسماء عديدة، أسماء جديدة مخالفة لما سمى العرب به كلامهم جملةً وتفصيلاً، فسمى جملته: كتاباً وقرآناً، وسماه: سوراً وآيات وكلمات.

ونقل السيوطي عن الجاحظ أنه قال: سمى الله كتابه اسماً مخالفاً لما سمى العرب كلامهم على الجملة والتفصيل، سمى جملته: قرآناً، كما سموا ديواناً، وبعضه: سورة كقصيدة، وبعضها: آية كالبيت، وآخرها: فاصلة كقافية[1]. اهـ.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٧٨).

تنزيل

فمن أسماء القرآن التي سماه الله بها، تنزيلاً ومنزلاً، فالله جَلَّ وَعَلَا نزَّل القرآن على محمد ﷺ بواسطة جبريل، فليس القرآن بسحر ولا كهانة، ولا أساطير الأولين.

وليس بمخلوق كما تقوله الجهمية، بل هو تنزيل من حكيم حميد، وقد سماه تعالى منزلاً وتنزيلاً، في اثنتين وأربعين ومائة آية، وقد خاب من افترى، وسمى الله القرآن منزلاً وتنزيلاً؛ لأنه منزل من عند الله على لسان جبريل، فجبريل عليه السلام، سمعه وفهمه من الله، فبلَّغه بصدقٍ وأمانة محمداً عليه السلام، وتبلغه صحابة الرسول من نبيِّهم، وإلى القارئ الكريم سبع آيات من مائة واثنتين وأربعين آية:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢١].

وتسمية القرآن بالتنزيل هو من أشهر أسماء القرآن الكريم.

وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ: ٦].

وقال جَلَّ شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴿٢﴾﴾ [محمد: ٢].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ ﴿٢٦﴾﴾ [محمد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠]، إلى قوله: ﴿تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾ [الحاقة: ٤٣].

وتقدم قريباً كيفية تنزلات القرآن.

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: ٤٤].

فالقرآن منزل من عند الله وليس بمخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق فقد كفر والله يصليه سقر، وقال تعالى: ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾ [فصلت: ١، ٢]، هذه هي الأدلة وهذه هي البراهين، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله، والصلاة على رسول الله وآله وصحبه.

❁ ❁ ❁

القرآن آيات

وآيات الله على نوعين: آيات متلوة ومسموعة؛ وهي القرآن، وآيات مشاهدة؛ وهي مخلوقات الله، والله تقدس اسمه سمَّى كتابه: آيات، في مائة وثلاثين موضعاً، ولا مرية ولا شك، بأن القرآن العزيز آيات بينات واضحات الدلالة، ناصعة البرهان لا لبس فيها ولا غموض، آيات عظيمة ورصينة، آيات هي منابع الحكم ومصادر الأحكام، ويأتي إن شاء الله في شرح الآيات زيادة بيان.

وإلى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه سبع آيات من مائة وثلاثين آية، والله الموفق لا إلٰه غيره، ولا ربَّ سواه، وتسمية القرآن بآيات الله هو من أشهر أسماء القرآن.

قال تعال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ٥٣﴾ [الروم: ٥٣].

فلا بد من الإيمان بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن.

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩﴾ [الحديد: ٩].

وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ

وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ﴿٧﴾ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٨﴾﴾ [الجاثية: ٦، ٨].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا شَيۡـٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٩﴾﴾ [الجاثية: ٩].

والآيات في لغة العرب هي: العلامات الواضحة الجلية.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: ٧].

أما عدد آيات القرآن فعلى ما ذكر كثير من العلماء؛ منهم الزركشي في كتابه «البرهان»، والسيوطي في كتابه «الإتقان»، فهي ستة آلاف آية، وقد أجمع العلماء على ذلك، وإنما الخلاف فيما زاد على ذلك، فقيل: مائتان وأربع آيات، وقيل: مائتان وخمس وعشرون آية، وقيل: مائتان وست وثلاثون آية، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

۞ ۞ ۞

كتاب

الله جَلَّ شأنه وتقدَّس اسمه، سمَّى ما أنزل على رسوله ﷺ: كتاباً، في سبعة وسبعين موضعاً، والكتاب لغةً: الجمع، فالله سمى ما أنزل على رسوله كتاباً؛ لأنه قد اشتمل على سور وآيات وحروف وكلمات.

ولأنه جمع أنواع العلوم والأخبار والأحكام.

نعم؛ وعزة ربي، القرآن كتاب عظيم، كتاب كريم، كتاب جاء بالصلاح والإصلاح، جاء بما فيه خير البشرية، في حاضرها ومستقبلها، كتاب الأمة الإسلامية، هو مجدها، هو عزها، هو فخرها وبه نصرها، كتاب فيه حلٌّ لكل مشكلة من مشاكل الحياة الاجتماعية، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

وللأسف الشديد، والمحنة الكبرى والمصيبة عظمى، أكثر المسلمين في هذا الزمن يحكمون بغير ما أنزل الله، يحكمون بالقوانين الفرنسية، والرومانية، والعادات الفرنجية، المخالفة للشريعة الإسلامية، وهي نحاتة أفكار وزبالة أذهان لا يفارقها الاختلاف والاضطراب، وكلها ظلم وجور، وبسبب ذلك ضاعت الحقوق وشاعت الفوضى وارتكبت الجرائم وفعلت المحرمات.

ويا أسفاه! أكثر المنتسبين للإسلام تركوا الإسلام فعلاً وتركوا أحكام الإسلام العادلة، أضاعوا الإسلام فضاعوا؛ ضاعوا حقيقة ومعنى، تدهوروا أخلاقيّاً، واقتصاديّاً وسياسيّاً.

فليس والله للمسلمين عز ونصر وفخار، إلا بالعمل بكتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

ويأتي إن شاء الله عدد الآيات التي هي صريحة في وجوب الحكم بما أنزل الله في مبحث مستقل.

وإلى ورثة محمد ﷺ، إلى الدعاة إلى الله، إلى المرشدين والمصلحين في كل زمان ومكان، سبع آيات من سبع وسبعين آية:

قال جَلَّ شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [العنكبوت: ٤٧].

وتسمية القرآن بالكتاب هو من أشهر أسماء القرآن.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزمر: ١]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: ٢].

وقال تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ١ ـ ٤].

فالقرآن بشير بكل خير ونذير من كل شر؛ بشير للمؤمنين والمسلمين، ونذير للمشركين والكافرين والظالمين، والفاسقين والعصاة والمتمردين، وقريباً يأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

۞ ۞ ۞

قرآن

الله ربنا تعالى اسمه، سمَّى كتابه العزيز: قرآناً في ثلاثة وسبعين (٧٣) موضعاً، وهو من أشهر أسماء كتاب الله تعالى.

والقرآن على قول بعض العلماء كاللحياني مصدر مهموز بوزن الغفران، مشتق من قرأ بمعنى: تلا، سمى به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر[١].

قال الزرقاني في كتابه «مناهل العرفان»: أما لفظ القرآن: فهو في اللغة: مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٧، ١٨].

ثم نُقل من هذا المعنى المصدري، وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق، وإليه ذهب اللحياني وجماعة[٢]. اهـ.

وما من شكٍّ بأنه يجب تفهم القرآن وتعقله، ويجب تدبره والعمل به، هذا هو المقصود بإنزال القرآن.

وإلى أهل القرآن، والمحبين للقرآن والعاملين بالقرآن، سبع آيات من ثلاث وسبعين آية.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٨٢).

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٤).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

القرآن شفاء ورحمة ولكنها للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

والقرآن بشير ورحمة وهدى للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

وبعض العلماء يعرف القرآن بأنه الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته[1].

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الإسراء: ٤١]، ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

❁ ❁ ❁

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ١٩).

القرآن حق

الله ﷻ وتقدست أسماؤه سمَّى القرآن الكريم: حقّاً، والحق هو العدل والإنصاف، والحق في لغة العرب ضد الباطل.

فالله تعالى حق ورسوله حق، والقرآن حق، والحق أحق أن يتبع، وماذا بعد الحق إلا الضلال، فالقرآن حق وجاء بالحق، وأمر به ودعا إليه.

ولا بد من الإيمان والتصديق بالقرآن، ولا بد من العمل بالقرآن عقيدةً وأحكاماً ونظاماً.

فالإنسانية العاثرة المنتكسة، الإنسانية الحائرة المتدهورة، الإنسانية التائهة المعوجة في هذا الزمن ليس لها اليوم ولا بعد اليوم منقذ ولا مغيث، إلا هذا الحق الذي جاء به محمد رسول الإنسانية كلها، رسولها أجمع، رسول ربِّ العالمين محمد بن عبد الله عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

فما جاء به الرسول كتاباً وسُنَّة، هو الذي يغيث البشرية وينقذها من شرورها المتطاحنة، وويلاتها المهلكة وخلاعتها الماجنة، وفسادها الذي بلغ الغاية، وحدث ولا حرج عن بعدها عن مناهج الحق والصواب، وحدث ولا عتاب وعن ظلمها وجورها وضياع حقوقها، وذلك من جراء تحكيم القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، فلا بد من الإيمان بالحق والعمل به.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣].

وبسبب ترك الحق وتحكيم القوانين، المخالفة لشريعة الإسلام، ضاعت الحقوق، وشاعت الفوضاء، وفسد المجتمع.

و﴿ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١١].

والجزاء من جنس العمل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

وإذا لم تؤمن البشرية بالقرآن وتعمل بالقرآن فهي والله في عناء وشقاء، وفي تعاسة وحيرة وارتباك، وفي ظلام دامس وشر مستطير، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠].

وما من شكٍّ بأن القرآن حق، وحيث كان كذلك فمن قال به صدقَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

ومن آمن بالقرآن وعمل به فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، نعم، تقدمت الإشارة بأن الله سمى القرآن حقّاً، أما عدد الآيات التي سمى الله بها القرآن حقّاً فهي إحدى وستون آية، وإلى طلاب الحق والعاملين بالحق والداعين إليه سبع آيات من إحدى وستين آية، ونسأل الله من فضله الهداية.

قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ

فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [يونس: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠].

وهذه الآية الكريمة هي من الآيات الدالة على عموم رسالة الرسول ﷺ، ويأتي ذلك إن شاء الله في مبحث مستقل.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [المائدة: ٨٤].

ومن كذب بالقرآن فله التهديد والعذاب الأكيد.

قال جلَّ وعلا: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنعام: ٤، ٥].

وقد توعد الله المكذبين بالقرآن بنار السعير.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود: ١٧].

❁ ❁ ❁

القرآن تذكرة وذكرى

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن الكريم والدستور الحكيم والنبراس العظيم: ذكراً وتذكرة في خمسة وخمسين موضعاً، هذا الذي يسر الله إحصاءه، ويحتمل يوجد أكثر من هذا العدد.

ويقيناً لا يعتريه شك، بأن القرآن العزيز ذكر وتذكير، فهو في نفسه ذكر بل هو من أفضل الذكر، فتلاوة القرآن من أفضل ما يذكر اللهَ به الذاكرون.

أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الرب ﷻ: مَن شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**». وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب[1].

فالقرآن الكريم ذكر وتذكير، هو الذكر نفسه، والآمر بالذكر والمرغب فيه والداعي إليه هو بذكره وتذكيره.

الباعث على كل خير وفضيلة، والمحذر والناهي عن كل شر ورذيلة.

والقرآن كما هو ذكر فهو تذكار وتذكير؛ فهو مذكر بعظمة الله وبآلاء الله وأسمائه وصفاته، ومذكر بدين الله وشرعه وحكمه وأحكامه، ووعد الله ووعيده، وأمره ونهيه وجزائه وعقابه.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، والدارمي في مسنده (٣٣٥٦)، وضعَّفه الألباني.

نعم؛ القرآن الكريم هو الذكر والتذكير، هو الذكر الحكيم والنور المبين، فهو في نفسه ذكر؛ لأن من قرأه أو شيئاً منه فله بكل حرف عشر حسنات، وحروف القرآن تقارب ثلاثمائة ألف حرف (٣٠٠٠٠٠).

وهو الذي بتذكيره، يحرك المشاعر ويحفز الهمم ويثير الحماسة ويلهب الشجاعة، وينير القلوب، ويشوق النفوس إلى ما أعد الله لها من النعيم المقيم في الدرجات العلى.

تذكير القرآن هو الذي جعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، هو الذي جعل صحابة الرسول والتابعين لهم بإحسان، رهباناً في ليلهم أُسُوداً في ميادين الحروب في نهارهم.

تذكير القرآن هو الذي جعل عباد الله المتقين لا يخافون في الله لومة لائم هو الذي جعلهم يقولون الحق ولو كان مُرّاً.

تذكير القرآن هو الذي جعل عباد الله يخافون من عقاب الله.

فذكر بالقرآن من يخاف وعيد

تذكير القرآن هو الذي جعل المؤمنين وعباد الله الصالحين، يستقيمون على الهدى والمنهج القويم والصراط المستقيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

تذكير القرآن هو الذي جعل المؤمنين، يتخلقون بالأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة.

وحيث أن القرآن هو سياط القلوب تارة، وفرحها وسرورها واستبشارها تارة أخرى.

فإلى المسلمين عموماً، وإلى المذكرين والمرشدين والدعاة

والمصلحين خصوصاً سبع آيات من خمس وخمسين آية، والله ولي التوفيق:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦]، ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٧ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

والتذكير لغة: هي الموعظة.

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وحكى الله عن كفار قريش أنهم قالوا منكرين ما جاء به الرسول.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾﴾ [ص: ٨].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩]، فالقرآن الكريم تذكرة، وتذكير.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه: ١ ـ ٤].

وفي سورة المدثر: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ [عبس: ١١، ١٢]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٨]، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩].

اللَّهُمَّ اجعلنا من المتذكرين الذاكرين، ومن عبادك الصالحين، واجعلنا اللَّهُمَّ من أهل القرآن الذين هم خاصتك يا ربِّ العالمين: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: ٥٣].

اللَّهُمَّ أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللَّهُمَّ اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللَّهُمَّ صل على محمد وآله وصحبه.

والرسول ﷺ سمى القرآن ذكراً، فقال: «**هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم**». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي[1]، ويأتي إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه أحمد (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، والدرامي (٣٣٧٤)، وضعَّفه الألباني.

القرآن هدى

والله جَلَّ شأنه، في سبعة وأربعين موضعاً من القرآن، سمَّى كتابه العزيز: هدى، والهدى لغة هو: البيان والتوفيق.

ولا يشك مسلم ولا يرتاب عاقل بأن القرآن الكريم هو الهدى؛ هو الهدى من الضلالة والعمى، هو الهدى حقيقة ومعنى، هو الهدى من الكفر والنفاق، هو الهدى من الظلم والاعتداء، هو الهدى من الحيرة والارتباك.

هو الهدى من الفسق والجور، هو الهدى من العناء والشقاء، هو الهدى من كل محنة وبلاء، هو الهدى من الشرك والشك والريب، يهدي هذا القرآن إلى سبيل الرشاد، يهدي للتي هي أقوم.

يهدي القرآن الكريم والنبراس العظيم البشرية كلها في كل زمان ومكان، إلى ما به عزها، وفخرها ومجدها وخيرها وطمأنينتها وراحتها في الدنيا، وسعادتها في الآخرة، وقد اهتدى القرآن من تطلب الهداية وترسم خطى المهتدين.

نعم؛ اهتدى بالقرآن من كانوا غرة في جبين الدهر، اهتدى بالقرآن وسُنَّة الرسول عليه من ربه السلام من زانت بهم الدنيا واستنارت بهم أرجاؤها.

اهتدى بالقرآن العزيز الجيل المثالي، صحابة الرسول والتابعون لهم بإحسان، والجزاء من جنس العمل، لما عملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم،

عقيدةً وأحكاماً وعبادة ونظاماً، كانت لهم الدنيا عزّاً وفخراً وسياسة وحكماً، وكانت لهم الآخرة سعادة ونعيماً وأمناً.

ويا ليت أولاد المسلمين وشباب الإسلام يقرؤون التواريخ الإسلامية الزاخرة بالعز والنصر، والشرف والمفاخر، حتى لا ينخدعوا بالدعايات المضللة، الدعايات المسمومة، دعايات الشرق والغرب، دعايات الماسونية اليهودية، ودعايات الشيوعية، والاشتراكية، ودعايات الإلحاد والفساد.

يا حبذا ويا ليت شباب الإسلام يعرفوا دينهم، ويعرفوا شريعة الإسلام، ويا ليت المسلمين عموماً يعرفوا محاسن دينهم، ومزايا شريعتهم، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

نعم؛ القرآن الكريم هدى، والواقع شاهد بهذا؛ فقد اهتدى بهذا القرآن ملايين الملايين، من خلق الله، اختياراً وعن طواعية لمزايا الإسلام ومحاسنه.

فالشريعة الإسلامية ميادينها فسيحة وأرجاؤها واسعة تسع كل مخلوق عقيدةً وحكماً ونظاماً، الشريعة الإسلامية التي قاعدتها وأصلها الأصيل هو كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، فيهما حلٌّ لكل مشكلة من مشاكل الحياة.

الشريعة الإسلامية هي في صالح الإنسانية كلها، فهلم يا قوم، هلم يا عباد الله، وهلم يا مسلمين، وهلم يا شباب الإسلام، هلم إلى العز والشرف والفخار، هلم إلى دروب السلامة، وهلم إلى ساحل الأمن والاطمئنان.

وهلمّ يا طلاب العلم وطلاب الحق والحقيقة، وهلم يا قادة الفكر الإسلامي، وهلم يا زعماء المسلمين، هلمّ جميعاً نلم شعثنا ونجمع شملنا ونقيم اعوجاجنا، وذلك لا يكون إلا بالعمل بكتاب ربنا وسُنَّة نبينا عليه من ربه أزكى سلام، وأتم تسليم.

وحيث أن القرآن هو الهدى والنور والشفاء، فإلى كل مسلم سبع آيات من سبع وأربعين آية، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فالله جَلَّ شأنه في هذه الآية سمى القرآن بستة أسماء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف: ٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥].

أما الهدى عموماً فقد ذكره الله في القرآن في أكثر من مائة وثلاثين آية، ويأتي إن شاء الله تعالى، والهداية على نوعين: هداية إعانة وتسديد وتوفيق، فهذه لله خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، الثانية: هداية الدلالة والبيان فهذا للرسول، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال في «القاموس»: الهدى بضم الهاء وفتح الدال: الرشاد والدلالة[1].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧].

---

(١) القاموس المحيط (١/ ١٣٤٥).

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح: ٢٨].

وقال تقدس اسمه: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨].

اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى، وزيِّنَّا بالتقوى، واغفر لنا في الآخرة والأولى.

❁ ❁ ❁

القرآن وحي

الله تعالى سمَّى القرآن: وحياً في خمس وأربعين (٤٥) آية.

يقيناً لا يعتريه شك بأن القرآن وحي منزل من عند الله، وحي تكلم الله به حقيقة، فليس بسحر، ولا كهانة، ولا مكذوب، ولا بأساطير الأولين، كما قال كفار قريش، وليس بمخلوق كقول الجهمية والمعتزلة.

وليس القرآن حكاية عن كلام الله، كما تقول الكلابية.

وليس القرآن عبارة عن كلام الله، كما تقوله الأشعرية، وليس القرآن فيضاً فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها وقبولها؛ كقول الفلاسفة أتباع أرسطو.

وليس القرآن من كلام محمد ولا تفكير محمد، ولا من عبقرية محمد، كما قاله بعض الزنادقة، وقاله أيضاً بعض المستشرقين، كل هذه الأقوال زور وباطل، كلها هذيان ما أنزل الله بها من سلطان، كلها قول على الله بلا علم.

وكل قول مبتدع في دين الإسلام سببه تحكيم عقول الرجال، دون تحكيم الشرع، وبسبب تحكيم العقل في ذات الله وفي صفات الله ضل من ضل.

وبسبب تحكيم العقل ينفتح باب علم الكلام على مصراعيه، ومنتهى الأمر وآخر المطاف، هو الحيرة والشك، والذين يحكمون بالقوانين الوضعية، المخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، سبب زيغهم

وإلحادهم وكفرهم وضلالهم، هو تحكيم العقول، دون تحكيم المنقول.

ونتحف القراء الأفاضل، بنموذج من أحوال الذين حكموا عقولهم، وسرحوا أفكارهم في علم ما لا علم لهم به، ولم يسلموا لنصوص الكتاب والسُّنَّة، وخاضوا بحار الكلام في ذات الله، وفي أسمائه وصفاته، قال المخبر عن القوم، قال المخبر عن علماء الكلام، وهو الفخر الرازي.

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[1]

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ۝١١٠﴾ [طه: ١١٠]، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[2]، هذا كلام الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حكاية عن نفسه، وعن غيره من علماء الكلام.

فلا بد من القبول والرضا والتسليم لنصوص كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، ولا بد من الإيمان والعمل بها، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٤٦٨).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٦٠).

بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠].

نعم؛ القرآن الكريم هو كلام الله لا كلام غيره، هو كلام الله حروفه ومعانيه، فليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف.

فجبريل عليه السلام تلقَّى القرآن من الله سماعاً، وسمعه محمد ﷺ من جبريل وصحابة الرسول سمعوه منه عليه من ربه السلام، فوصل إلينا بأمانة وضبط وإتقان، والحمد لله ربِّ العالمين.

والكلام لله تعالى صفة كمال لا صفة نقص.

ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أن الله جَلَّ شأنه تكلم في الأزل، ويتكلم فيما لم يزل، تكلم تعالى ويتكلم متى شاء كيف شاء، والكلام لله تعالى من الصفات الذاتية والفعلية معاً.

والقول والكلام لله تعالى ثابت في القرآن في مائتين وخمسة وسبعين موضعاً، هذا الذي يسر الله إحصاءه، ويحتمل يوجد في القرآن أكثر من هذا العدد، أما النداء من الله تعالى فثابت في القرآن في ثلاث عشرة آية، والنداء لا يكون إلا بحرفٍ وصوت، كما هو معروف وقد خاب من افترى.

فالقرآن الكريم وحي الله المنزل، وليس بمخلوق، وعلماء الإسلام والمسلمين، صرحوا بكفر من قال بخلق القرآن، وحيث أن آيات القرآن هي الحجة والبيان فإلى الدعاة إلى الحق، والمناضلين عن عقيدة الإسلام سبع آيات من خمس وأربعين (٤٥) آية، والله ولي التوفيق.

نعم؛ القرآن وحي الله المنزل.

قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ

فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم: ١ ـ ٩].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٢].

وتقدم قريباً تعريف الوحي وكيفياته.

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧ ـ ١٠٨].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة**»(١). متفق عليه.

وقال جلَّ شأنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [يونس: ١٠٨، ١٠٩].

هذه هي الأدلة وهذه هي البراهين، والله ولي المتقين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

القرآن صراط مستقيم

والله تقدس اسمه، سمَّى القرآن الكريم: صراطاً مستقيماً، في ثلاث وثلاثين آية، والصراط هو: الطريق الموصل إلى الغاية المطلوبة، والمستقيم هو: الذي لا اعوجاج به.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمعت الأمة من أهل التأويل على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وذلك في لغة جميع العرب[1]. اهـ.

وقد روى الإمام أحمد والترمذي والدارمي في «سننه»، واللفظ له عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**سَتَكُونُ فِتن**». فَقُلْتُ: ومَا المَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: «**كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، هو الذي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وهُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ أن قَالُوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، **هو الذي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى**

(١) تفسير الطبري (١/ ١٧٠).

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[١].

وفي سياق آخر للدارمي، عن علي رضي الله عنه قال: قيل: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، قالَ: فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ ـ أَوْ سُئِلَ ـ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: «**كِتَابُ الله الْعَزِيزُ الَّذِي** ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، **مَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ فقد أَضَلَّهُ الله، وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ الله، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**». هذا سياق الدارمي، وبعض العلماء يرى أن هذا الحديث موقوف على علي رضي الله عنه[٢].

وأخرج ابن المنذر، وعبد بن حميد والبيهقي في «شعب الإيمان» والحاكم وصححه، عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة: ٦]، قال: هو كتاب الله[٣].

وبهذا القول قال كثير من العلماء، ولا تنافي بين هذا القول وقول من قال: هو الإسلام أو الرسول؛ لأن كتاب الله هو قاعدة الدين الإسلامي، ومصدره الأول، وأصله الأصيل، والمراد بالرسول طاعته، وهي متوقفة ومنوطة بالإيمان بكتاب الله والعمل به.

وما من شكٍّ بأن القرآن الكريم صراط مستقيم؛ لأنه هو نقطة الاتصال بين الله وبين عباده، فمن آمن بالقرآن وعمل به، فقد استقام على الطريق الأمثل، وهو المنهج القويم، والصراط المستقيم، وبذلك يصل إلى رضوان الله، والفوز الأكبر والنعيم المقيم في جنات عدن.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٠٤)، والترمذي (٢٩٠٦)، وضعَّفه الألباني.

(٢) سنن الدارمي (٣٣٧٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٣٠٢٣)، والبيهقي في الشعب (١٧٩٠).

والقرآن صراط مستقيم؛ لأنه جاء بالعدل، وأمر به وحث عليه، ورغب فيه، فأمره ونهيه عدلٌ، وحكمه وأحكامه قد بلغت الغاية في العدل، وترغيبه وترهيبه، ووعده ووعيده، وأخباره وأقاصيصه وأمثاله، وجميع ما أودعه الله من كنوز الحكمة كله في صالح الإنسانية، كله عدل وإنصاف، وضد العدل؛ الظلم والجور.

ولضرورة كل إنسان إلى هداية الله، شرع الله لعباده أن يسألوه في كل صلاة أن يهديهم صراطه المستقيم، وأن يثبتهم عليه، وحيث أن آيات القرآن هي الحجة والبيان، فإلى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، سبع آيات من ثلاث وثلاثين آية، ونسأله تعالى التسديد والتوفيق والهداية.

قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝١٢٦ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٢٧﴾ [الأنعام: ١٢٦، ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥﴾ [يونس: ٢٥].

وقال في «القاموس»: الصراط بالكسر الطريق[1].

وقال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥

(١) ترتيب القاموس المحيط (٢/ ٨١٤)

يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال جَلَّ شأنه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٤].

هذا هو الحق والبرهان، والنور والهدى، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

❁ ❁ ❁

القرآن تبيان وبينات

الله جَلَّ وَعَلَا، سمَّى القرآن الكريم: تبياناً وبينات، في ثلاثين آية، ويحتمل يوجد أكثر من هذا العدد؛ لأن القرآن كلام الله، فهو كنز الحكم، ومعدن الأحكام، ومصدر كل خير وفضيلة.

وفي القرآن العزيز الهدى والشفاء، فيه البيان البيِّن الواضح الجلي، جلي المعاني قوي المباني، لا لبس فيه ولا خفاء ولا غموض.

في القرآن بيان لكل ما يحتاجه بنو الإنسان في حياتهم الاجتماعية، بأروع عبارة، وأجمع أسلوب، وأبين بيان.

في القرآن بيان كل شيء من البداية إلى النهاية، حتى يستقر أهل الجنة في نعيمهم وأهل النار في جحيمهم.

نعم؛ وعزة ربي القرآن الكريم بيان، وبينات وهدى، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: ٢٦].

فمعرفة الله ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يجب له تعالى وما لا يجب، والعقيدة الإسلامية، وأحكام العبادات والمعاملات، وجميع الشؤون الاجتماعية، والأحوال الشخصية، وكل ما تحتاجه المجموعة البشرية، في كل زمان ومكان، وأحكام المعاد والبعث والنشور، والحساب والجزاء والعقاب، وغير ذلك هو مبين وموضح في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وصدق الله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]،

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢]، ويأتي لذلك تتمة إن شاء الله في شرح الآيات، والله الموفق وهو المعين.

وإلى المحبين للقرآن والعاملين به، سبع آيات من ثلاثين آية:

قال جلَّ شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [النور: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ [النور: ٤٦].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [الأحقاف: ٧].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [غافر: ٦٦].

هذه هي الأدلة والبراهين، والله غني عن العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

القرآن صدق ومصدق

سمَّى الله القرآن العزيز: صدقاً ومصدقاً وتصديقاً، ذكر الله تعالى في اثنتين وعشرين آية من آي الذكر الحكيم.

والصدق ضد الكذب، وقد ذكر الله الصدق في القرآن وأمر به وحث عليه ورغب فيه، في مائة موضع وتسعة مواضع، هذا الذي بمنة الله وإعانته يسر الله إحصاءه.

ولا شك ولا مراء بأن القرآن الكريم هو عنوان الصدق، ومصدر الصدق وقاعدته، والآمر بالصدق والمرغب فيه.

فهو في نفسه صدق فليس بمكذوب ولا مفترى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

والقرآن مصدق لما بين يديه، من الكتب السماوية؛ كالتوراة والإنجيل، ومعنى ذلك: أن القرآن يوافق ما جاء في الكتب السماوية التي أنزلها الله لهداية البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور.

ويصدق القرآن ما جاء فيها من وجوب توحيد الله وإفراده بالعبودية والدعوة إلى ذلك، ووجوب العمل بكل ما أمر الله به ـ وإن خالفها ـ، ونسخ بعض أحكامها الفروعية.

فالله تعالى وصف القرآن بالصدق والتصديق، ووصفه تعالى بالرحمة والهدى والشفاء، وحيث كان القرآن حقّاً وصدقاً، فيجب الإيمان به، ويجب العمل به، ويجب الرضا بالقرآن دستوراً ونظاماً ومصدر تشريع.

وإذا لم تعمل أمة الإسلام بالإسلام فقل على الحياة العفاء، وعلى أمة الإسلام السلام، وحيث كان القرآن هو نبراس الطريق، ومشعل الهداية، وحصن السلامة والأمن، فإلى كل مسلم غيور على عقيدته ودينه وأخلاقه سبع آيات من اثنتين وعشرين آية، والله ولي الهداية ومنه تعالى التوفيق.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

قال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥].

اللَّهُمَّ اجعلنا من عبادك المخلصين الصادقين، وبالصدق واليقين تنال الإمامة في الدين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

القرآن مفصل وفصل

وصف الله القرآن وسمَّاه: مفصلاً في ثمان عشرة آية، والتفصيل هو: التوضيح والتبيين، فالقرآن الكريم سور محكمات، والسور آيات، والآيات حروف وكلمات، والجميع مفصل؛ فصل الله جَلَّ شأنه آيات القرآن.

فصلها تعالى تفصيلاً متقناً بيناً واضحاً جليّاً، فلا غموض ولا خفاء ولا لبس فيها، آيات بينات الدلالة، واضحات المعاني، فليست بألغاز ولا رموز ولا أحاجي، آيات مفصلات، هي مصادر الحِكَمِ والأحكام، وينبوع العلوم والعرفان.

فصلها تعالى لعل وعسى، لعل الذين عشوا عن الحق وعن ذكر الله تنقشع عن أبصارهم وعن بصائرهم غياهب الظلام، ويستبين لهم طريق الهدى والرشاد؛ علهم يروا الحق حقّاً فيتبعوه ويروا الباطل باطلاً فيجتنبوه، وعسى بتفصيل آيات القرآن، تلين القلوب المتحجرة التي غلب عليها الأشر والبطر والغرور والغطرسة، فترجع عن غيها فتؤمن بربها، وتحكم بشريعة الإسلام.

ولعل البشرية المتمردة الضالة بالقرآن، وما فيه من بيان وتفصيل، تسلك طريق السلامة، وتنصاع إلى ميادين القرآن الفسيحة، فتؤمن وتبصر وتعمل بما فيه فخرها وعزها في الدنيا، وسعادتها في الآخرة.

فصل الله آيات القرآن بأروع بيان وأجمل تفصيل؛ إقامة للحجة

وقطعاً للمعذرة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، فبالقرآن وتفصيلاته أنذر الله وأعذر، وصدق الله: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فالله جَلَّ شأنه أنزل القرآن، وبيَّن معانيه وفصل أحكامه؛ ليكون دستوراً ومنهج تشريع لكل أمة، ولكل جيل في كل زمان ومكان.

والمحنة كبرى والمصيبة عظمى، أكثر خلق الله في أرض الله، تركوا كتاب الله، تركوه حقيقة ومعنى، تركوه بالقول والفعل، تركوا الذي به خيرهم وسعادتهم، في الدنيا والآخرة، وزاد الطين بلة، أكثر أهل القرآن تركوا القرآن، أكثر المسلمين أكثرهم إلا ما شاء الله، تركوا الذي به عزهم وسعادتهم.

تركوا تراثهم وفخرهم ومجدهم، تركوا إسلامهم، فحادوا عن طريق الهدى، واعتنقوا المذاهب والنحل الخبيثة الممقوتة؛ من اشتراكية، إلى أحزاب بعثية، إلى شيوعية، إلى رأسمالية، إلى قاديانية، تركوا القرآن، والقرآن خير لهم لو كان يعلمون.

تركوا المنهج القويم والصراط المستقيم، تركوا الأحكام العادلة، تركوا أحكام القرآن التي بها حفظ الحقوق، وبها صيانة المجتمع من الشذوذ والانحراف والفساد، تركوا الذي به الصلاح والإصلاح، تركوا الأحكام الإلٰهية، والتشريعات السماوية، وحكموا الأنظمة الوضعية والعادات الرومانية التي هي من عمل المخلوق للمخلوق، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل.

وحيث أن القرآن هو الحجة والبرهان، وهو البيان والتبيين، فإلى المسلمين عموماً، وإلى طلاب العلم خصوصاً، سبع آيات من ثمان عشرة آية، والتوفيق بيد الله والهداية من الله.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٧، ٩٨].

وما من شك بأن القرآن الكريم هو: القول الفصل وليس بالهزل، هو الذي سعد به من قبلنا لتمسكهم به، وسيرهم على منواله.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١١ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [التوبة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف: ١٧٤].

وقال جلَّ وعلا: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ١ ـ ٤].

اللَّهُمَّ غفرانك يا كريم، ورحمتك يا رحيم، ولطفك يا عظيم، اللَّهُمَّ اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

❁ ❁ ❁

القرآن حديث

الله تعالى اسمه، هو الذي سمَّى ما شاء ما يشاء، هو سمَّاكم المسلمين من قبل، وعلَّم آدم الأسماء كلها، وسمَّى الله القرآن: حديثاً، جاء ذكر ذلك في خمس عشرة (١٥) آية، من آي الذكر الحكيم.

وتعددت أسماء القرآن؛ لأنه جمع بين دفتيه خير الدنيا والآخرة، واحتوى على العلوم النافعة، التي بها سعادة الإنسانية أجمع، يعرف ذلك من تفهم القرآن وتدبره، وتخلى عن التعصب والهوى، وكان هدفه الحق والصواب: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩].

نعم؛ سمَّى الله القرآن حديثاً، والحديث لغةً: هو الخبر وما يتحدث به، قال في «مختار الصحاح»: الحديث الخبر قليله وكثيره، وجمعه أحاديث[١]، وقال في «المصباح المنير»: والحديث ما يتحدث به وينقل[٢].

فالله جَلَّ وَعَلَا سمَّى القرآن حديثاً وسماه قيلاً: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

وفي ذلك حجة قاطعة، وبرهان ساطع، ودليل واضح جلي، على أن القرآن كلام الله تكلم الله به حقيقة، فليس بمخلوق ولا مفترى، وليس بسحر ولا كهانة، ولا بأساطير الأولين، وقد تعس وخاب من افترى، وقال على الله بلا علم.

---

(١) مختار الصحاح (ص٦٨).

(٢) المصباح المنير (١/ ١٢٤).

فالقرآن حديث تحدث الله به، حديث عظيم، حديث شريف، حديث كله عجب وأعاجيب، كله جمال وبهاء، كله حكم وأحكام، كله ترغيب وترهيب ووعد ووعيد، كله في صالح العبيد، كله هداية وإرشاد وبيان للمراد، كله عقيدة وشريعة.

كله في صالح البشرية في دنياها وأخراها، القرآن الكريم حديث لذيذ شائق مستطاب، حديث لا كان ولا يكون مثله، حديث لا كذب فيه ولا زور ولا خلل ولا عيب، ولا زيادة ولا نقصان، كما يكون في كلام البشر، حديث يحيي القلوب، ويشوق النفوس، ويحرك المشاعر، ويحفز الهمم إلى كل خير وفضيلة، حديث بترديده لا يمل ولا تمجه الأسماع، حديث ما قاله الله ولا أنزله إلا ليفهم ويعمل به، ما أنزل الله القرآن إلا ليكون نظاماً ودستوراً لكل فرد ولكل مجتمع، في كل زمان وفي كل مكان، ومن لم يؤمن بالقرآن ويعمل به، فهو أضل من حمار أهله، بل هو كافر بالله العظيم، وإلى أهل القرآن والعاملين به، سبع آيات من خمس عشرة آية، ونسأل الله التوفيق والتسديد والهداية.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية: ٦].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤].

وقال تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾ [الكهف: ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ۝٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۝٦٢﴾ [النجم: ٥٩ ـ ٦٢]

وهذه الآية الكريمة من أدلة تحريم الغناء والأغاني؛ لأن السمود في لغة قبيلة حمير: هو الغناء والأغاني؛ ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ۝٨١﴾ [الواقعة: ٧٧ ـ ٨١].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝٥٠﴾ [المرسلات: ٤٩، ٥٠].

هذه هي البراهين، وهذه أعلام الهدى، فهل من سامع، وهل من مدكر، اللَّهُمَّ صلِّ وبارك على النبي، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

القرآن رحمة

القرآن رحمة، رحمة من الله، رحمة من أرحم الراحمين، رحمة من رب عظيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، رحمة من رب كريم يجود بالنوال قبل السؤال، وقد سمى الله القرآن رحمة في خمس عشرة (١٥) آية.

وقد سمَّى الله نفسه في كتابه العزيز: رحيماً في مائة موضع وتسع عشرة موضعاً، وسمَّى الله نفسه: رحماناً في سبعة وخمسين موضعاً من القرآن، ويأتي ذلك إن شاء الله تعالى في الجزء الثاني في معرض الكلام على أسماء الله الحسنى.

والله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: رحمة، وهو اسم مطابق لمسماه، رحمنا الله وأنالنا رحمته التي وسعت كل شيء، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، والرحمة في لغة العرب: هي الرقة، والتعطف، والحنان.

والرحمة من الله على نوعين: رحمة عامة لكل مخلوق، ورحمة خاصة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤٣]، والرحمٰن اسمه تعالى، والرحمة صفته، ومعتقد أهل السُّنَّة والجماعة يثبت لله ما أثبته لنفسه، من غير تشبيه، ولا تكييف، ولا تعطيل.

فالله تعالى أثبت لنفسه الرحمة وأثبت للمخلوق رحمة، وليست الرحمة كالرحمة، فرحمة الله تليق بعظمته، ورحمة المخلوق تليق بحاله، وقد أنكر الجهمية والمعتزلة والأشاعرة صفة الرحمة لله، وهم محجوجون بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة، نقل القرطبي على قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ

ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]، وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة: فضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن[١].

وقال ابن الجوزي ما معناه: عن ابن عباس: المراد بالرحمة القرآن، واختاره الزجاج[٢]. نعم؛ وعزة ربي لا يشك عاقل ولا يرتاب مسلم بأن القرآن المجيد رحمة.

وبعدما طال الزمن، وتقادم العهد عن رسالات السماء، وتنكبت البشرية طريق الهدى، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، وصار الخلق في حيرة وارتباك، وفي ظلام دامس وشر مستطير، وفي جاهلية جهلا وهمجية عميا، وعبد المخلوق مخلوقاً مثله.

وحدِّث ولا حرج عن الظلم والجور والفساد، حينئذٍ رحم اللهُ، رحم أرحمُ الراحمين، فأرسل تعالى رسالة عامة لكل مخلوق مكلف من الجن والإنس، أرسل تعالى خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ، وأنزل عليه آخر كتاب سماوي، أنزل عليه هذا القرآن الكريم، الذي سماه الله هدى، وسماه شفاءً، وسماه بصائرَ، وسماه حكمةً، وسماه رحمةً.

نعم؛ وبالله هو رحمة أرحم الراحمين للخلق أجمعين، فهو رحمة من الكفر والشرك والنفاق، ورحمة من الظلم والفسوق، ورحمة من الجور والطغيان، ورحمة من زيغ القلوب وأمراضها رحمة من الشهوات والشبهات، ورحمة من التمرد والخلاعة والمجون، ورحمة من كل فتنة ومحنة وشر وبلاء، ورحمة من الهمِّ والغم، ومن عذاب السعير.

ومعنى ذلك أن من آمن بالقرآن، وعمل بما جاء به القرآن، عافاه الله وسلم من كل ما تقدم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ

(١) تفسير القرطبي (٨/ ٣٥٣).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٥٣).

لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال: ٣٨]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

والجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً، فمن آمن بالقرآن وعمل به جعل الله له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل بلاء عافية ورزقه من حيث لا يحتسب.

وحيث أن القرآن شفاء ورحمة وهدى، فإلى المسلمين عموماً، وإلى الدعاة إلى الله والمصلحين خصوصاً، سبع آيات من خمس عشرة آية، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأنعام: ١٥٧].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧].

فالقرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة للمؤمنين.

وقال عزَّ من قائل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء: ٨٢].

ومِن: لابتداء الغاية، وهي لبيان الجنس، وقيل: للتبعيض.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل: ٧٦، ٧٧].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الجاثية: ٢٠].

هذه هي الأدلة والبراهين، وهذه هي الرحمة والبصائر، ومن استبصر فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، اللَّهُمَّ رحمتك يا رحيم، ولطفك يا عظيم، اللَّهُمَّ صلِّ على نبيك الكريم، وعلى آله وصحابته أجمعين.

❁ ❁ ❁

القرآن نور

بسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أكبر، ولا إلٰه غيره تعالى، القرآن الكريم كلام ربِّ العالمين، هو النبراس العظيم، هو النور حقّاً، هو النور الساطع والبرهان القاطع.

نور يتلألأ، نور لا كالأنوار، نور يا له من نور، نور لا أقول له، ولا يعتريه اضمحلال، نور ينير الطريق للسالكين، نور يهتدي به كل تائه وحيران، نور أطل من العلى على كل الملأ، نور أشعته تشفي من أمراض الشهوات والشبهات.

نور أشعته مترامية فوق دنيا البشرية، نور يحرق المغالطات، نور أضاء من رب الأرض والسماوات، نور وهاج يضمحل به اللجاج والحجاج، نور أعشى ويعشي كل خفاش، نور ترتاح له نفوس المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات.

نور يشير إلى طريق الأمن ومدرج السلامة، وقد سمى الله القرآن نوراً، في (١٢) اثنتي عشرة آية، حقّاً والحق يقال، والحق أحق أن يتبع، وماذا بعد الحق إلى الضلال.

القرآن المجيد هو النور، نورٌ شع في آفاق المعمورة، نور استضاء به صحابة الرسول ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، فكانت لهم الدنيا مجداً وفخراً وعزّاً ونصراً، وكانت لهم الآخرة سعادة وفوزاً وأمناً.

والأسف شديد، والمصيبة عظمى، القرآن العزيز نور، نور في هذا

الزمن ما استضاء به أهله، إلا أقل القليل، أكثرهم تباعدوا عن هذا النور كتباعد الحمر من قسورة، فتاهوا في المفاوز المهلكة، ووقعوا في الهوة المظلمة، تدهوروا اعتقاداً وأخلاقاً، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، وصدق الله: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

القرآن الكريم نور عظيم وكنز ثمين، أضاعه أهله فضاعوا، لا مرية والله ولا شك بأن من ترك العمل بالقرآن، فهو في ليل حالك وظلام دامس، وفي عناء وشقاء وشر مستطير، مهما كان وأين كان، ولو كان من كان.

قال القرطبي على قوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: ١٧٤]، والنور المنزل هو القرآن، وسماه نوراً؛ لأن به تتبين الأحكام ويهتدى به من الضلالة، فهو نور مبين؛ أي: واضح بيِّن[1].اهـ.

فهلمَّ يا قوم، هلم يا أمة الإسلام، هلم يا شباب الإسلام، هلم نتدارك أمرنا، ونلم شعثنا، ونجمع شملنا، هلم إلى عز الدنيا وسعادة الآخرة، وهذا لا يكون إلا بالإيمان بالقرآن والعمل به، حقق الله ذلك بمنِّه وكرمه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨].

فمن آمن وعمل بما جاء به الرسول ﷺ، كتاباً وسُنَّة، حصل له من آثار هذا النور، نور في نفسه، ونور في بصره وبصيرته، ونور في عباداته ومعاملاته، ونور في إرادته وتفكيره، ونور في قوله وفعله، ونور في سمعه وقلبه، فتكون حركاته وسكناته، وأقواله وأفعاله كلها في الله وبالله ولله، والتوفيق بيد الله.

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ٢٧).

نعم؛ القرآن نور وهدى، أنزله الله لإخراج الإنسانية من الظلمات إلى النور، من ظلمات الكفر والظلم والفسوق والجور والطغيان، إلى نور العلم والإيمان والإسلام.

وهذا النور الذي هو في صالح البشرية جمعاً، وجدت المحاولات لإطفائه، محاولات بالقول والفعل، محاولات ماكرة، محاولات في مكة من كفار قريش، ومحاولات في المدينة من اليهود، ولكنها محاولات والحمد لله باءت بالخسران والخيبة والفشل، ولم يخل عصر من عصور هذا الزمن، من مكر وخداع ومحاولات ضد العقيدة الإسلامية، وضد الإسلام والمسلمين، محاولات متكتلة، محاولات في كل يوم.

محاولات تعمل بجد ونشاط للقضاء على الإسلام نهائيّاً، محاولات في هذا الزمن، من الماسونية واليهودية، ومن الشيوعية الاشتراكية، ومن جمعيات التبشير لدين النصرانية، فتنبهوا يا قوم، واستيقظوا يا نيام.

تنبَّهوا وخذوا حذركم يا شباب الإسلام، الحيل تحاك، والشباك تنصب؛ لإبعاد المسلمين وشباب الإسلام عن عقيدتهم ودينهم وتراثهم وقيمهم وأخلاقهم، بل ولإبعاد المسلمين عن ممالكهم وبلادهم، كما أبعدوا أهل فلسطين عن فلسطينهم، نعم، مكر بلا هوادة، ومحاولات جادة لإطفاء نور الله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢].

وحيث أن القرآن هو الهدى والنور، فإلى المسلمين عامة، وإلى العلماء وشباب العلم خاصة، سبع آيات من اثنتي عشرة آية.

قال جلَّ شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، إلى قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال جلَّ وعلا: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨﴾ [التغابن: ٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨﴾ [الحج: ٨].

وقال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ [آل عمران: ١٨٤].

وقد وصف الرسول ﷺ القرآن بالنور، أخرج مسلم في «صحيحه» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران**»[1].

وعن عبد الله بن عباس، قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٤).

سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»(١). رواه مسلم.

وعن علي رضي الله عنه، قال: قيل: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أُمَّتَكَ سَتُفْتَتَنُ مِنْ بَعْدِكَ، قالَ: فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ ـ أَوْ سُئِلَ ـ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا؟ قَالَ: «**الْعَزِيزُ الَّذِي** ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، **مَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ فقد أَضَلَّهُ الله، وَمَنْ وَلِيَ هَذَا الأَمْرَ مِنْ جَبَّارٍ فَحَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ الله، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، فِيهِ خَبَرُ مَنْ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأُ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ الَّذِي سَمِعَتْهُ الْجِنُّ فَلَمْ تَتَنَاهَى أَنْ قَالُوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢]، **وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقَضِي عِبَرُهُ، وَلَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ**»(٢). رواه الدارمي في «سننه» واللفظ له، ورواه الترمذي في «صحيحه»، ويرى بعض العلماء أن الحديث موقوف على علي رضي الله عنه، والعلم عند الله تعالى.

وقال الدارمي: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حدثنا أَبُو حَيَّانَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْماً خَطِيباً فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله، فِيهِ الْهُدَى**

---

(١) أخرجه مسلم (٨٠٦).

(٢) سنن الدارمي (٣٣٧٥).

وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ الله وَخُذُوا بِهِ، فَحَثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَأَهْلَ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ الله فِي أَهْلِ بَيْتِي» ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[١] ـ.

وقال الدارمي في «سننه»: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ ـ هُوَ: الْهَجَرِيُّ ـ عَنْ أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ الله، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ الله، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَزِيغُ فَيَسْتَعْتِبُ، وَلَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ، فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] وَلَكِنْ بِـ: أَلِفٍ، وَلَامٍ، وَمِيمٍ[٢].

وأخرج الدارمي بإسناده عن أبي موسى، أنه قال: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ كَائِنٌ لَكُمْ أَجْراً، وَكَائِنٌ لَكُمْ ذِكْراً، وَكَائِنٌ لَكُمْ نُوراً، وَكَائِنٌ عَلَيْكُمْ وِزْراً، اتَّبِعُوا ـ هذا ـ الْقُرْآنَ وَلَا يَتْبِعَنَّكُمُ الْقُرْآنُ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعِ الْقُرْآنَ يَهْبِطْ بِهِ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ الْقُرْآنُ يَزُخُّ فِي قَفَاهُ فَيَقْذِفُهُ فِي جَهَنَّمَ[٣].

وأخرج الدارمي بإسناده عن كعب الأحبار، قال: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ فَهْمُ الْعَقْلِ، وَنُورُ الْحِكْمَةِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَأَحْدَثُ الْكُتُبِ بِالرَّحْمَنِ عَهْداً، وَقَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي مُنَزِّلٌ عَلَيْكَ تَوْرَاةً حَدِيثَةً، تَفْتَحُ فِيهَا أَعْيُناً عُمْياً، وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) أخرجه الحاكم (٢٠٤٠)، والدارمي (٣٣٥٨)، وضعَّفه الألباني في ضَعيف التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٨٦٧).

(٣) أخرجه الدارمي (٣٣٧١).

(٤) أخرجه الدارمي (٣٣٧٠).

أيها القارئ الكريم، هذه هي الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، وفيها المخرج من كل حالكة مدلهمة، وصلاة الله وسلامه على نبي خير أمة، وعلى آله وصحابته أجمعين، وفريضة من فرائض الإسلام التي جاء بها القرآن سماها الرسول ﷺ نوراً، قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**والصلاة نور، والصدقة برهان**»(١).

فالله جَلَّ شأنه نور السمٰوات والأرض، والشمس نور الدنيا، والقرآن نور القلوب: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النور: ٤٠]، ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

القرآن نذير

الحمد لله ربِّ العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، الله جَلَّ شأنه وتقدس اسمه سمَّى القرآن: نذيراً، سماه بذلك في إحدى عشرة (١١) آية، والنذير: المبلغ، وأنذرته: أعلمته.

وفي ستين آية سمَّى الله رسوله محمداً ﷺ: نذيراً، ويحتمل يوجد في القرآن أكثر من هذا العدد، والإنذار في لغة العرب: الإعلام والتخويف.

قال في «مختار الصحاح»: «نذر الإنذار الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف»[1]. اهـ.

وفي أكثر من خمسين آية، سمَّى الله نبيه محمداً: بشيراً، فهو عليه السلام بشير ونذير؛ بشير بكل خير ونذير من كل شر، وصدق الله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

القرآن الكريم والنبراس العظيم بشير ونذير، نذير من الكفر والشرك، ونذير من النفاق، ونذير من الجور والظلم والطغيان، ونذير من الغل والحقد والحسد.

ونذير من البدع، والمعاصي والفسوق، ونذير من الغيبة والنميمة، وقول الزور، ونذير من ترك الواجبات، وفعل المحرمات، ونذير من سخط الله وغضبه، ونذير من عذاب الله، وأليم عقابه، ونذير من الغمز والهمز واللمز، ونذير من الكبر والفخر والخيلاء.

---

(١) مختار الصحاح (ص٣٠٨).

ونذير من الحكم بغير ما أنزل الله، ونذير من الكذب والقول على الله بلا علم، ونذير من المكر والخيانة والغش، ونذير من عدم الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونذير من عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، ونذير من كل شفاء، وعناء وفتنة.

ولا بدع ولا غرابة، فالقرآن المجيد نذير بحكمه وأحكامه، ونذير بوعده ووعيده، ونذير بترغيبه وترهيبه، ونذير بفصاحته وبلاغته، ونذير بمعانيه البديعة وأساليبه الرائعة.

ونذير بحسن سياقه وجمال تركيبه، ونذير بأقاصيصه وأمثاله، ونذير بكرمه ومجده، ونذير بحلاوته وطلاوته، ونذير بتشويقه وأخذه بمجامع القلوب.

وحيث كانت بعثة الرسول ورسالته عامة لكل مخلوق، لا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين يهودي ونصراني ومجوسي، ولا بين أحمر ولا أسود، فكل من بلغته دعوة الرسول ﷺ، أو بلغه القرآن فقد قامت عليه حجة الله، فيجب عليه أن يفرد الله بالعبادة، وأن يدين بدين الإسلام: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

فكل مكلف من الجن والإنس بلغه الدين الإسلامي، يجب عليه أن يعمل به، وإن لم يفعل فمصيره إلى دار السعير، وبئس المصير.

برهان ذلك قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤]، ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن: ٢٣]، ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾﴾ [الملك: ٦].

وأخرج البخاري عن عبد الله بنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»**(١).

ويأتي إن شاء الله في مبحث مستقل عدد الآيات الدالة على عموم رسالة الرسول ﷺ، وبيان نذارات الرسول ﷺ الخاصة والعامة، وبالله التوفيق.

وحيث أن القرآن هو الشفاء والهدى، والبشير والنذير، فإلى المسلمين عامة، إلى الذين ينتفعون بالنذارة والبشارة خاصة سبع آيات من إحدى عشرة آية، ونسأل الله من فضله الهداية.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ [الأعراف: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ۝٩٧﴾ [مريم: ٩٧].

وقال جَلَّ شأنه: ﴿وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ أَئِنَّكُمۡ لَتَشۡهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخۡرَىٰۚ قُل لَّآ أَشۡهَدُۚ قُلۡ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

قال القرطبي: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: هذا الذي أنزلنا إليك بلاغ؛ أي: تبليغ وعظة، ﴿وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ﴾؛ ليخوفوا عقاب الله ﷻ(٢). اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢). (٢) تفسير القرطبي (٩/ ٣٨٥).

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

والمراد بالبلاغ هو القرآن، كما نقله ابن جرير عن ابن زيد[١].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: ٥٦].

والمراد بالنذير: هو القرآن، وبه قال قتادة وكثير من علماء التفسير[٢]، وقيل: النذير: هو الرسول، ولا منافاة بين القولين.

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ۝١٢﴾ [الأحقاف: ١٢].

هذه هي البراهين، وهذه أعلام النذر ومشاعل الهدى، ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ۝١٧﴾ [الكهف: ١٧]، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير الطبري (١٣/ ٧٤٧).

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ١٢١).

القرآن كلام الله

القرآن الكريم كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، هو كلامه تعالى حروفه ومعانيه، وليس بمخلوق ولا بمفترى، بل تنزيل من حكيم حميد، هذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة قديماً وحديثاً، وهو المعتقد السليم السالم من التحريف والتعطيل.

وقد سمَّى الله القرآن: كلاماً وكلماً وكلمات، في اثنتي عشرة (١٢) آية، أما القول والكلام لله تعالى، فأثبته الله لنفسه في القرآن في مائتين وخمس وسبعين (٢٧٥) آية، هذا الذي بمنه تعالى يسر الله إحصاءه.

والكلام لله تعالى من الصفات الذاتية والفعلية، فقال تعالى ويقول وتكلم ويتكلم إذا شاء ومتى شاء، لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، يتكلم تعالى كيف شاء، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ولا يجوز السؤال عن كيفية كلام الله، كما لا يجوز تشبيه كلام الله بكلام خلقه، وكذا القول في بقية صفات الله تعالى، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله، من الصفات العلية التي تليق بعظمة الله وعزته، وجب إثباته، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل.

نعم؛ يجب إثبات الكلام لله تعالى؛ لأن الله أثبته، ولأنه صفة كمال لله تعالى، وتعالى الله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾

[لقمان: ٢٧]، والكلام لله من صفات الكمال لا صفة نقص، وعيب، ولا يلزم منه تشبيه الله بخلقه.

وقد خاب من كذب وافترى، وقال على الله بلا علم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس: ٦٩]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٤]، فلا بد من القبول والرضا والتسليم لنصوص القرآن، وسُنَّة الرسول ﷺ.

وحيث أن آيات القرآن هي الدليل والبرهان، فإلى المنافحين والمناضلين عن عقيدة الإسلام سبع آيات من اثنتي عشرة آية من آي الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يونس: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

وقال جلَّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ [الشورى: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقد صرح الرسول ﷺ بأن القرآن كلام الله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت البارحة من عقرب لدغتني، قال: «**أما لو قلتَ حين أمسيتَ: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك**»[(١)].

وفي رواية: «**من قال حين يمسي ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضره حمة تلك الليلة**»، قال سهيل: فكان أهلنا تعلموها، فكانوا يقولونها كل ليلة، فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعاً[(٢)]. أخرجه مالك ومسلم وأبو داود والترمذي.

وعن خولة بنت حكيم السلمية، تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك**»[(٣)]. رواه مالك ومسلم واللفظ له.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السمٰوات منه رجفة** أو قال: **رعدة شديدة خوفاً من الله** عز وجل، **فإذا سمع ذلك أهل السمٰوات صعقوا وخروا لله سجداً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (٧٨٩٨)، والترمذي (٣٦٠٤)، وصحَّحه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣]، **فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله ﷻ**»[(١)]، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن خزيمة.

فالقرآن الكريم هو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف، هذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة قديماً وحديثاً، وهذا هو المعتقد السليم والمنهج القويم، والصراط المستقيم، فلا تشبيه ولا تعطيل ولا غلو ولا جفاء.

ولا تأويل ولا تكييف، فالتأويل يفضي إلى التعطيل، والتكييف يفضي إلى التمثيل، وهذا المعتقد وهذا القول، هو الذي تشهد له نصوص القرآن والسُّنَّة، بالأحقية والصحة والاعتدال، فلا غلو ولا جفاء، ولا إفراط ولا تفريط، فالمشبهة غلوا فأثبتوا لله الكلام وقالوا ما معناه: كلام الله ككلام خلقه.

والمعطلة جفوا وهم الجهمية والمعتزلة، فقالوا: الله لا يتكلم والقرآن مخلوق، وقالت الأشاعرة: القرآن عبارة عن كلام الله، وقالت الكُلَّابِيَّة: القرآن حكاية عن كلام الله، وكل هذه الأقوال هذيان وزور وباطل، وقول على الله بلا علم.

والأشاعرة نسبة لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وفاته سنة ٣٢٤هـ، وقد كان الأشعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ معتزليّاً، ولكن فتح الله عليه واستبان له طريق الرشاد، فانصاع للحق وأهل الحق أهل السُّنَّة

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٣)، والطبراني في مسند الشاميين (٥٩١)، وابن خزيمة في التوحيد (٢٠٦)، وضعَّفه الألباني في ظلال الجنة (٥١٥).

والجماعة، فأناب وتاب وأعلن توبته وهو فوق منبر مسجد البصرة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وصنف المصنفات الحافلة في الرد على المعطلة وأهل البدع، وأهل مكة أدرى بشعابها.

والمعتزلة سموا بهذا الاسم؛ لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري، لما سمعوه يملي ويثبت ويقرر ما أثبته الله لنفسه من الصفات، والجهمية نسبة لجهم بن صفوان الترمذي، داعية الكفر والضلال؛ لأن مذهبه الخبيث إنكار صفات الله وأسمائه، وقتل الجهم؛ قتله سلم بن أحوز أمير خراسان، سنة ١٢٨هـ.

والكلابية نسبة لعبد الله بن سعيد بن كلاب، ومقالة الجهمية معدنها خبيث أصلها يهودية؛ لأن الجهم أخذها عن الجعد بن درهم، وأخذها الجعد عن أبان بن سمعان وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي، وأخذها طالوت عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر الرسول ﷺ.

وهكذا غالباً كل بدعة في الإسلام أصلها الخيانة والمكر والخداع والدس من اليهود على الإسلام والمسلمين، ومن أخطرها وأعظمها ضرراً المذهب الملعون مذهب الشيوعية والاشتراكية، ولكل زمان بدعه ومنكراته، وكذا الماسونية التي تعمل وتخطط لصالح اليهود، نعم؛ كما تقدم أبو الحسن الأشعري صنف المصنفات التي فيها الرد على المعتزلة والجهمية والأشاعرة وغيرهم من طوائف البدع والضلال، وأبطل كل ما استدلوا به، فمن مصنفاته: الموجز والمقالات، والإبانة عن أصول الديانة، وعدد صفحات الإبانة: ٧٠.

۞ ۞ ۞

القرآن قول

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن ووصفه بكونه: قولاً وقيلاً، في خمس عشرة آية، حقّاً والحق يقال، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

القرآن الكريم، والنور المبين، والصراط المستقيم، والذكر الحكيم، هو قول ربنا وخالقنا، هو قوله تعالى حقيقة، لا قول غيره، هذا معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، صحابة وتابعين، وهو الإيمان والتصديق، بأن القرآن قول الله وكلامه، تكلم الله به كما شاء تعالى.

ومن اعتقد أو قال بخلاف قول أهل السُّنَّة، فقوله زور وباطل وهذيان وجنون، والجنون فنون، فالكلام لله تعالى قديم النوع حادث الآحاد، فالله جَلَّ شأنه تكلم في الأزل، ويتكلم تعالى فيما لم يزل، فتكلم تعالى ويتكلم إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، ويأتي إن شاء الله لذلك زيادة بيان وإيضاح في إثبات الصفات لله تعالى.

وحيث كان القرآن الكريم هو قول الله وكلامه ووحيه وتنزيله، فيجب الإيمان به، ويجب تعلمه وتعليمه وتعقله وتدبره وتفهمه، يجب على المسلمين العناية بكتاب الله؛ حيث كان هو السبب في سعادتهم في الدنيا والآخرة، وهو المصدر الأول لتشريعهم وأحكامهم ونظامهم.

نعم؛ يجب الانصياع إلى أحكام القرآن، والوقوف تحت ظله الظليل الوارف، ويقيناً لا يعتريه شك بأن الهدف السامي والمقصود الأعظم بإنزال القرآن هو العمل به، عقيدةً وعبادةً وأحكاماً وأخلاقاً

وسلوكاً وتشريعاً عامّاً في كل شؤون الحياة الاجتماعية، والمصدر الثاني للتشريع الإسلامي هو ما صح وثبت عن الرسول ﷺ.

وكتاب الله وسُنَّة رسوله عليه من ربه السلام، فيهما السداد والوفاء والكفاية لجميع متطلبات الحياة بأحسن نظام وأعدل أحكام.

وفي كتاب الله وسُنَّة رسوله حلٌّ لكل مشكلة فردية واجتماعية.

والقصور ليس من تشريعات الدين الإسلامي، القصور من عدم الاهتمام بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، القصور جاء من زاوية الإعراض عن كتاب الله وسُنَّة رسوله، جاء القصور من عدم تعقل القرآن وتفهمه، وتدبره، وحدِّث ولا حرج إذا كان الفهم نابياً والقلب مقفلاً: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

ومن قال أو اعتقد بأن القوانين والأنظمة المخالفة لشريعة الإسلام، يجوز العمل بها أو أنها أصلح لأهل هذا العصر من أحكام القرآن والسُّنَّة، فهو ملحد زنديق كافر بالله العظيم، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

وحيث أن آيات القرآن هي الحجة والهدى والبيان، فإلى كل مسلم غيور على عقيدته، وعلى شريعة الإسلام سبع آيات من خمس عشرة آية، ومن فضله تعالى نسأله الهداية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [القصص: ٥١ ـ ٥٣].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٨].

وقال جلَّ شأنه: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير: ١٩]، إلى قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٧].

❁ ❁ ❁

القرآن قول ثقيل

في آية واحدة سمَّى الله القرآن: قولاً ثقيلاً، فالله جَلَّ شأنه وصف القرآن الكريم بالثقل؛ لما فيه من العظمة والروعة والبهاء.

ولما فيه من الفروض، والحدود، والنواهي، والأوامر، والزواجر، والقوارع، والتكاليف العظيمة التي لا يقوم بأعبائها، إلا المؤمنين الأتقياء، الذين يقومون بها على أكمل وجه، مع الفرح، والغبطة، والسرور، والأنس، وطمأنينة القلب، وراحة النفس، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأيضاً سمَّى الله القرآن: ثقيلاً ووصفه بذلك؛ لما يلقاه عليه السلام من الشدة عند نزول الوحي، جاء في «صحيح البخاري» ما لفظه: قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً[١].

فعلى هذا ـ والعلم عند الله ـ يكون الثقل حقيقة، ويشهد لهذا ما ورد بأن ناقة الرسول تبرك إذا أوحي إليه وهو عليها[٢]، وأوحي إليه صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فكادت أن ترض فخذ زيد[٣].

فالقرآن الكريم ثقيل؛ أي: رزين وكريم وعظيم؛ لما فيه من

---

(١) أخرجه البخاري (٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٥٧٥)، والحاكم (٣٨٦٥)، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٣٢).

المعاني الجليلة، والأسرار البديعة، والحكم والأحكام، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، والأوامر والنواهي، والفرائض والحدود، وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن، وجميع ذلك كله في صالح البشرية في دنياها وأخراها، والله الموفق والمعين والهادي إلى سواء السبيل.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل: ١ ـ ٥].

وهذه الآية من الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق.

❁ ❁ ❁

القرآن قول فصل

الله جَلَّ شأنه وتقدس اسمه في آية واحدة سمَّى القرآن: قولاً فصلاً، ومعنى ذلك: أن القرآن الكريم، فصل بين الحق والباطل، كما فرق بين الحق والباطل؛ لأنه تعالى سماه فرقاناً.

لا شك والله ولا مرية بأن القرآن فرق بين التوحيد والشرك، وبين العدل والظلم، وبين الصدق والكذب.

وعلى سبيل العموم القرآن العزيز فصل بين الحق والباطل؛ فبيَّن الحق ودعا إليه ورغب فيه، وبين الباطل ونهى عنه وحذر منه، والحق أحق أن يتبع، وماذا بعد الحق إلا الضلال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١].

نعم؛ القرآن المجيد فصل بين الحق والباطل، وأوضح المنهج القويم والصراط المستقيم، وزيف الباطل وبين طرقه المعوجة: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

وصدق الله، ومن أصدق من الله قيلاً، القرآن قول فصل، والآية الكريمة من الأدلة الدالة على أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه.

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١١ ـ ١٤].

القرآن عربي

الله جَلَّ شأنه يخلق ما يشاء ويختار، فأفضل كتب الله المنزلة على الأنبياء والمرسلين، هو القرآن أنزله الله على أفضل رسول أُرسل لخير أمة أخرجت للناس.

وإحسان الله عظيم ومنته كبيرة على البشرية كلها، في كل زمان ومكان، حيث أنزل الله هذا القرآن الكريم؛ لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿...قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وإحسان الله عظيم وعظيم، ورحمته عظيمة وعظيمة، للعرب خاصة؛ حيث أنزل الله القرآن بلغة العرب العرباء، بلغة العرب الفصحى، التي هي أحسن اللغات وأفصحها وأخفها نطقاً وأسهلها تفاهماً.

قال ابن كثير على قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ٢]: وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني، التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل، بسفارة أشرف الملائكة،

وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض، وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة، وهو رمضان فكمل من كل الوجوه[١]. اهـ.

نعم؛ القرآن العظيم أنزله الله بلغة العرب، وفي ذلك الشرف والفخر للعرب إذا آمنوا بالقرآن، وعملوا بما جاء فيه من أحكام ونظام، وقد سمَّى الله القرآن: عربيّاً، ووصفه الله بهذه الصفة، في إحدى عشرة آية، ومن الله نستمد العون في البداية والنهاية.

وحيث أن آيات القرآن هي الحجة والبيان، فإلى القارئ الكريم سبع آيات من العدد آنف الذكر.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الأحقاف: ١٢].

وقال جَلَّ وَعَلَا: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ [فصلت: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾﴾ [طه: ١١٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

وقال تقدس اسمه: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٦٥).

ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى: ٧].

وأخرج الترمذي في «صحيحه»، من حديث سلمان، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا سَلْمَانُ لَا تَبْغَضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ أَبْغَضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللهُ؟ قَالَ: «**تَبْغَضُ العَرَبَ فَتَبْغَضُنِي**»، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(١).

وأخرج الترمذي وعبد الله ابن الإمام أحمد في «المسند»، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من غش العرب لم يدخل في شفاعتي، ولا تنله مودتي**»، قال أحمد شاكر: وإسناده ضعيف، ورمز له السيوطي بالضعيف(٢).

وقال ابن كثير في كتابه «النهاية»: قال الزهري: كلام أهل الجنة عربي، وقال سفيان: بلغنا أن الناس يتكلمون يوم القيامة بالسريانية، فإذا دخلوا الجنة تكلموا العربية(٣). اهـ.

وأخرج الترمذي بإسناده عن سمُرة بن جندب أن رسول الله ﷺ، قال: «**سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش**»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير»،

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٧٣١)، والترمذي (٣٩٢٧)، وضعَّفه الألباني.
(٢) أخرجه أحمد (٥١٩)، والترمذي (٣٩٢٨)، وقال: هذا حديث غريب، وقال الألباني: موضوع.
(٣) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٤١٢).

ورواه الإمام أحمد والحاكم، ورُوي أنه ﷺ، قال: «**أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي**»، قال في «الجامع الصغير»: رواه الحاكم والطبراني في «الكبير»، والعقيلي والبيهقي في «شعب الإيمان»، من حديث ابن عباس، ورمز له السيوطي بالصحة، وضعفه بعضهم[١].

تكملة

هل في القرآن شيء من غير لغة العرب، الذي حكاه الزركشي عن جمهور العلماء: ليس في القرآن شيء من غير لغة العرب[٢].

وفريق آخر من علماء الأمة الإسلامية، قالوا: في القرآن ألفاظ ليست من لغة العرب، ولهذا ذكر السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» ، أكثر من مائة لفظة في القرآن ليست عربية.

منها: القسورة: الأسد، بلغة السَّرِي: النهر الصغير باليونانية، سينين: الحسن بالنبطية، والقسط والقسطاس: العدل بالرومية، السجل: الكتاب بالفارسية، الرقيم: اللوح بالرومية، المشكاة: الكوة بالحبشة، الأليم: المؤلم بالعبرانية، الإستبرق: ما غلظ من الديباج بلغة العجم، أباريق: لغة فارسية. وهكذا[٣].

أما وجود ألفاظ في القرآن من غير لغة العرب فهذا مما لا شك فيه، ولكن العرب عربت هذه الألفاظ واستعملتها واندمجت في كلامها، فصارت من هذا الوجه عربية، كما يأتي في كلام أبي عبيد موضحاً.

---

(١) أخرجه الحاكم (٦٩٩٩)، والطبراني في الكبير (١١٤٤١)، والبيهقي في الشعب (١٣٦٤)، وقال الألباني في الضعيفة (١٦٠): موضوع.

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٨٧).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ١٢٩).

وعلى هذا يحمل كلام من نفى أن يكون في القرآن من غير لغة العرب، وهم أكثر العلماء، ومن أثبت ذلك فمراعاة للأصل، وهذا هو الجمع بين قول من أثبت ومن نفى.

وقال الزركشي في كتابه «البرهان في علوم القرآن» في المجلد الأول صفحة (٢٩٠): وَحَكَى ابْنُ فَارِسٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ أَنَّهُ حَكَى الْخِلَافَ فِي ذَلِكَ وَنَسَبَ الْقَوْلَ بِوُقُوعِهِ إِلَى الْفُقَهَاءِ وَالْمَنْعَ إِلَى أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ ثُمَّ قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَالصَّوَابُ عِنْدِي مَذْهَبٌ فِيهِ تَصْدِيقُ الْقَوْلَيْنِ جَمِيعاً وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْرُفَ أُصُولُهَا أَعْجَمِيَّةٌ كَمَا قَالَ الْفُقَهَاءُ إِلَّا أَنَّهَا سَقَطَتْ إِلَى الْعَرَبِ فَعَرَّبَتْهَا بِأَلْسِنَتِهَا وَحَوَّلَتْهَا عَنْ أَلْفَاظِ الْعَجَمِ إِلَى أَلْفَاظِهَا فَصَارَتْ عَرَبِيَّةً ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَقَدِ اخْتَلَطَتْ هَذِهِ الْحُرُوفُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ فَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَرَبِيَّةٌ فَهُوَ صَادِقٌ، وَمَنْ قَالَ: أَعْجَمِيَّةٌ؛ فَصَادِقٌ، قال: وإنما فسر هَذَا لِئَلَّا يُقْدِمَ أَحَدٌ عَلَى الْفُقَهَاءِ فَيَنْسِبَهُمْ إِلَى الْجَهْلِ وَيَتَوَهَّمَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ أَقْدَمُوا عَلَى كتاب الله بغير ما أراده الله جَلَّ وعزَّ فَهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِالتَّأْوِيلِ وَأَشَدَّ تَعْظِيماً لِلْقُرْآنِ[1]. اهـ.

ومن زاوية هذه التكملة وطيات هذه الأحرف، يعرف القارئ وفقنا الله وإياه طريق الرشاد، أنه بسبب أسفار العرب ورحلاتهم واحتكاكهم بغيرهم، دخل على لغتهم ألفاظ من لغات شتى، ولكن مع طول الزمن وكثرت استعمال العرب لها صارت هذه الألفاظ عربية.

وهذا شيء جرت به العادة، فنحن مع قصر وقتنا تجدد لنا ألفاظ ما كنا نعرفها قبل ذلك، ولله الأمر من قبل ومن بعد لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٠).

القرآن سور

الله جَلَّ شأنه وصف القرآن وسمَّاه: سوراً في تسع آيات من آي الذكر الحكيم، إذاً فالقرآن الكريم كما هو معروف سور، والسور آيات، والآيات كلمات، والكلمات حروف، والجميع من عند الله، وكله كلام الله، كله في صالح البشرية، كله خير وبركة، ورحمة وهدى.

والسورة لغة: هي القطعة أو الطائفة أو الجزء من القرآن، وسُميت بذلك والعلم عند الله لاشتمالها على آيات وكلمات، كاشتمال سور الدار وسور المدينة على ما فيها، قال في «القاموس»: والسورة المنزلة، ومن القرآن (م)؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى[١]، وقال في «مختار الصحاح»: والسور أيضاً جمع: سورة، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن؛ لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى[٢].اهـ. وإشارة «القاموس» (م)؛ أي: معروف.

ورحمة الله شاملة، وحكمته عظيمة، حيث أنزل الله القرآن على الرسول ﷺ سوراً وآيات، على حسب الحاجات والطلبات والمناسبات؛ إذ لو نزل جملة واحدة لصار في ذلك إرهاق للرسول ولصحابة الرسول.

فتعالت حكمة الله، فقد ثبت أن إنزال القرآن على الرسول بواسطة جبريل عليه السلام، كان منجماً في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة، وحكمة الله تقتضي ذلك لما فيه من المصالح العامة والخاصة.

---

(١) القاموس المحيط (١/ ٤١١).
(٢) مختار الصحاح (ص١٥٧).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: ٣٢]، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦]، فالرب الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها، شاءت حكمته أن يكون القرآن سوراً وآيات، والسور طوال وقصار وما بين ذلك.

قال محمد بن عبد الله الزركشي في كتابه «البرهان»: وَأَمَّا تعريف الآية اصطلاحاً، فَقَالَ الْجَعْبَرِيُّ: حَدُّ السُّورَةِ قُرْآنٌ يَشْتَمِلُ عَلَى آيٍ ذَوَاتِ فَاتِحَةٍ وَخَاتِمَةٍ وَأَقَلُّهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ فَإِنْ قِيلَ: فَمَا الْحِكْمَةُ فِي تَقْطِيعِ الْقُرْآنِ سُوَراً؟ قُلْتُ: هِيَ الْحِكْمَةُ فِي تَقْطِيعِ السُّوَرِ آيَاتٍ مَعْدُودَاتٍ لِكُلِّ آيَةٍ حَدٌّ وَمَطْلَعٌ حَتَّى تَكُونَ كُلُّ سُورَةٍ بَلْ كُلُّ آيَةٍ فَنّاً مُسْتَقِلّاً وَقُرْآناً مُعْتَبَراً.

وَفِي تَسْوِيرِ السُّورَةِ تَحْقِيقٌ لِكَوْنِ السُّورَةِ بِمُجَرَّدِهَا مُعْجِزَةً وَآيَةً مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى وَسُوِّرَتِ السُّوَرُ طِوَالاً وَقِصَاراً وَأَوْسَاطاً تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّ الطُّولَ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِعْجَازِ فَهَذِهِ سُورَةُ الْكَوْثَرِ ثَلَاثُ آيَاتٍ وَهِيَ مُعْجِزَةٌ إِعْجَازَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ.

ثُمَّ ظَهَرَتْ لِذَلِكَ حِكْمَةٌ فِي التَّعْلِيمِ وَتَدْرِيجِ الْأَطْفَالِ مِنَ السُّوَرِ الْقِصَارِ إِلَى مَا فَوْقَهَا يَسِيراً تَيْسِيراً مِنَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ لِحِفْظِ كِتَابِهِ فَتَرَى الطِّفْلَ يَفْرَحُ بِإِتْمَامِ السُّورَةِ فَرَحَ مَنْ حَصَلَ عَلَى حَدٍّ مُعْتَبَرٍ وَكَذَلِكَ الْمُطِيلُ فِي التِّلَاوَةِ يَرْتَاحُ عِنْدَ خَتْمِ كُلِّ سُورَةٍ ارْتِيَاحَ الْمُسَافِرِ إِلَى قَطْعِ المراحل المسماة مرحلة بعد مرحلة أخرى.

إلى أَنَّ كُلَّ سُورَةٍ نَمَطٌ مُسْتَقِلٌّ فَسُورَةُ يُوسُفَ تُتَرْجِمُ عَنْ قِصَّتِهِ

وَسُورَةُ بَرَاءَةَ تُتَرْجِمُ عَنْ أَحْوَالِ الْمُنَافِقِينَ وَكَامِنِ أَسْرَارِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ[١]. اهـ. المقصود منه.

نعم؛ كما تقدم: القرآن العزيز سور محكمات وآيات بينات، وإلى المشغوفين بالقرآن والمحبين له، والعاملين به، والداعين إلى العمل بأحكامه، إليهم جميعاً في كل زمان ومكان، سبع آيات من تسع آيات، والله ولي التوفيق.

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود: ١٣، ١٤].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: ٣٨].

في هذه الآيات الثلاث إعجاز وتحدٍّ، تحدى الله قريشاً والعرب كلها، تحدى الله أهل اللسان والبيان، وتحدى كل مخلوق في كل زمان ومكان، تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة مثله، فتخدرت أعصابهم، وخرست ألسنتهم، وتتابعت هزائم القوم، وأعلنوا عجزهم حيث لاذوا بالفرار.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٦٥).

وما من شكٍّ بأن القرآن كتاب تحد وإعجاز وكتاب تصديق وإيمان، وكتاب رحمة وهدى، وكتاب أحكام وتشريع، هو كتاب أرحم الراحمين للخلق أجمعين.

هو كلام الله حروفه ومعانيه، فليس بمخلوق ولا مفترى، وليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، هذا هو المنهج القويم والمعتقد السليم، فعليك به أيها القارئ الكريم.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة: ١٢٤].

وقال تقدس اسمه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٢٧﴾ [التوبة: ١٢٧].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا وَأَنزَلۡنَا فِيهَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لَّعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١﴾ [النور: ١].

وقال جلَّ وعلا: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾ [التوبة: ٦٤].

أما عدد سور القرآن فهي مائة سورة وأربعة عشر سورة، ومن الله نسأل التوفيق والهداية.

فائدة

على قول جماهير العلماء ترتيب السور على ما هي عليه في المصحف هو من اجتهاد الصحابة وفعلهم رضي الله عنهم.

أما ترتيب الآيات فهو توقيفي تولاه الرسول ﷺ، وقد أجمع العلماء على ذلك، أما ترتيب السور فلا يخلو من خلاف.

قال الزركشي في كتابه «البرهان»: وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِتَرْتِيبِهِ فَأَمَّا الْآيَاتُ فِي كل سورة وضع الْبَسْمَلَةِ أَوَائِلَهَا فَتَرْتِيبُهَا تَوْقِيفِيٌّ بِلَا شَكٍّ وَلَا خِلَافَ فِيهِ وَلِهَذَا لَا يَجُوزُ تَعْكِيسُهَا. قَالَ مَكِّيٌّ وَغَيْرُهُ: تَرْتِيبُ الْآيَاتِ فِي السُّوَرِ هُوَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَلَمَّا لَمْ يَأْمُرْ بِذَلِكَ فِي أَوَّلِ بَرَاءَةَ تُرِكَتْ بِلَا بَسْمَلَةٍ.

وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ: تَرْتِيبُ الْآيَاتِ أَمْرٌ وَاجِبٌ وَحُكْمٌ لَازِمٌ فَقَدْ كَانَ جِبْرِيلُ يَقُولُ ضَعُوا آيَةَ كَذَا فِي مَوْضِعِ كذا.

ثم قال الزركشي: وَأَمَّا تَرْتِيبُ السُّوَرِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ فَاخْتُلِفَ هَلْ هُوَ تَوْقِيفٌ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ من فعل الصحابة أو يُفَصَّلْ فِي ذَلِكَ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: مَذْهَبُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الطَّيِّبِ فِيمَا اعْتَمَدَهُ وَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ رَأْيُهُ مِنْ أَحَدِ قَوْلَيْهِ إِلَى الثَّانِي وَأَنَّهُ ﷺ فَوَّضَ ذَلِكَ إِلَى أُمَّتِهِ بَعْدَهُ[1]. اهـ.

وقال السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»: فصلٌ: وَأَمَّا تَرْتِيبُ السُّوَرِ فَهَلْ هُوَ تَوْقِيفِيٌّ أَيْضاً أَوْ هُوَ بِاجْتِهَادٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؟

خِلَافٌ، فَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى الثَّانِي مِنْهُمْ مَالِكٌ وَالْقَاضِي أَبُو بكر في قَوْلَيْهِ[2].

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: جُمِعَ الْقُرْآنُ عَلَى ضَرْبَيْنِ: أَحَدُهُمَا تَأْلِيفُ السُّوَرِ كَتَقْدِيمِ السَّبْعِ الطُّوَالِ وَتَعْقِيبِهَا بِالْمِئِينَ فَهَذَا هُوَ الَّذِي تَوَلَّتْهُ الصَّحَابَةُ، وَأَمَّا الْجَمْعُ الْآخَرُ وَهُوَ جَمْعُ الْآيَاتِ فِي السُّوَرِ فَهُوَ تَوْقِيفِيٌّ تَوَلَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ جِبْرِيلُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ.

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٥٧).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٦).

وَمِمَّا اسْتُدِلَّ بِهِ لِذَلِكَ اخْتِلَافُ مَصَاحِفِ السَّلَفِ فِي تَرْتِيبِ السُّوَرِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَتَّبَهَا عَلَى النُّزُولِ وَهُوَ مُصْحَفُ عَلِيٍّ كَانَ أَوَّلَهُ اقْرَأْ ثُمَّ الْمُدَّثِّرُ ثُمَّ ن ثُمَّ الْمُزَّمِّلُ ثُمَّ تَبَّتْ ثُمَّ التَّكْوِيرُ وَهَكَذَا إِلَى آخِرِ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ وَكَانَ أَوَّلَ مُصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ الْبَقَرَةُ ثُمَّ النِّسَاءُ ثُمَّ آلُ عِمْرَانَ عَلَى اخْتِلَافٍ شَدِيدٍ وَكَذَا مُصْحَفُ أُبَيٍّ وَغَيْرِهِ[1]. اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٢١٦).

القرآن حكيم ومحكم

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن: حكيماً ومحكماً، ووصفه تعالى بهذه الصفة اللائقة به في ثمان آيات، وكيف لا يكون القرآن حكيماً ومحكماً، وهو كلام أحكم الحاكمين وقول ربِّ العالمين، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

وحكمة الله تقتضي ذلك، تقتضي أن يكون القرآن حكيماً ومحكماً؛ لأنه الكتاب الذي ليس بعده كتاب، ولأنه الكتاب الذي أنزله الله ليكون تشريعاً عامّاً لكل مجتمع بشري ولكل فرد من أفراده، حتى يشاء الله خراب هذا الكون ويأذن بطي بساطه، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

فالقرآن الكريم حكيم في أسلوبه، أسلوبه الرائع الجذاب، وحكيم في هدايته ورحمته، وحكيم في إيضاحه وبيانه، وحكيم في تشريعاته، وحكيم في كل أحكامه، وحكيم في أمره ونهيه، وحكيم في ترغيبه وترهيبه، وحكيم في وعده ووعيده، وحكيم في أقاصيصه وأخباره، وحكيم في أقسامه وأمثاله، وحكيم في كل ما اشتمل عليه، بل هو فوق ذلك وأعظم من ذلك.

والقرآن أيضاً محكم؛ فلا حشو فيه، ولا نقص ولا عيب كما يكون في كلام البشر، الله أكبر ما أعظم هذا القرآن! لقد بلغ الغاية في البهاء والجمال والكمال.

اللَّهُمَّ اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك يا ربَّ العالمين، وإلى المحبين للقرآن والعاملين به سبع آيات، ونسأل الله إجابة الدعوات وغفران السيئات.

قال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود: ١].

وقال تعالى: ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس: ١].

وقال جَلَّ وَعَلَا: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣﴾ [لقمان: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿يٰسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ [يس: ١ ـ ٥].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [آل عمران: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ۝٢١﴾ [محمد: ٢٠، ٢١].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ ـ ٤].

فائدة

الله تعالى اسمه، هو أعدل العادلين وأحكم الحاكمين، ولذا سمَّى نفسه: حكيماً في أربعة وتسعين موضعاً من القرآن، هذا الذي يسر الله إحصاءه، ويحتمل وجود أكثر من هذا العدد، والله ولي التوفيق.

القرآن حكمة بالغة

الله جَلَّ شأنه، في آية واحدة سمَّى القرآن: حكمة بالغة، قال في «القاموس»: والحكمة بالكسر العدل، والعلم، والحلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، وأحكمه: أتقنه فاستحكم ومنعه عن الفساد[١].

وقال الشوكاني في تفسيره على آية سورة سبحان: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾ [الإسراء: ٣٩]؛ أي: من جنسه أو بعض منه، وسُمي حكمة؛ لأنه كلام محكم، وهو ما علمه من الشرائع، أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها الفساد.

وعند الحكماء أن الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته[٢].اهـ.

ولا مراء، ولا شك، ولا غرور، ولا تضليل بأن القرآن الكريم حكمة، حكمة عظيمة، حكمة محكمة، حكمة لا نقص فيها ولا خلل ولا عيب، حكمة بلغت الغاية في البهاء والإتقان والكمال والجمال.

نعم؛ القرآن المجيد حكمة حكيمة، حكمة زهد فيها أكثر الناس، حكمة ضيعها أهلها فضاعوا، حكمة هدفها الصلاح والإصلاح.

وكل ما اشتمل عليه القرآن، من أمرٍ ونهي، ووعد ووعيد، وترغيب وترهيب، وحكم وأحكام، وعلوم وفنون، فهو حكمة، حكمة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، للخلق أجمعين.

---

(١) القاموس المحيط (١/ ١٠٩٥).

(٢) فتح القدير (٣/ ٢٧٢).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾ [القمر: ٤، ٥].

وقال مجاهد: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال: الكتاب يؤتى إصابته من يشاء[١].

فائدة

سُنَّة الرسول ﷺ، هي أقواله وأفعاله وتقريراته، الدينية وقد سمَّاها الله: حكمة في كتابه المبين في عشرة (١٠) مواضع.

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

وبقية الآيات في سورة الجمعة (٢)، وفي البقرة (١٢٩)، وفي البقرة أيضاً (١٥١)، وفي آل عمران (١٦٤)، الإسراء (٣٩)، البقرة (٢٦٩)، آل عمران (٨١)، فسُنَّة الرسول ﷺ هي أحد الوحيين.

وقد قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ألا إني أُوتيتُ الكتاب ومثله معه**»[٢]، فكما يجب الاعتصام والعمل بالقرآن، يجب الاعتصام والعمل بسُنَّة الرسول ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ

---

(١) تفسير مجاهد (ص٢٤٥).

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٤)، وصحَّحه الألباني.

عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وفي أكثر من أربعين آية، أمر الله بطاعة الرسول ﷺ، وأحاديث الرسول ليست عشرات ولا مئات بل هي آلاف، وكل ما ثبت وصح عنه عليه السلام، وجب العمل به مع الرضا والتسليم.

وهناك أناس تحذلقوا وتغطرسوا، بل تزندقوا وضلوا وأضلوا عن سواء السبيل؛ كالبعض من الخوارج والروافض، تمسكوا بظاهر القرآن وتركوا سُنَّة الرسول، تركوا أحاديث الرسول ﷺ، التي سمَّاها الله حكمة.

وقد أمر وحث ورغب الرسول بالتمسك بسُنَّته، فقال ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة**»(١).

وقال عليه السلام: «**من رغب عن سُنَّتي فليس مني**»(٢)، وقال ﷺ: «**ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم**»(٣).

وقال عليه السلام: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(٤). وكل هذه الأحاديث صحيحة، وثابتة عن الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، وصحَّحه الألباني.
(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).
(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).
(٤) أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

القرآن حُكْم عربي

الله جَلَّ شأنه سمَّى القرآن ووصفه بكونه: حكماً عربيّاً، وذلك في آية واحدة من سورة الرعد.

الله أكبر! وصدق الله، القرآن الكريم والنبراس العظيم، هو الحكم العادل، هو الحكم الواضح الجلي، الذي ليس فيه خفاء ولا به التباس، هو الحكم الذي به تحفظ الحقوق، وبه يسود الأمن، هو الحكم الذي من حكم به فقد هُدي إلى صراط مستقيم، هو الحكم الذي جاء بإبطال كل حكم يخالف حكم الله.

جاء مزيفاً ومبطلاً لكل الأحكام الطاغوتية والقوانين الوضعية، التي هي من أفكار المخلوق للمخلوق، ومن عمل المخلوق للمخلوق، ومن تشريع المخلوق لمخلوق مثله.

فالنظام والدستور والأحكام والتشريع، لا بد أن يكون من خالق قادر عظيم لمخلوق عاجز قاصر ضعيف، وحدِّث ولا حرج عن الظلم والجور وضياع الحقوق وانتشار الفوضاء وفساد المجتمع، إذا كان الحكم بالقوانين والعادات والأنظمة المخالفة لشريعة الإسلام.

ومن أجاز واستحل الحكم بالقانون المخالف لكتاب الله وسُنَّة رسوله، فهو كافر بالله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤].

ومن تحاكم أو حكم بغير ما أنزل الله، فهو حكم وتحاكم إلى

حكم الجاهلية، وحسبك به إلحاداً وفساداً وبعداً عن الحق: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠].

ويأتي إن شاء الله في مبحث آخر وتحت عنوان مستقل، عدد الآيات التي يؤخذ منها وجوب الحكم بما أنزل الله، نسأله تعالى الإعانة والتوفيق، نعم، كما تقدم القرآن حكم عربي، وعِلم عظيم، هو العلم حقّاً، والحق أحق أن يتبع، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

ولا والله للمسلمين عز ولا نصر على اليهود ولا غيرهم من أعداء الإسلام، إلا إذا عملوا بأحكام كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

وإذا لم يعمل المسلمون بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّهم، فعلى الحياة العفاء، وعلى الإسلام والمسلمين السلام.

❁ ❁ ❁

القرآن علم

الله جَلَّ شأنه وتقدس اسمه، في تسع آياتٍ سمَّى القرآن: علماً، والحمد لله وعظمت قدرة الله.

القرآن الكريم هو العلم حقّاً، هو العلم العظيم، هو العلم النافع، هو العلم الصحيح، هو العلم الزكي من الرب العلي، هو العلم الذي مع سُنَّة الرسول ترتاح له النفوس، وتطمئن له القلوب، هو العلم الذي جاء لإقامة العدل في الأرض.

هو العلم الغزير الذي ينابيعه صافية، وأنهاره متدفقة، ودوحاته سامقة، وظله ظليل، يسع كل مخلوق، وجداوله تفيض بالحكمة والأحكام، هو العلم الذي ينير الطريق للسالكين، هو العلم الذي يهتدي به كل تائه وحيران، هو روح الحياة وسفينة النجاة.

هو مشعل الهداية ونبراس الطريق، هو العلم الذي يهدي البشرية الضالة، إلى ما به خيرها في الدنيا وسعادتها في الآخرة.

فالبشرية اليوم لما شط بها المزار، وتباعدت عن طريق الهدى كتباعد الحمر من قسورة، وتركت العمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله محمد عليه من ربه السلام، أصابها فساد في عقولها، وفساد في تفكيرها، وفساد في آرائها، وفساد في أفهامها، وفساد في فطرها.

وفساد في تصورها، وفساد في عقائدها، وفساد في أخلاقها، وفساد في أقوالها، وفساد في أفعالها، وفساد في دينها، وفساد في

دنياها، وفساد في دستورها ونظامها، فعمَّ الفساد وشاعت الفوضى وتكدرت الحياة وعزت النجاة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالبشرية اليوم وحتى المنتسبين للإسلام إلا أقل القليل، هي في شقاء وعناء وفي حيرة وارتباك، هي في ظلام حالك، وضلال مبين، هي ـ إلا ما شاء الله ـ في جاهلية جهلا وهمجية عميا، وقعت البشرية في هوة مظلمة ساحقة، ولا خلاص ولات حين مناص، إلا بالعودة من جديد إلى دين الإسلام.

البشرية ـ إلا ما شاء الله ـ متدهورة وغارقة ولا منقذ لها، ولا مغيث، إلا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، إيماناً وعلماً، وعملاً، المجموعة اليوم والمستقبل غيب يعلمه الله، المجموعة البشرية تتجاذبها الفتن والأهواء والشهوات والشبهات، فتن كقطع الليل المظلم، ما بين شيوعية، واشتراكية، ودهرية، وماسونية، وجمعيات تبشيرية، ورأسمالية، وقاديانية، وتحكيم قوانين وضعية.

ولكل زمان بدعه ومنكراته، ومن فتن هذا الزمن طاعة المخلوق في معصية الخالق، ولا خلاص ولات حين مناص، ولا أمن ولا طمأنينة ولا سلامة، إلا بالعمل بكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، عقيدةً وأحكاماً ونظاماً وأخلاقاً، وسلوكاً.

وخصوصاً المسلمون، ليس لهم مجد ولا فخر ولا عز ولا نصر في الدنيا ولا سعادة في الآخرة، إلا إذا عملوا بكتاب ربهم وسُنَّة نبيِّه عليه من ربه السلام، وإذا لم يفعلوا فالعاقبة وخيمة والعذاب أليم.

وإذا لم يفعلوا فقل على الحياة العفاء، وعلى أمة الإسلام السلام،

نعم، نعيدها مرة ثانية، فنقول: القرآن علم، وها هو البيان والدليل والبرهان.

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠]، فالقرآن هو العلم وكل العلم به.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرعد: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: ٦١].

وقد سمَّى الرسول ﷺ القرآن: علماً، كما في حديث أبي موسى، ويأتي إن شاء الله في فضل العلم قريباً.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: جمع الله في هذا الكتاب علم الأولين والآخرين، وعلم ما كان وعلم ما يكون، والعلم بالخالق جَلَّ جلاله أمره وخلقه[1]. اهـ.

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [يونس: ٩٣].

---

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول (٦٢٣٣).

قال مسروق: ما سئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن[١].

وقال جلَّ ذكره: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤﴾ [الشورى: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٧﴾ [الجاثية: ١٧].

❁ ❁ ❁

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٨).

غضب الله على اليهود

هذه الآيات التي سقناها وغيرها كثير.

هذه الآيات الحكيمة المحكمة، هي من جملة الآيات التي ذم الله فيها اليهود وذكر ما لهم من المخازي والعيوب، فحيث أن اليهود من صفاتهم الذميمة معاداتهم لأنبياء الله ورسله، من زمن موسى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ولهذا قتلوا كثيراً من الأنبياء والمرسلين.

وحيث أنهم أهل تكبر عن الحق، وأهل مكر وبغي وحسد وخداع، ولا يتناهون عن منكر فعلوه، لهذه المخازي وغيرها، غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً عظيماً.

أما عدد الآيات التي هي صريحة في عيب اليهود وذمهم، فهي خمس وثمانون (٨٥) آية، فهم أعداء لله، وأعداء للأنبياء والمرسلين، وأعداء للإسلام والمسلمين، في كل زمان ومكان، ومتصفون بالغطرسة، والحماقة والوقاحة، والزندقة والإلحاد.

برهان ذلك ما حكى الله عنهم في قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

فاليهود من أخبث خلق الله في أرض الله، ومن الذين يسعون في الأرض فساداً.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

نعم؛ كما تقدم عدد الآيات التي ذم الله فيها اليهود خمس وثمانون (٨٥) آية، هذا الذي يسر الله إحصاءه، ومن الممكن يوجد في القرآن أكثر من هذا العدد.

وإذا أراد المسلمون النصر والتغلب على اليهود وغير اليهود من أعداء الإسلام والمسلمين، فعليهم أن لا يغالطوا أنفسهم، فلا بد من إيمان صحيح، ولا بد من إسلام صحيح، فمجرد التسمي لا يكفي، فلا بد من العودة إلى الإسلام من جديد، لا بد من العمل بكتاب الله، ولا بد من العمل بسُنَّة الرسول ﷺ، يسر الله ذلك بمنه وكرمه.

فالله جَلَّ شأنه تكفَّل بنصر من نصره، وتكفل أيضاً بنصر المؤمنين: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، وقول الله حق ووعده صدق: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [الروم: ٦].

اللَّهُمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وارزقنا العمل فيما علّمتنا.

❁ ❁ ❁

العلم وفضل العلم

الله جَلَّ شأنه كما تقدم سمَّى القرآن: علماً، وسمَّى نفسه تعالى: عليماً، ونوّه الله بذكر العلم، ومدح الله العلماءَ وأثنى عليهم.

فمن أسمائه تعالى: العليم، فالله تعالى عالم بما كان وما يكون، وفي ثلاثمائة وخمسين (٣٥٠) آية سمَّى الله نفسه: عليماً، وقد ذكرنا ذلك في مباحث أسماء الله وصفاته، ولله الحمد والمنة.

أما العلم وأعني به: العلم الذي يورث الخشية والتقوى لله تعالى، وهو علم كتاب الله، وعلم سُنَّة الرسول ﷺ، فهو العلم الصحيح، وهو العلم النافع الذي يعرف بالله وآلائه وأسمائه وصفاته، ويعرف بما يجب لله وما لا يجب.

علم الشريعة الإسلامية، في كل ميادين العلم، هو العلم حقّاً، هو العلم النافع، هو العلم الذي يجب أن يعرف ويجب أن يعمل به، هو العلم الذي مدح الله أهله ونوّه بذكرهم وأثنى عليهم في كتابه العزيز، وميزات العلم وفضل العلم وفضل العلماء في كتاب الله وفي سُنَّة رسوله، كثيرة وشهيرة ليس بالإمكان حصرها ولا تعدادها، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان فمَن بعدهم في فضل العلم والعلماء نظماً ونثراً، لا يحصي ذلك كتاب كاتب ولا حساب حاسب.

وعلوم الاختراع وعلوم الطب وعلوم الدنيا، كلها بجانب علم

الكتاب والسُّنَّة لا تساوي قلامة ظفر، ولا مقارنة بينهما، وصدق مَن قال[١]:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصاء

والدليل والبرهان على شرف العلم وفضل العلماء: أن الله جَلَّ شأنه، نوّه وأشاد بذكر العلم وفضله وفضل العلماء، في سبعين (٧٠) آية من آيات الذكر الحكيم، وأعتقد أنه يوجد في القرآن أكثر من هذا العدد، ولكن هذا الذي يسّر الله إحصاءه والوقوف عليه، والمنة لله والفضل منه تعالى، وإلى المسلمين عموماً وإلى طلاب العلم خصوصاً عشر آيات من سبعين آية، والله ولي التوفيق، وعليه تعالى الإعانة والتوكل والاعتماد.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال جَلَّ وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر (٥/ ٢٩٩).

فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: ٦٧].

وأما الأحاديث عن الرسول ﷺ فكثيرة جدّاً، منها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لا يحدثكم أحد بعدي سمعه منه؛ «**إن من أشراط الساعة أن يُرفع العلم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، ويشرب الخمر، ويذهب الرجال، وتبقى النساء حتى يكون قيم خمسين امرأة واحد**»(١). متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وهذا الحديث من معجزات الرسول ﷺ ومن علامات نبوته، حيث أخبر بشيء ما وقع، فوقع كما أخبر، والذي ما وقع سوف يقع.

وروى الأربعة عن معاوية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمرِ الله لا يضرهم مَن خالفهم حتى يأتي أمرُ الله**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

وروى مسلم وأبو داود والترمذي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**ومَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومَن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضَاءً لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ، كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهَماً إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢). رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومَن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**»(٣). رواه البخاري والترمذي.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نضّر الله امرأً سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه، فرب مبلغ أوعى من سامع**»(٤). رواه أحمد والترمذي وابن حبان وصححاه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجه (٢٢٣)، وصحَّحه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٦١).
(٤) أخرجه أحمد (٢١٥٩٠)، وأبو داود (٣٦٦٠)، والترمذي (٢٦٥٦)، وصحَّحه الألباني.

وعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع**». رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن غريب[١].

وقال عليه السلام: «**تعلموا الفرائض وعلموه الناس فإنه نصف العلم، وهو ينسى، وهو أول شيء يُنزع من أمتي**»[٢]. رواه ابن ماجه والحاكم.

وعن أبي بكرة قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محبّاً، ولا تكن الخامسة، فتهلك**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الثلاثة والبزار، ورجاله موثقون، قال مسعر ـ وهو أحد رجال سند الحديث ـ: والخامسة: أن تبغض العلم وأهله[٣]. ورواه الدارمي في سننه، وجعله من قولِ ابن مسعود[٤].

وعن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «**ستكون فتنٌ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، إلا مَن أحياه الله بالعلم**»[٥]. رواه الدارمي في «سننه».

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ، قال: «**لن يشبع المؤمن من خير يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة**». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب[٦].

وعن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يشفع يوم القيامة ثلاثة:**

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٧)، وضعَّفه الألباني.
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٧١٩)، والحاكم (٧٩٤٨)، وضعَّفه الألباني.
(٣) أخرجه الطبراني في الصغير (٧٨٦)، والبيهقي في الشعب (١٥٨١)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٢٨٣٦).
(٤) سنن الدارمي (٢٥٤).
(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤)، والدارمي (٣٥٠)، وقال الألباني: ضعيف جدّاً وهو صحيح دون جملة العلم.
(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٨٦)، وابن حبان (٩٠٣)، وضعَّفه الألباني.

الأنبياء، والعلماء، والشهداء»[١]، رواه ابن ماجه، ورمز له السيوطي بالحسن.

وأخرج الشيخان من حديث أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان، لا تمسك ماءً، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل مَن فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل مَن لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلت به**»[٢].

هذا مثلٌ ضربه الرسول تقريباً للإفهام وتشويقاً للنفوس، وكثيراً ما يضرب ﷺ الأمثال كما هي طريقة القرآن.

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**فقيهٌ أشد على الشيطان من ألف عابد**»[٣]. رواه الترمذي، ولا يخلو هذا الحديث من مقال.

وهذه الأحاديث التي رآها القارئ وفقنا الله وإياه للعلم والعمل به، هي قليل من كثير، واللهُ الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣١٣)، وقال الألباني: موضوع.
(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، ومسلم (٢٢٨٢).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٨١)، وابن ماجه (٢٢٢)، وقال الألباني: موضوع.

إرشاد وتحذير

نعم؛ إرشاد وتحذير وإنذار وإعذار، فلا بد من حسن النية في طلب العلم، لا بد أن يكون طلب العلم لوجه الله تعالى، فحيث أن طلب العلم، علم الشريعة الإسلامية من أفضل الأعمال عند الله، لمن صلحت نيته فلا بد من الإخلاص في هذا، لا بد من إخلاص العمل لله تعالى. ولهذا ذكر الله الإخلاص والمخلصين له تعالى في إحدى وعشرين آية من آيات القرآن.

وما من شكٍّ بأن الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله، فيجب على طالب العلم أن يجاهد هواه ونفسه وشيطانه، بأن يطلب العلم لله تعالى.

أما طلبُ العلم رياء أو سمعة أو من أجل شهادة أو راتب أو وظيفة أو لشيء من المقاصد الدنيوية، فهذا سقوط همة، وجهل، وغرور، وخسران مبين.

يقول الناصح الأمين عليه من ربه الصلاة والسلام: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومَن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه**»[(١)]، رواه مسلم والأربعة.

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[(٢)]. رواه مسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

والذي يطلب علم الشريعة الإسلامية ومقصوده حطام الدنيا، فهو كالذي يجاهد في سبيل الله، ومقصوده أطماع الدنيا، وقد قال رسول الهدى عليه من ربه السلام: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإنْ لم يُعطَ سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش**»[١]. رواه البخاري، من حديث أبي هريرة.

وعند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: «**مَن تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله، فليتبوأ مقعده من النار**»[٢]. رواه الترمذي وابن ماجه وحسّنه السيوطي في «الجامع الصغير».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**مَن تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[٣]. رواه أبو داود وابن ماجه.

وعن كعب بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**مَن طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»[٤]. رواه الترمذي وابن ماجه، فأي عمل يعمله الإنسان لا يُقبل إلا بشرطين: الإخلاص، والمتابعة للرسول ﷺ.

اللَّهُمَّ إني أسألك الإخلاص في النية والقول والعمل، اللَّهُمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأعوذ بك من الذنب الذي لا أعلم، اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ وآله وصحبه.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٥٥)، وابن ماجه (٢٥٨)، وضعَّفه الألباني.
(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصحَّحه الألباني.
(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٥٤)، وحسَّنه الألباني.

العلم ثمرته العمل

نعم؛ هو هذا، لكل شجر ثمرة، وثمرة العلم العمل، ولا شك بأن من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

ونصوص الكتاب والسُّنَّة في وجوب العمل بالعلم كثيرة جدّاً، ومن أقوى أسباب حفظ العلم العمل به، كما أنه من شروط فهم العلم وإدراك العلم تقوى الله تعالى، وصدق الله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وعن ركب المصري، عنه عليه السلام، قال: «**طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله**»[١]. قال ابن حجر في «الإصابة»، والسيوطي في «الجامع الصغير»: أخرجه البخاري في «التاريخ»، والبغوي والبارودي وابن شاهين والطبراني وابن قانع والبيهقي في «شعب الإيمان»، قلت: وأخرجه ابن عبد البر في كتابه «بيان فضل العلم»، ورمز له السيوطي بالحسن.

وقال علي رضي الله عنه: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[٢]. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: اعملوا ما شئتم بعد أن تعلموا، فلن يأجركم الله بالعلم حتى تعملوا[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ (١١٤٨)، والطبراني في الكبير (٤٦١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣١١٦)، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٣٨٣٥).

(٢) أخرجه الدارمي (٢٦٥)، وأحمد في فضائل الصحابة (٨٨٠).

(٣) أخرجه الدارمي (٢٦٦)، وأحمد في الزهد (١٠١٢).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالمٌ لا ينتفع بعلمه[١]. وقال الشاعر[٢]:

عالم بعلمه لم يعملن ... معذب من قبل عباد الوثن

وقال أبو الدرداء: ما أخاف على نفسي أن يُقال لي: ما علمت، ولكن أخاف أن يُقال لي: ماذا عملت؟[٣] هذه الآثار بأسانيدها ذكرها الدارمي في سننه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها، وإن العالم مَن يخشى الله وتلا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨][٤].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: ويلٌ لمن لا يعلم ولا يعمل مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات[٥].

ورُوي عن ثور بن يزيد، عن عبد العزيز بن ظبيان، قال: قال عيسى عليه السلام: من عَلِمَ وعَمِلَ وعلَّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات[٦].

أخذه بكر بن حماد، فقال[٧]:

وإذا امرؤ عملت يداه بعلمه ... نودي عظيماً في السماء مُسَوَّداً

وقال عيسى عليه السلام للحواريين: نحن أقول لكم: إن قائل الحكمة

---

(١) أخرجه الدارمي (٢٦٨)، وضعَّفه الألباني جدّاً في المشكاة (٢٦٨).
(٢) الزبد في الفقه الشافعي (ص٤).
(٣) أخرجه الدارمي (٢٧٠)، وأحمد في الزهد (٧٣١).
(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٢١).
(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٢١)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١١).
(٦) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٦/ ٩٣).
(٧) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢١٧).

وسامعها شريكان، وأولاهما بها من حققها بعمله، يا بني إسرائيل ما يغني عن الأعمى معه نور الشمس وهو لا يبصر، وما يغني عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به[١].

وعن أُبي بن كعب قال: تعلموا العلم واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: تعلموا ما شئتم أن تتعلموا، فإن الله لا يأجركم على العلم حتى تعملوا به، إن العلماء همتهم الوعاية، وإن السفهاء همتهم الرواية[٣].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا تكون تقيّاً حتى تكون عالماً، ولا تكون بالعلم جميلاً حتى تكون به عاملاً[٤]، وقال سفيان الثوري: يهتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل[٥].

وقال سفيان أيضاً: العالم طبيب هذه الأمة والمال داؤها، فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يعالج غيره؟![٦].

وقال الشعبي: كنا نستعين على حفظِ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم[٧]، ومن كلام الحكمة: علم بلا عمل كشجرٍ بلا ثمر.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢١٩).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٢٦).
(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٠).
(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٩).
(٥) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٧٤).
(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (١٧٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٦١).
(٧) أخرجه البيهقي في الشعب (١٧٤١) عن إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٨٤) عن الشعبي.

والله جَلَّ شأنه أمر بالعمل ورغب فيه وحث عليه، وذكر جزاء العاملين جنات النعيم، ففي سبع وأربعين آية يقرن تعالى بين الإيمان والعمل، فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال القاسم بن محمد: أدركتُ الناس وما يعجبهم القول إنما يعجبهم العمل[١]. وقال المأمون: نحن إلى أن نوعظ بالأعمال أحوج منا أن نوعظ بالأقوال[٢].

وقال علي رضي الله عنه: يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من علم ثم عمل ووافق علمه عمله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم[٣].

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: قال الله عز وجل: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، فما لنا ندعو فلا يُستجاب لنا؟ فقال إبراهيم: من أجل خمسة أشياء. قال: وما هي؟ قال: عرفتم الله فلم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا بما فيه، وقلتم: نحب الرسول وتركتم سُنَّته، وقلتم: نلعن إبليس وأطعتموه، والخامسة: تركتم عيوبكم وأخذتم في عيوب الناس[٤].

وهذه الحكم وهذه الأقوال وبعض هذه الآثار، ذكرها ابن عبد البر أثابه الله، في كتابه «بيان العلم وفضله».

نعم؛ ثمرة العلم العمل كما تقدم، والعمل بما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ واجب على جميع الثقلين الإنس والجن، فالقرآن العزيز ما

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٥).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٦).
(٣) أخرجه الدارمي (٣٩٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٣٧).
(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٢٢٠).

أنزل الله إلا ليُعمل به، وكذا القول في سُنَّة الرسول ﷺ وكل مكلف بلغه عن الله أو عن رسوله أو عنهما شيء، فهو علم، والعمل بالعلم واجب.

وحيث أن رسالة الرسول ﷺ عامة، فكل مجوسي وكل يهودي ونصراني وكل مخلوق مكلف بلغه القرآن، فقد قامت عليه حجة الله، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: ١٤٩]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والآيات في هذا كثيرة جدّاً؛ أي: في عموم رسالة الرسول ﷺ، ويأتي ذلك إن شاء الله في مبحث مستقل، اللَّهُمَّ علمنا ما ينفعنا، وارزقنا العمل فيها علمتنا، اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ، وآله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

تَنْبِيهٌ

العلم وفضله وآدابه، يحتاج إلى كتاب مستقل، وإنما ذكرنا هذه اللمحات الخاطفة استطراداً، حيث كان القرآن علماً، واللهُ ولي التوفيق، لا إلٰه غيره ولا ربَّ سواه، ونسأله تعالى علماً نافعاً وعملاً متقبلاً ورزقاً طيباً.

❁ ❁ ❁

القرآن قصص

الله جَلَّ شأنه وصف القرآن بكونه قصصاً، وسمَّاه بذلك في سبع آيات، والقصص هو الإخبار والكلام الذي يتبع بعضه بعضاً.

فالقرآن الكريم قصص وإخبار عما كان في سالف الدهور والأزمان، وإخبار عما يكون في مستقبل حياة هذا العَالَم، حتى يستقر أهل الجنة في النعيم وأهل النار في الجحيم، هذا آخر المطاف، وهذا منتهى الدورة.

والقرآن العزيز قصص وإخبار، بأروع تعبير، وأحسن أسلوب، وأجمل تركيب، وأبين بيان، عن عظمة الله ومجده وكبريائه، وعما يجب لله وما لا يجب، وعن أسمائه تعالى وصفاته.

وما في القرآن من الأقاصيص والأمثال، والأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب وحِكَمٍ وأحكامٍ، وغير ذلك، كله إخبار وإعذار وإنذار من الله تعالى، لعل وعسى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران: ٦٢].

قال في «المصباح المنير»: وقصصت الخبر قصّاً من باب قتل: حدثت به[١].

---

(١) المصباح المنير (٢/ ٥٠٥).

وقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وقال جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه: ٩٩].

فالقصص في لغة العرب: هو التحدث عن الشيء والإخبار عنه، بكلام يتبع بعضه بعضاً ليتضح ويبين.

وقال تقدس اسمه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [النمل: ٧٦، ٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

اللَّهُمَّ إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللَّهُمَّ إنا نسألك العفو والعافية، والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، اللَّهُمَّ صلِّ على محمد وآله وأصحابه أجمعين.

❁ ❁ ❁

القرآن دين قيم

اللهُ جَلَّ شأنه وصف القرآن بكونه ديناً، ووسمه اللهُ بهذه السمة وسماه بهذا الاسم في سبعة مواضع من القرآن، والدِّين بكسر الدال: التعبد والطاعة لله تعالى بامتثال أمره واجتناب نهيه، ومن فعل ذلك فقد دان لله تعالى، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن والعمل به، ومتحقق ومعروف بأن القرآن العزيز هو المصدر الأول، لأحكام الدين الإسلامي.

فالقرآن دين يدان الله به، ومع ذلك هو دين قيم؛ أي: عدل مستقيم، وحق وصدق، ومحكم وحكيم، وخير وبركة، فلا نقص ولا عيب في القرآن، ولا كذب ولا تزوير، ولا حشو ولا تغرير.

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١﴾ [الأنعام: ١٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة: ٣٦].

والدِّين بكسر الدال، لغةً: هو التدين والتعبد لله تعالى بما أوجبه على عباده وشرعه لهم على ألسن رسله، والقيم لغةً: هو المستقيم الذي لا عوج فيه.

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠]. قال في «مختار الصحاح»: ودان بالإسلام ديناً بالكسر تعبد به وتدين به كذلك، فهو دين مثل ساد فهو سيد[1].اهـ.

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة: ١ ـ ٥].

وبالله المستعان، وعليه التكلان.

❁ ❁ ❁

(١) المصباح المنير (١/ ٢٠٥).

القرآن بشير

الله جَلَّ شأنه وتقدس اسمه، سمَّى القرآن: مبشراً، وبشرى، وبشيراً، ففي آية واحدة سماه تعالى: بشيراً، وفي ثلاث آيات سماه اللهُ مُبشراً، وفي خمس آيات سماه الله: ووصفه بكونه: بُشْرَى، ومجموع ذلك تسع آيات.

ولا مراء ولا شك بأن القرآن بشير ونذير؛ بشير للمؤمنين، وبشير للمسلمين، بشير لهم بالعز والنصر والتمكين، بشير لهم بكل خير وفضيلة، بشير لهم بالمجد والفخار، بشير لهم بالعافية والسلامة والسعادة، بشير لهم بخيري الدنيا والآخرة، ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

بشير للمؤمنين، بالثواب العظيم والأجر الكبير، ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء: ٩].

القرآن الكريم بشير للصابرين، والصادقين، والمتقين، والمحسنين، والمؤمنين، والمسلمين، يبشر الجميع بالفوز الأكبر والنعيم المقيم، يبشرهم بالفردوس الأعلى، يبشرهم بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

نِعْمَ البشارةُ بشارةُ القرآن بالخير والسعادة للمؤمنين، الذين يعملون الصالحات، أما الكافرون والمنافقون، والزنادقة والملحدون، فبشارتهم شر بشارة، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة: ٣]، ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾ [النساء: ١٣٨].

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨﴾ [الجاثية: ٧، ٨].

فبشارات القرآن لا تكون إلا لمن آمن بالقرآن وعمل به.

وإلى المسلمين العاملين بالقرآن سبع آيات من العدد المذكور، والتوفيق بيد الله، والهداية من الله: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، فالدين الإسلامي كله بشارات وخيرات وبركات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ۝١٢﴾ [الأحقاف: ١٢]، فالبشارة في لغة العرب إذا أطلقت اختصت بالخير، وتكون بالشر لمن يستحق ذلك.

وقال جلَّ وعلا: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ۝٩٧﴾ [مريم: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تقدس اسمه: بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ١ ـ ٤].

اللَّهُمَّ اجعلنا من القابلين والعاملين ببشارات القرآن الكريم يا ربِّ العالمين.

۞ ۞ ۞

الرسول ﷺ بشير

والله جَلَّ شأنه كما وصف القرآن وسمَّاه: بشيراً، سمَّى الله محمداً: بشيراً، فهو ﷺ بشير ونذير؛ بشير ونذير لكل مخلوق من الجن والإنس، يبشر ﷺ من صدق وآمن وعمل بما جاء به كتاباً وسنة.

وقد سمَّى الله محمداً ﷺ: بشيراً، في ثلاثين آية من آي الذكر الحكيم، فهو ﷺ بشير بالقرآن، بشير بالحق: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ﴾ [فاطر: ٢٤]، فالله جَلَّ شأنه تشريفاً لنبيِّه وصفه بكونه بشيراً ونذيراً.

بشير ﷺ ونذير لكل مخلوق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨]، بشير ﷺ بالعز والنصر والتمكين لعباد الله الصالحين.

بشير للمتقين والمحسين: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٧﴾ [الحج: ٣٧].

وبشير عليه السلام للمخبتين: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ٣٤﴾ [الحج: ٣٤]، وبشير للصابرين: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥﴾ [البقرة: ١٥٥].

وبشير بجنات النعيم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة: ٢٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا

وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحـــزاب: ٤٥، ٤٦]، فمن صفاته عليه السلام أنه بشير ونذير.

فالله تعالى وصف رسوله بكونه بشيراً ونذيراً وسماه بذلك.

وكما سمى الله رسوله بشيراً في ثلاثين آية، سماه نذيراً في أكثر من سبعين آية.

فالرسول عليه السلام، بشير بالخير والسعادة بشير بكل خير دنيوي وأخروي، **والناس تجاه بشارة الرسول على نوعين**:

فمنهم: من قبلها بفرح وغبطة واستبشار، فصدقوا وآمنوا وعملوا، فكانت لهم الدنيا حياةً طيبة، كانت لهم الدنيا نصراً وعزّاً ومجداً وفخراً وشرفاً، وسيادةً وزعامةً وقيادة، وكانت لهم الآخرة سعادةً وفوزاً ونعيماً وأمناً، وهم صحابة الرسول ﷺ، والتابعون لهم بإحسان في كل زمان وفي كل مكان.

النوع الثاني: وهم من كان في الجانب الآخر، كانوا على شفا جرفٍ هار فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين، وهم أكثر خلق الله في أرض الله، لم يقبلوا بشارة الرسول، لم يقبلوا بشارة البشير النذير، لم يقبلوا بشارة الناصح الأمين.

لم يقبلوها، لم يقبلوا داعي الصلاح والفلاح فلم يفلحوا، لم يقبلوا قول رائد الحق والرائد لا يكذب قومه،لم يقبلوا بشارة الرسول ﷺ، بل كذبوها بقولهم وفعلهم، واستكبروا واشمأزوا، وتنكبوا طريق الأمن والسلامة، وغرهم بالله الغرور، فخسروا الدنيا والآخرة.

وعن قريب ينكشف الغطاء فيتضح ضلالهم، ويبين خسرانهم، حيث لم يقبلوا بشارة الرسول، ولم يعملوا بكتاب الله وسُنَّة رسوله محمد عليه من ربه السلام، فلهم من الله التهديد والوعيد، ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحـــزاب: ٣٦]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ

يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

فمصير القوم مصير الأشقياء الخاسرين، وعن قريب سوف يعلمون.

بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ١ ـ ٣].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٩، ٦٠].

نعم؛ هو كما تقدم الرسول ﷺ، بشير ونذير، ولهذا كان كثيراً ما يبشر أصحابه.

وفي «صحيح البخاري» عن عمران، أن نفراً من بني تميم جاءوا إلى رسول الله فقال: «**أبشروا يا بني تميم**»، فقالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه النبي ﷺ، وجاءه نفر من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم**»، فقالوا: قد قبلنا[1].اهـ.

اللَّهُمَّ! اجعلنا ممن قبل بشارة البشير بقوله وفعله، اللَّهُمَّ اهدنا ولا تضلنا، اللَّهُمَّ اهدنا بالهدى، وزيِّنَّا بالتقوى، واغفر لنا في الآخرة والأولى، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على البشير النذير وآله وصحبه أجمعين، هذا هو آخر الجزء الأول.

ويليه ـ إن شاء الله وبإعانة الله ـ الجزء الثاني، وأوله: وجوب طاعة الرسول ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١).

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الأولى	٥
ترجمة الشيخ العلامة صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله	٩
صور المخطوطات	١٥
الحمد لله هدف ومقصود	٢١
وعلى الله نتوكل وبه نستعين	٢٣
طريقة التحدي	٣١
منقذ البشرية	٣٧
مشاكل الحياة	٤٠
لا تجزئة ولا تقسيم	٤٥
زور وباطل	٤٨
شكر وتقدير	٥١
قوة معنوية	٥٨
حفظ وعناية	٦١
أهداف نبيلة	٦٩
طريقتي في هذا الكتاب	٧٢
أسماء القرآن بالترتيب	٧٤
الأحاديث الواردة في فضائل القرآن وعددها عشرون حديثاً	٨٠
ويتلو كتاب الله	٨٩
كتاب الله أصبح هادياً	٨٩
من قصائد حسان بن ثابت رضي الله عنه	٩٠
القرآ ن وحي ونور	٩٢
القرآن نور	٩٣
تنزيل نص مليكنا	٩٤
(ضياء نور) قصيدة لورقة بن نوفل	٩٤
نافلة القرآن من قصيدة كعب بن زهير	٩٥
(نبغي الهدى) من شعر سواد بن قارب الدوسي	٩٥
(يقص لنا ما قال نوح) من قصيدة لأبي قيس الأنصاري	٩٦
(دينك دين صدق) من شعر سعد بن أبي وقاص	٩٧
أمر الله يأخذ بالقلوب	٩٨
فرقان من الله منزل	٩٨
بحبل غير منجذم	٩٩
ينزل من جو السماء	٩٩
يتلو كتاب الله	١٠٠
مواعظ من ربنا	١٠٠
قتلناكم على تنزيله	١٠١
القرآن كتاب حق	١٠٢
القرآن برهان	١٠٢
القرآن وحي وتنزيل	١٠٣
كتاب الله	١٠٣

الموضوع	الصفحة
آيات حق من الرحمٰن	١٠٣
آياته مشرقة المعاني	١٠٤
نعم المطية للفتى آثار	١٠٥
هو نور	١٠٥
اقتد بكتاب الله	١٠٥
القرآن كلام الله	١٠٦
القرآن كلام الله المنزل	١١١
كتاب الله سلاح	١١١
هو قول ربي	١١٣
القرآن برهان	١١٥
القرآن حبل الله	١١٦
فاصدع بأمرك	١١٧
القرآن مثاني	١١٧
القرآن برهان	١١٨
العلم زين وتشريف	١١٨
اتل كتاب الله	١١٩
العلم قال الله	١١٩
تكلم الله به فأسمعا	١٢٠
القرآن كلام الله	١٢٢
القرآن هدى وشفاء	١٢٣
علم الكتاب وما سَنَّ الرسول لنا	١٢٤
القرآن منزل	١٢٥
القرآن كلام الله	١٢٦
كتاب الله أصل أول	١٢٧
كفاهم كتاب الله	١٢٨
القرآن كلام الله	١٣٠
وما هو إلا الوحي	١٣١
هو الوحي دين الله	١٣٢
وتقتدي بكتاب الله	١٣٣
هو البصائر والشفاء	١٣٤
المتلو قول الباري	١٣٧
آيات القرآن محكمة	١٣٨
كلام ربي منزل تنزيلاً	١٣٩
كتاب حوى كل العلوم	١٤٠
القرآن هو خير هاد للأنام	١٤٥
القرآن كلام الله تعالى	١٤٧
أليس كتاب الله حبلاً معلقاً	١٤٧
افهم خطاب كتاب الله	١٤٩
كتاب الله ينطق معلناً	١٥٠
القرآن معجزة	١٥٠
القرآن كتاب صادق	١٥١
القرآن وحي وهدى وكتاب صدق حكيم	١٥٢
كتاب الله أنزل صادقاً	١٥٢
كتاب الله نقرؤه	١٥٣
القضاء في كتاب الله	١٥٣
يقضي الكتاب على الصليب	١٥٤
القرآن دين حق	١٥٤
القرآن كتاب ونور	١٥٤
القرآن نور	١٥٥
القرآن فرقان	١٥٥
القرآن آيات	١٥٥
آثرت وحياً	١٥٦
التهجد بالقرآن	١٥٧
القرآن سور وتنزيل من حكيم حميد	١٥٧

الموضوع	الصفحة
كتاب الله	١٥٧
أتل ما في سورة البقرة	١٥٨
القضاء في كتاب الله	١٥٨
كلام الله أنزله	١٥٨
التعويل على الوحي	١٥٩
نطق النبي بالقرآن	١٥٩
القرآن حوى كل علم	١٥٩
القرآن فرقان	١٦٠
القرآن مثاني	١٦١
عليَّ أن أتلو القرآن	١٦١
دعوة الحق في كتاب كريم	١٦١
جاءكم بالهدى كتاب كريم	١٦٤
القرآن بلاغ	١٦٥
قد جاء بالدين قرآن	١٦٥
واتل بفهم كتاب الله	١٦٦
حلفت بالسبع اللواتي	١٦٦
القرآن فرقان	١٦٧
قسماً بآيات الكتاب	١٦٧
القرآن والسيف	١٦٨
تمسكوا بكتاب الله	١٦٩
دعوت إلى الوحي المقدس	١٦٩
الوحي والسيف	١٧١
تمسك بما في محكم النص	١٧١
هذي المكارم	١٧١
نبذتم كتاب الله	١٧٢
أتى بالهدى نوراً	١٧٣
قف بالمثاني	١٧٤
أي الكتاب كفت دلالتها	١٧٥
فيا حبذا القرآن	١٧٦
كل خير في كتاب ربي	١٧٦
علوم الكتاب الله	١٧٧
فاتل كتاب الله	١٧٧
يدل على هذا الكتاب	١٧٨
القرآن ذكر	١٧٨
تكفي سورة الإخلاص	١٧٩
القرآن كلام الله	١٨٠
كتاب الله شفاه	١٨١
القرآن موعظة	١٨١
القرآن نور وهدى	١٨٢
قرآننا مشعل يهدي	١٨٢
حديقة الفرقان ضاحكة الربا	١٨٣
خذ بالكتاب	١٨٥
عين من الفرقان	١٨٥
آياته كلما طال المدى جدد	١٨٦
القرآن تنزيل ربنا وكلامه الحكيم	١٨٧
كم أبانت آياته من علوم	١٨٧
القرآن كلام الله	١٨٩
تعريف الوحي	١٩٤
كيفيات الوحي	١٩٤
ثم قال البخاري: باب	١٩٦
ثم قال البخاري: باب	١٩٨
تنزيلات القرآن	١٩٨
كيفية أخذ جبريل للقرآن	٢٠١
قول ابن قيم الجوزية	٢٠٤

الموضوع	الصفحة
قول الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى	٢٠٤
قول شارح الطحاوية	٢٠٥
قول الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ	٢٠٥
قول الشيخ محمد بن علي الشوكاني	٢٠٦
قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	٢٠٦
قول الشيخ محمد السفاريني	٢٠٧
قول الشيخ محمد بن عثيمين	٢٠٧
قول الشيخ محمد بن علي الصابوني	٢٠٨
قول الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني	٢٠٩
قول الشيخ عبد الرحمٰن بن حسن	٢٠٩
تنبيه	٢١٠
أسماء القرآن	٢١١
تنزيل	٢١٢
القرآن آيات	٢١٤
كتاب	٢١٦
قرآن	٢١٩
القرآن حق	٢٢١
القرآن تذكرة وذكرى	٢٢٤
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد	٢٢٥
القرآن هدى	٢٢٨
القرآن وحي	٢٣٢
القرآن صراط مستقيم	٢٣٦
القرآن تبيان وبينات	٢٤٠
القرآن صدق ومصدق	٢٤٢
القرآن مفصل وفصل	٢٤٤
القرآن حديث	٢٤٧
القرآن رحمة	٢٥٠
القرآن نور	٢٥٤
القرآن نذير	٢٦١
القرآن كلام الله	٢٦٥
القرآن قول	٢٧٠
القرآن قول ثقيل	٢٧٣
القرآن قول فصل	٢٧٥
القرآن عربي	٢٧٦
تكملة	٢٧٩
القرآن سور	٢٨١
فائدة	٢٨٤
القرآن حكيم ومحكم	٢٨٧
فائدة	٢٨٨
القرآن حكمة بالغة	٢٨٩
فائدة: سنة الرسول ﷺ هي أقواله وأفعاله وتقريراته	٢٩٠
القرآن حكم عربي	٢٩٢
القرآن علم	٢٩٤
غضب الله على اليهود	٢٩٨
العلم وفضل العلم	٣٠٠
إرشاد وتحذير	٣٠٦
العلم ثمرته العمل	٣٠٨
تنبيه	٣١٢
القرآن قصص	٣١٣
القرآن دين قيم	٣١٥
القرآن بشير	٣١٧
الرسول ﷺ بشير	٣٢٠

صدر حديثاً

الإرشاد في توضيح مسائل الزاد

حاشية على

زاد المستقنع

يا فتاة الإسلام

اقرئي حتى لا تخدعي

ويليه

مرض فتاك

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

سيصدر حديثاً إن شاء الله

السلسبيل

في معرفة الدليل

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف

عقيدة المسلمين

والرد على الملحدين والمبتدعين

ويليه

أربع كلمات مفيدة في الأحكام والعقيدة

قوبلت هذه الطبعة على نسخة خطية بخط المؤلف